جامعة آل البيت

Al al-Bayt University

النفقات المالية في بناء سامراء خلال الفترة (221 – 247 هـ \ 836 – 861م): دراسة تاريخية تحليلية

The financial expenditure on building the city of Samara from (221-247AH \ 836-861AD) : a historical and analytic study

إعداد

احمد شرقي عبد الله الجبوري

الرقم الجامعي : 1520303013

إشراف

أ. د. عليان عبد الفتاح الجالودي

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ

عمادة الدراسات العليا

جامعة آل البيت

الفصل الدراسي الأول 2017 - 2018 م

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

جامعة آل البيت

عمادة الدراسات العليا

نموذج اقرار والتزام بقوانين جامعة آل البيت وانظمتها وتعليماتها لطلبة الماجستير والدكتوراه.

انا الطالب: أحمد شرقي عبدالله الجبوري الرقم الجامعي : 1520303013

تخصص: التاريخ كلية: الآداب والعلوم الإنسانية

أُعلنُ بأني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وانظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير عندما قمت شخصياً بإعداد رسالتي بعنوان:

النفقات المالية في بناء سامراء خلال الفترة (221 – 247 هـ \ 836 – 861م) دراسة تاريخية تحليلية

The financial expenditure on building the city of Samara

From (221-247AH \ 836- 861AD) : a historical and analytic study

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية. كما أنني أُعلن بأن رسالتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو أطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة اعلامية، وتأسيساً على ما تقدم فأنني اتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرّج مني بعد صدورها دون أن يكون لي الحق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

التوقيع ..... التاريخ: 31 / 12 / 2017م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنا أحمد شرقي عبد الله الجبوري، أفوض جامعة آل البيت بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة .

التوقيع: _____ _____التاريخ: 31/ 12/ 2017م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قرار اللجنة

نوقشت هذه الرسالة " النفقات المالية في بناء سامراء خلال الفترة (٢٢١ – ٢٤٧ هـ \ ٨٣٦ – ٨٦١م): دراسة تاريخية تحليلية " وأجيزت بتاريخ ٣١ - ١٢ - ٢٠١٧م

لجنة المناقشة	التوقيع
أ.د. عليان عبد الفتاح الجالودي (مشرف رئيسي) أستاذ تاريخ اسلامي وسيط /العصر السلجوقي قسم التاريخ - جامعة آل البيت	.....
د. موسى مخاط بني خالد (عضو لجنة) أستاذ تاريخ المغرب والاندلس قسم التاريخ - جامعة آل البيت	.....
د. محمد صياح العيسى (عضو لجنة) أستاذ التاريخ وأنثروبولوجيا قسم التاريخ - جامعة آل البيت	.....
أ.د. عوض عبد الكريم الذنيبات (عضو لجنة خارجي) أستاذ تاريخ عباسي قسم التاريخ - جامعة مؤتة	.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهداء

إلى النجم اللامع الذي اهتديت به (والدي) أطال الله في عمره ...

إلى السحابة التي أضلتنا من هاجرة الزمن وسقتنا رذاذها و غدقها عطفاً و حناناً (والدتي) أدامها الله ...

إلى الأرواح التي انتقلت إلى جوار ربها و تركت بصمات في داخلنا و جروح لا تلتئم أعمامي (نايل أبا قاصد و مطلك) رحمهم الله ...

إلى أنسي وأقمار ليلتي و إخضرار الربوع في سنوات سفري إخوتي (محمود و عبدالله) ...

إلى منبع الحنان والمحبة (أخواتي) حفظهن الله ...

إلى التي صبرت وتحملت معي أعباء سفري ودراستي إلى رفيقة دربي (زوجتي) ...

إلى فلذة كبدي أبنتي الغالية (مريم) ...

أهدي جهدي المتواضع هذا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشكر

الحمد لله المعلّم بالقلم ، والشكر له على ما جاد وأنعم ، والصلاة والسلام على رسوله الأكرم محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الأبرار الميامين وبعد:

لا يسعني وأنا أختم هذا الجهد إلا أن أختط كلمات الشكر والإمتنان الى كل ذي فضل من بعد الله ، أسهم بجهد أو مشورة أو دعم في انجاز هذه الدراسة.

أتقدم بخالص الشكر والإمتنان الى استاذي المشرف الاستاذ الدكتور عليان الجالودي لما بذله من جهد ورعاية ومتابعة علمية دقيقة كانت لها أثر كبير في إخراج هذه الدراسة ، فجزاه الله خيراً.

وأقدم شكري وتقديري لأساتذتي في قسم التاريخ في جامعة آل البيت ، الذيْن كان لمشورتهم العلمية فضل في إختيار موضوع الدراسة فجزاهم الله خيراً وأدامهم ذخرا لطلبة العلم.

كما أتقدم بالشكر الجزيل الى الأخوة الذين قدموا لي المساعدة وتزويدي ببعض المصادر و الدراسات من زملائي و أساتذتي في العراق وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور محمود عباد أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة تكريت .

كما إن واجب الوفاء يدعوني أن أسجل شكري وامتناني للأيادي الخفية التي سهرت على راحتي وتحمّلت عني طويل عنائي .. أولئك أهلي وأصل دمي .. ليتني أبلغ لهم شكري

كما و أتقدم بالشكر و الامتنان الى النائب بدر محمود الفحل " عضو مجلس النواب العراقي " و عائلته الكريمة الذين فتحوا لي قلوبهم قبل أبوابهم داعياً المولى عز وجل أن يحفظهم ويبارك لهم .

كما أسجل شكري وتقديري لكل الزملاء و الأصدقاء الذين أمدوني بدعمهم وصحبتهم الطيبة ، واعتذاري الى كل السادة والأحبة الذين لم يتح لي ذكر أسمائهم .

الباحث

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المحتويات

إقرار ..... ب
تفويض ..... ج
قرار اللجنة ..... د
الإهداء ..... ه
الشكر ..... و
المحتويات ..... ز
الموضوعات ..... ح
قائمة الجداول ..... ل
قائمة المختصرات ..... م
قائمة الملاحق ..... ن
Abstract ..... س
الملخص ..... ف
المقدمة : 1
الفصل الأول خطط سامراء 25
الفصل الثاني إعمار مدينة سامراء 94
الفصل الثالث مصادر المياه والري في خطط سامراء 130
الفصل الرابع نفقات مشاريع إعمار سامراء 170
الخاتمة 204
الملاحق 206
المراجع 211

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوعات

الموضوع
المقدمة
تحليل المصادر
التمهيد: التحولات السياسية في الخلافة العباسية خلال الفترة من (132-247هـ \ 749-861م)
الفصل الأول خطط سامراء
الجغرافية التاريخية للموقع
خطط سامراء
أسباب بناء سامراء
غرض الخلفاء من تأسيس المدن
البحث عن المكان
اختيار الموقع
التطور التاريخي للاستيطان البشري في سامراء
تخطيط المدينة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عمران سامراء
مواد بناء سامراء والعمائر الأخرى
مدينة المتوكلية وقصورها وعمائرها الأخرى والمواد الداخلة فيها
تقدم الصناعة
الآثار الاقتصادية السلبية للسياسة العمرانية في عهد المتوكل
الفصل الثاني إعمار مدينة سامراء
مستلزمات مشاريع إعمار المدينة
المهندسون والفنيون والعمال
مواد البناء المختلفة
مواد البناء والعمال
أسواق سامرّاء
أهل السوق
أسواق محلية
مراحل البناء والزخارف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث مصادر المياه والري في خطط سامراء
مصادر المياه والري في خطط سامراء
مشروعات الري في عهد المتوكل
النهر الجعفري
منشأ النهر وتاريخه وأهدافه
تخطيط مشروع النهر
موقع صدر النهر كما في الطبري وياقوت
حالة النهر وناظم مصرف الوشاش
عبارة النهر الجعفري على القاطول الكسروي
قنطرة العبور القديمة
عبارة النهر الجعفري فوق القنطرة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع نفقات مشاريع إعمار سامراء
نفقات مشاريع إعمار سامراء
مواد البناء والعمال
الصناع
أسواق سامراء
اثمان أجور نقل المواد من الأقاليم المختلفة براً ونهراً
أجور العمال
السياسة الاقتصادية وعلاقتها بالسياسة العمرانية للدولة العباسية
سياسة جمع الأيدي العاملة
الخاتمة
الملاحق
قائمة المصادر و المراجع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة الجداول

رقم	الجدول
1	فروع نهر الجعفري
2	التلال التي يمر منها نهر الجعفري
3	اجور العمال والمواد التي أنفقت في بناء القصور

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المختصرات

المختصر	الكلمة
ع	العـــدد
تر	ترجمـــة
مج	مجلـــة
ط	طبعـــة
ب ص	بدون صفحة
ب ط	بدون طبعة
ب ن	بدون نشر
ب ت	بدون تاريخ
هـ	هجري
م	ميلادي
ت	توفي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة الملاحق

رقم	عنوان	الصفحة
1	خارطة مدينة المتوكلية	182
2	خارطة توزيع الشوارع في سامراء	183
3	خارطة النهر الجعفري	184
4	المروحة النخيلية	185
5	قنطرة الرصاص	186

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

The financial expenditure on building the city of Samara from (221-247AH \ 836-861AD) : a historical and analytic study

A Master Thesis By

AHMED SHARQI ABDULLAH

supervision

Professor D.r: ELIAN JALOUDI

Department of History, Al al-Bayt University, 2017

Abstract

The current study is a preliminarily study that aims to investigate the Islamic architecture economic expenses during the Abbasi era through studying the city of Samerra's buildings and their costs, given that the time when Al Khalifa Al Mutasim ruled was the time of luxury and prosperity.

The importance of this study comes from the fact that the investigated time period was a period of economic wealth and prosperity accompanied with political conflicts that affected the Abbasi's political approaches and the arrival of the Ottomans. Then, many opposition movements were initiated forcing Al Mutasim to build the city of Samerra' for ottomans to settle in and support him. This was facilitated by the fact that his ruling period was of great economic power and prosperity. Al Mutawakel followed the plan of Al Mutasim, he spent a lot of money to establish Al Mutawakeleyah in order to control the country and to protect his ruling. Thus, studying the architectural perspectives for this era is of great importance as a part of the history as it underlines the economic situation and reveals the political and social aspects of why did Al Mutasim choose the location of Samerra' city and the effect of this choice on the Abbasi's history and the Islamic history as whole.

www.manaraa.com

One of the reasons why we chose the building of the city of Samerra's cost was its relation to the role of the city itself in means of politics for the Abbasis, and its role in the settlement of Ottomans which shows that the reason for establishing Samerra was mainly Al Mutasim's fear of revolution against him.

Also, the castles and palaces built in Samerra are indicators of Al Mutasim's attempt to challenge Baghdad and to have his own legacy.

The castles in Samerra' were large and included all facilities with orchards, fountains, pools and other luxurious amenities. This urged people to compete over settling in these castles. Also, Al Mutawakel's pursuit of reinforcing his power and dominating of Sunna urged him to look for another place as his capital to proceed with his plans.

It seemed that Al Mutawakel was aiming at presenting himself as a powerful leader as he built walls around his castle, used bricks to build the walls and decorated them with porcelain .

Our study indicates that Abbasis were able to create "Sawad Baghdad". Which is an irrigated agricultural are that is located within the borders of Samerra'. Also, it shows that Al Mutasim Bellah focused on agriculture as an economic source. He believed that it is the main asset for the Abbasis economy as it increased the income which in turn increased the construction movement and eased the trading in Samerra

As for the taxed money resources, during the period of Al Mutasim's rule, these resources were huge and benefited the Abbasis income which in turn helped developing the different institutions in the country, such as army, and helped conducting different projects and increased the trading between Samerra' and the surroundings.

The study also shows that Al Mutasim is naturally a fond of architecture. He sees that architecture brings a lot if good things for the country and constructs the earth. Nevretheless, Al Mutasim and Al Mutawakel did not invent new economic aspects as they followed the same economic policies followed by their predecessors.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النفقات المالية في بناء سامراء

خلال الفترة (247-221 هـ /836-861م) : دراسة تاريخية تحليلية

رسالة ماجستير قُدمت من قبل الطالب

أحمد شرقي الجبوري

أشراف الأستاذ الدكتور

عليان الجالودي

قسم التاريخ، جامعة آل البيت، 2017م

الملخص

الدراسة الحالية محاولة أولية للبحث في النفقات الاقتصادية للعمارة الإسلامية في العصر العباسي من خلال دراسة مدينة سامراء ونفقات بنائها حيث عرف عن عصر الخليفة المعتصم الرخاء والازدهار الاقتصادي.

يكتسب هذا الموضوع أهميته من واقع المرحلة التاريخية التي غطتها الدراسة، إذا ارتبطت فترة الدراسة بفترة ازدهار و قوة اقتصادية و فترة صراعات سياسية أثرت على توجهات الخلافة العباسية باستقدام العنصر التركي، وما رافقها من حركات معارضة للخلافة العباسية مما استدعى الخليفة المعتصم لإنشاء مدينة يستقر بها الأتراك و يقفون الى جانبه ، وعلى هذا الأساس سارع الخليفة المعتصم ببناء مدينة سامراء ، ومما ساعده على ذلك نفوذه و الازدهار الاقتصادي و القوة المالية التي برزت في عصره و، كما تابع المتوكل فكر الخليفة المعتصم و أنشأ المتوكلية و أنفق عليها الأموال الطائلة بهدف السيطرة و حماية الخلافة في عهده ، فأن دراسة النفقات المعمارية جزء من دراسة تاريخ المنطقة حيث تعد شاهد على الوضع الاقتصادي

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

و تبين الأهداف السياسية و الاجتماعية من خلال الأسس التي اختار الخليفة المعتصم موقع سامراء من خلالها ، ومن شأنه أن يوضح لنا، مدى تأثير ذلك في مسار التاريخ العباسي ، والتاريخ الإسلامي بوجه عام.

وكان من دواعي اختيارنا لنفقات بناء سامراء، فيرتبط ذلك بما أدته هذه المدينة من دور فاعل في السياسة العباسية و دور مهم في استقرار العنصر التركي ، وهذا يدل على إن السبب الأساسي الذي دفع الخليفة المعتصم بالله إلى نقل مقره إلى موضع آخر كان سياسيا وعسكريا هو خوفه من الثورة عليه وعلى جنده وذهاب الأمور من يده.

يبدو إن الخليفة المعتصم من خلال تشييد القصور الضخمة في سامراء كأنه أراد أن ينافس بغداد وقصورها وإبراز شخصيته وعاصمته من خلال هذه العمارات الشاهقة ولتخليد ذكراه على مر السنين.

كانت القصور والمباني التي بنيت في سامراء في عهد الخليفة المعتصم واسعة للغاية مكتملة المرافق الخدمية والترفيهية وذلك لكبر مساحتها ولتزويدها بمتطلبات السكني والوسائل الترفيهية من بساتين وبرك ونافورات ووسائل أخرى ورغب الناس اليها في أن يكون لهم بها أدنى أرض وتنافسوا عليها ، كما يبدو ان المتوكل أراد ان يقوي إدارته المركزية وإحياء السنة والقضاء على فكر المعتزلة كما دعى ذلك ومن هذا سعى إلى البحث عن مكان آخر ليتخذه عاصمة ليفرض سيطرته على مناوئيه.

ويبدو الهدف من تشييد هذا القصور الشامخة وجلب المواد الثمينة الداخلة فيها لإظهار المتوكل كملك وتقوية قصره بالأسوار وجدرانه بالأحجار، قد فرش قصر المتوكل بالآجر وأنواع الخزف لإبراز جمالية القصر وزينتها للآخرين.

ومن خلال دراستنا ندرك بأن الخلفاء العباسيين من خلال المشاريع الاروائية استطاعوا إحياء مساحات واسعة من الأراضي التي عرفت بسواد بغداد التي يمكن حصرها ضمن الحدود الجغرافية لمدينة سامراء .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و تبين لنا الدراسة أن الخليفة المعتصم بالله عني عناية كبيرة بالزراعة باعتبارها العمود الفقري لاقتصاد الخلافة العباسية وما تؤديه الزراعة من إثر مهم في زيادة إيرادات بيت المال مما يؤدي إلى تنشيط حركة البناء والعمران ، وفي الناحية التجارية سهلت الطرق وربطت بعضها ببعض وأصبحت للتجارة شأن كبير.

أما الموارد المالية الضريبية في عهد الخليفة المعتصم فتشكل بدورها موردا ماليا ضخما والتي أنعشت خزينة الخلافة العباسية بالواردات التي تسهم إلى حد كبير في بناء وتطوير مؤسسات الخلافة كالجيش مثلا، وبالتالي رفع القدرة الاقتصادية لتنفيذ مشاريعها، وتنمي الحالة التجارية بين مدينة سامراء والمدن الأخرى، وهذا ما ساعد على انتشار الأسواق التجارية في هذه المدينة.

و تبين الدراسة أن الخليفة المعتصم في فطرته يحب العمارة وهو يرى بأن في العمارة أمورا محمودة فأولها عمران الأرض التي يحيا بها العالم وعليها يزكو الخراج، إلا أن الخليفة المعتصم والواثق لم يبتدعان شيئا جديدا بالأمور الاقتصادية بل سارا على سياسة من سبقهم من الخلفاء العباسيين في الأمور الاقتصادية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة :

الحمد لله الذي بحمده تتم النعماء ، وبنوره تشرق الأرض و السماء ، و الصلاة و السلام على اشرف الأنبياء والمرسلين وبعد.

فإن التاريخ حافل بكل شيء فلا يقتصر على موضوع أو شخص أو أرض أو حادثة فكل شيء إلا وله جذور تاريخية تضع نفسها أمام المتفكر لينظر إلى دورتها التاريخية وكيف بدأت وإلى أين انتهت وماهي المتغيرات التي فرضت نفسها عبر حقب التاريخ فكانت زيادة على الأصول ... إن هذه السعة والتمدد والتغير والشمولية تجعل الباحث في أمور التاريخ يقف حائرا كأنما يندب طللا فلا يدري أي موضوع يختار وعن أي شيء يكتب .

سبب اختيار الموضوع هو أن مدينة سامراء هي اقرب مدينة بهذه القيمة التاريخية مكان دراستي وهذا الظرف القاهر الذي يمر به بلدي يفرض أو يحبب ذلك ، إضافة إلى أنها مدينة عريقة تستحق الوقوف على كل مفصل من مفاصل بنائها وتكوينها وقد شجعني كبار اساتذتي على الولوج في هذا الباب ومنهم الأستاذ الدكتور (عليان عبد الفتاح الجالودي).

و من خلال بحثي و أطلاعي على الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع وجدت ان تلك الدراسات تغطي الجوانب السياسية اكثر من الاقتصادية و تبرز الدور التاريخي للشخصيات مما غلب على اختيار المكان ، ومن ابرز الدراسات التي تناولت تاريخ مدينة ساراء الاقتصادي هي :

دراسة الأحمدي ، خلود محمد ، سامراء عاصمة الخلافة العباسية (279-221هـ / 836-892م) :دراسة في الحياة الاجتماعية ، عبد العزيز الدوري، تاريخ النشر ، رسالة جامعية (ماجستير في التاريخ) -- الجامعة الأردنية 2006

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتناولت الباحثة من خلال دراستها الأوضاع السياسية التي أدت لنقل الخلافة الى سامراء و سياسات المعتصم في سامراء و دور الاتراك في بناء سامراء .

دراسة الضمور، هناء أحمد محمد ، الحياة العلمية والثقافية في سامراء ، تقي الدين الدوري ، أطروحة (ماجستير)-جامعة مؤتة، 2001 .

تناولت الباحثة الحياة العلمية و الثقافية في سامراء من خلال دراسة مظاهر الحضارة و التطور و دور الخلفاء في تشجيع العلوم و اهتمام الخلفاء بالعلماء و الادباء و بيان اثر ذلك على الثقافة في ذلك العصر و بيان دور القصور في تشجيع الحركة الثقافية و جذبها

عبيد،، وائل عبد الرحيم ، سياسة المتوكل الداخلية في سامراء و المتوكلية 232-247هـ / 847-861م ، ، مصطفى الحياري، رسالة جامعية (ماجستير)- الجامعة الأردنية، 1988

تناول الباحث جهود الخليفة المتوكل في المتوكلية و سامراء من حيث السياسات التي اتبعها في تنظيم شؤون المدينتين و محاول ربطهما بسياسة موحدة تخدم توجهات المعتصم نحو الإفادة من الموقع و التضاريس و الفئات السكانية لتقوية حكمه ، و ضبط الشؤون الداخلية التي عانت فترات متعددة من اضطرابات .

مبررات الدراسة تتضح مما سبق حيث هدفت دراستنا هذه الى تناول الجوانب المالية في عهد المعتصم فترة بناء سامراء و مقارنتها بالسياسة الاقتصادية التي سار عليها المتوكل من بعده ، بحيث نضع تصور واضح يبين تكاليف بناء سامراء بشكل مفصل من خلال المواد و الأرض و البنية التحتية و العمال و نظم استيراد المواد الازمة للبناء و مقارنتها بعهد المتوكل من حيث سياسته في بناء المتوكلية بهدف توضيح الازدهار المالي في عهد المعتصم و أثره في إنجازاته الحضارية و كيف تحولت الأوضاع خلال فترة الخلفاء من بعده .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اعتمد الباحث على عرض المادة التي تحتويها المصادر التاريخية المتاحة بأسلوب موضوعي و علمي من خلال استقراء المادة التاريخية وتحليلها و تقديم راي الباحث عن طريق وصفها و مقارنتها من خلال منهج البحث التاريخي القائمة على جمع المادة الاولية وتحليلها و مقارنتها بالمصادر الأخرى المعاصرة لبيان قيمة المادة التي تحتويها و عرضها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنهج الاستقرائي :

قراءة الحدث أو الظاهرة التاريخية من المصادر الاولية والمحددة في خطة البحث.

إن كل دراسة وكل عمل لابد وان يعتريه ويعترض طريقه عقبات وعثرات ومما صادفني في هذا العمل هو الظرف المشترك بين أبناء البلد وهو احتلاله من قبل التنظيمات الإرهابية والصراعات السياسية غير المعهودة في الدول المستقرة فقد انتج ذلك ظرفا نفسيا صعبا وأزيد على ذلك ، مشاق وصعوبة السفر والتنقل في ذلك الظرف بين المواقع الميدانية الأثرية في مدينة سامراء.

وقد تجاوزت بفضل الله عز وجل هذه العواقب وتم إنجاز البحث معتمدا على المصادر التي تعد من أمهات الكتب التاريخية.

واقتضت طبيعة الموضوع أن يقسم إلى أربعة فصول ، تناول الباحث في الفصل الأول تخطيط المدينة وكيف تم شراء الأرض والتخطيط للمدينة وتأسيسها للبدء بالبناء ، وأما الفصل الثاني من هذا البحث فقد تناول الباحث فيه مواد البناء التي استخدمت في بناء المدينة المحلية منها والمستوردة ، وانفرد الفصل الثالث من هذا العمل بالمشاريع الاروائية وكيفية وصول المياه إلى المدن (سامراء – المتوكلية) ، وشق الترع والكهاريز ، أما الفصل الرابع فقد كان عن التكاليف والنفقات لمواد البناء وكيفية نقلها.

و من ابرز نتائج دراستي ما يلي :

تؤكد المصادر التاريخية قلة الاخبار حول الأمور المالية في عهد الخليفة المعتصم

تميزت العمارة في سامراء بالفن والاتقان و يتضح ذلك بالمواد المستخدمة و الايدي العاملة

اهتم المتوكل بالبناء وانتهج سياسة الخليفة المعتصم و بنى المتوكلية و جعلها مرتقي لمستوى بناء سامراء

يتضح ان المتوكلية و سامراء ارتكز في بنائهما على الموقع الذي يتغذى بالماء و يتميز بحصانة جغرافية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ابرز التوصيات التي نخرج بها من دراستنا :

الحث على الدراسات في مجال التاريخ الاقتصادي

التطرق بالدراسات التاريخية للبحث حول المواد التي كانت تستخدم للعمارة

إعادة قراءة التاريخ الاقتصادي من خلال منهج تحليلي يقارن بين الواقع المعيشي للشعوب و المظاهر الحضارة في نفس الفترة

الجغرافية والتاريخ يمثلان صنوان لا يفترقان ولذلك على الباحث في الجغرافية التاريخية ران يزاوج بين العلمين للتوصل الى نتائج جيوتاريخية دقيقة باعتبار ان التاريخ عابر سبيل يتوقف في المكان ممثلا بالجغرافية.

الاهتمام بدراسة الجغرافية التاريخية ممثلة بالتسلسل التاريخي للاحداث في المكان.

ضرورة التوسع في اجراء دراسات تفصيلية دقيقة عن كل الاحداث التاريخية في المدينة وربطها بالجانب الجغرافي لها ممثلا بكافة العوامل الطبيعية والبشرية المساعدة على وجود هذه الاحداث التاريخية.

وقبل أن اختم كان أتقدم بجزيل الشكر لمن يتصدر لائحة الشكر فأتقدم لأنثر بباقة شكر وباقة حب على الأرض التي شرفني الله وأفضل علي بأن وطأتها قدماي ذات يوم أرض الأردن الحبيبة وهذه من اجمل ثمرات دراستي ، وكذلك أتقدم بالشكر الجزيل لمن أهرق الكثير من راحته على حاجتي أستاذي الدكتور الفاضل (عليان عبد الفتاح الجالودي) أسأل الله عز وجل أن يمده بالصحة والعمر المديد ، والشكر موصول لأساتذتي في قسم التاريخ وأعضاء لجنة المناقشة الذين لم يبخلوا علي بملاحظاتهم وتوجيهاتهم القيمة ....والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحليل المصادر :

كتب البلدانيين

ذكر عدد من البلدانيين الذين وصلتنا كتبهم أحوال سامراء عندما كانت مركز الخلافة العباسية وبعد انتقالهم منها ، وفي كتاباتهم المقتضبة إشارة إلى بعض خصائصها.

وأقدم من وصلتنا كتاباته عن سامرّاء البلاذري الذي خصّها في كتابه «فتوح البلدان» بصفحة ذكر فيها إنشاءها وبعض معالمها ، ومحاولات بعض الخلفاء العباسيين الأولين نزولها ، ثم محاولات المعتصم بناء مدينة عند القاطول ، ثم اختياره موقع سامرّاء ، وبعض ما بناه ، وتشييد الواثق للهاروني ، وبعض تفاصيل

أبنية المتوكل. وتاريخ الابتداء منها ، والانتقال عنها ويبدو أن النسخة التي طبعها دي غويه من كتاب فتوح البلدان ، وأعاد طبعها رضوان محمد رضوان وصلاح الدين المنجد غير كاملة إذ نقل ياقوت عن البلاذري معلومات عن بعض المعالم العمرانية في سامرّاء ومنطقتها غير موجودة في النسخة المطبوعة ؛ فمن ذلك نقله عن البلاذري «بيعة المطيرة محدثة بنيت في خلافة المأمون ونسبت إلى مطر بن فزارة الشيباني وكان يرى الخوارج» وقوله «الإيتاخية تعرف بإيتاخ التركي سماها المتوكل المحمدية باسم ابنه محمد المنتصر ، وكانت تعرف أولا بدير أبي صفرة ، وهم قوم من الخوارج ، وهي بقرب سامرّاء» وقوله «دير الطواويس وهو بسامرّاء بكرخ جدان يشرف عند حده آخر الكرخ على بطن يعرف بالبس فيه زروع ، يتصل بالدور وهو الدور المعروف بدور عربايا ، وهو قديم كان منظرة لذي القرنين ، ويقال لبعض الأكاسرة ، فاتخذه النساطرة ديرا في أيام الفرس».

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تفرد اليعقوبي في كتابه البلدان بذكر تفاصيل عن سامرّاء ، فخصّها باثنتي عشرة صفحة وهي أكثر ما خصص لأي بلد بعد بغداد ، وتميزت معلوماته عنها بالشمول وكانت معتمد الباحثين المحدثين ، ولم تصلنا منه إلا نسخة واحدة طبعها دي غويه مكملة مع كتاب «الأعلاق النفيسة» لابن رسته. ولا نعلم فيما إذا كانت المعلومات الواسعة التي ذكرها كاملة ، إذ لم ينقل من المتأخرين ما كتبه عن سامرّاء غير عبد المنعم الحميري في كتابه «الروض المعطار» حيث نقل صفحات متطابقة مع المطبوع من كتاب «البلدان» وأغفل نقل معلومات أخرى وردت في المطبوع ، وقد نقل الحميري عنه ما كتبه عن القاطول (150) والجعفري (177) والجوسق (82) وسامرّاء (300).

رتب اليعقوبي معلوماته تبعا لتعاقبها الزمني ، فبدأ بالكلام عن أحوال موقعها ، واهتمام بعض الخلفاء العباسيين بها ، ثم تحدث عن الاهتمام بجلب الأتراك ، واستقرار المعتصم على اختيار موقع سامرّاء ، وإعمار الجانب الشرقي. ثم تحدث عن توسعها في زمن الواثق ، ثم في زمن المتوكل ، وبناء الجعفرية وخططها ، والتوسع الذي حدث فيها زمن المعتمد. وشمل بحثه القصور ، والشوارع ، والإقطاعات والأسواق. وكان بحثه المعتمد الأول للباحثين المحدثين ، وبخاصة الآثاريين الذين عنوا بآثار القصور. ولم تكتشف حتى اليوم من كتاب اليعقوبي مخطوطة أو مقتبس عن سامرّاء يضيف أو يعدل ما جاء في المطبوعة علما بأن ما جاء فيها لا يحجب حقيقة أنها غير مستوعبة. أشار المقدسي إلى أحوالها في أيام عز إعمارها ، ثم أفاض في وصف جامعها ومنارتها وأساطين المجامع ، وإلى تدهور أحوالها ؛ وتفرّد بالكلام عن الكعبة التي ادّعى أن المتوكل بناها ليحج إليها الناس.

وخصّ الاصطخري في كتابه «المسالك» سامرّاء بثلاثة أسطر ذكر فيها ما بناه كل من المعتصم والمتوكل وقال «إن العمران في غربي دجلة قليل وإن العمارة منه ما يحاذي سامرّاء أميالا يسيرة ، والباقي بادية» وكلامه أكثر انطباقا على المنطقة ، وليس على المدينة. وأفرد ابن الفقيه تسع صفحات لسامرّاء (143 ـ 151) ذكر فيها أقوالا للشعبي ولإبراهيم بن الجنيد ، ومحاولة الخلفاء العباسيين الأوائل اختيار منطقتها لتشييد عاصمة لهم. ثم ذكر ما شيده كل من المعتصم ، والمتوكل من قصور فيها ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وذكر أشعارا في مدحها ، وذكر معلومات عن النهر الذي عمله المتوكل لإدخال الماء إلى المسجد الجامع وشوارع سامرّاء ، والجسر وتفرّد بذكر هذا النهر وبالقصور التي شيدها المعتصم بقربها. وذكر الشابشتي وصفا لبعض قصور سامرّاء وما شيده المتوكل ، وبعض الأديرة التي بقربها. وأعمالها وضياعها مضمحلة ، قد تجمع أهل كل ناحية منها إلى مكان لهم به مسجد جامع وحاكم وناظر في أمورهم وصاحب معونة يصرفهم في مصالحهم. وكانت مدينة استحدثها أبو إسحاق المعتصم بن الرشيد ، طولها سبعة فراسخ على شرقي دجلة ، وكان شرب أهلها منها ، وليس

بنواحيها ماء يجري إلا أنهار القاطول التي تصبّ بالبعد منها إلى سواد بغداد. وعمارتها ومياهها وأشجارها في الجانب الغربي بحذائها ممتدة ، والمواضع التي ذكرتها مدادا هي مدن قائمة بينها كدور العرباي والكرخ ودور الخرب وصينية سر من رأى نفسها في وسطها ، ومن أول ذلك الى آخره عند دور الخرب نحو مرحلة لا ينقطع بناؤها ولا تخفى آثارها ، وهي إسلامية ، ولما ابتدأ بناءها المعتصم استتمه المتوكل ، وهواؤها وثمارها أصح من ثمار بغداد وهوائها ولها نخيل وكروم وغلات يحمل إلى مدينة السلام. وهي الآن خراب أكثرها ، وكلامه عن تجمع النواحي ومساجدهم الجامعة وإدارتهم قد ينطبق على بعض المستوطنات حولها كالقادسية والمطيرة والماحوزة والدور. ونقل أبو الفدا عن العزيز المهلبي أن سامرّاء على شاطىء دجلة الشرقي ، وهو بلد صحيح الهواء والتربة ، قال وليس فيها عامر اليوم سوى مقدار يسير كالقرية ، «ونقل عن ابن سعيد بناها المعتصم وأضاف إليها الواثق المدينة الهارونية ، والمتوكل المدينة الجعفرية فعظم قدرها» وفي هذا النص إبراز لأهمية الهارونية ، غير أن كلامه من حيث العموم مقتضب ، ولا يشير إلى من سكنها من الناس. خصّ ياقوت سامرّاء بفصل طويل ذكر فيه اشتقاق اسمها وتحديد موقعها وقدمها ، ومحاولات السفاح والمنصور اتخاذها عاصمة لهما ، ووضع الأتراك في بغداد ، ثم نقل ما ذكره المقدسي ، وقصورها وكلفتها ، وقصائد في أحوالها وذكر أنها خربت فلم يبق منها إلا موضع المشهد الذي ترى الشيعة أن به سرداب القائم المهدي ومحلة أخرى بعيدة منها يقال لها كرخ سامرّاء ، وسائر ذلك خراب يباب يستوحش الناظر إليها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كتب التاريخ العام

في كتب التاريخ العام التي تبحث الأحوال السياسية مرتبة تبعا لتعاقبها الزمني معلومات عن سامرّاء وأهلها ، وإشارات إلى بعض المعالم العمرانية فيها ، وبخاصة في زمن المعتصم الذي شيدها ، وإلى الأحداث التي تلت مقتل المتوكل إلى انتقال المعتمد منها إلى بغداد ، حيث تعرضت الأحوال السياسية إلى اضطرابات ذكر خلالها عددا من معالمها العمرانية وتركيب سكانها وبعض أحوالها ، ومن هذه الكتب عدد ألّف بعيد هذه الأحداث ، وأبرزها كتابا تاريخ اليعقوبي ومروج الذهب للمسعودي الذين أورد كل منهما معلومات مقتضبة قيّمة تكمل ما ورد في الكتب المفصلة.

لتاريخ الطبري مكانة في دراسة معالم سامرّاء وأهلها ولابد من أن الطبري قد شهد بعض أحداثها المتأخرة ، كما تابع أحوالها منذ بنائها ، وقدّم تفاصيل واسعة عن كثير من الأحداث التي مرت بها ذكر خلالها تفاصيل متفرقة عن كثير من معالمها العمرانية وتركيب سكانها وأحوالهم ومواقفهم. فكتابه يوازي ، إن لم يفق ، في أهميته كتاب : البلدان لليعقوبي في هذا المضمار.

وكتب الجاحظ رسالة طويلة عنوانها : «مناقب الأتراك» وصف فيها تركيب الجيش العباسي في زمنه ، وعرض لخصائص مجموعاتها ، وخصّ الترك فيها بأربع صفحات ذكر فيها ما تميزوا به ، ومعلوماتها قيّمة ، علما بأنها لا تزيد على ثمن الرسالة.

كتب الآداب العامة

شهدت سامرّاء إبّان مقام الخلفاء العباسيين فيها الكثير من الشعراء والأدباء وأهل الفكر والعلم ومن أبرزهم الجاحظ والبحتري وأبو تمام والكندي وبنو موسى بن شاكر وعدد من الأطباء ، واطلع كثير منهم على الأحداث ، وشارك بعضهم فيها ، وفي كتاباتهم وتراجمهم معلومات متفرقة غنية عن سامرّاء وأهلها وصلنا كثير منها في المؤلفات التي عنيت بالتراجم وأبرزها «معجم الأدباء» لياقوت الحموي ، و «وفيات الأعيان» لابن خلكان : و «نثر الدر» للآبي ، و «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدراسات الحديثة

نشر الدكتور يونس السامرّائي كتابا في ثلاثة مجلدات عن الحياة الأدبية في سامرّاء. كما وضعت دراسات لم تنشر تتصل بالحياة في سامرّاء ؛ أبرزها رسالة بهجت كامل عن المتوكل وعصره ولبيد إبراهيم عن الترك.

وأبرز الكتب في هذا الميدان ما ألّفه هرز فيلد وأحمد سوسة وأحمد عبد الباقي. فأما هرز فيلد فقد عرض في كتابه «تاريخ سامرّاء» معالم المنطقة ، وخطط سامرّاء وبعض أعمال الخلفاء فيها ؛ ويضم بحثه معلومات غنية واسعة مستمدة من مصادر التاريخ والآداب العربية ، ومن بعض الآثار.

وبحث أحمد سوسة في الجزء الأول من كتابه «سامرّاء في عهد الخلافة العباسية» 1948م ؛ موقع سامرّاء ، ومعالمها الأثرية والقاطول الكسروي ، ومنشآت المتوكل ، واستوعب المادة في كتب التاريخ مع تحقيقات ميدانية معززة بخرائط مفصلة.

ونشر أحمد عبد الباقي سنة 1989م كتاب تاريخ سامرّاء في مجلدين بحث فيه تاريخ الخلفاء فيها ، ومعالمها العمرانية ، والحياة الإدارية والفكرية فيها ، وأفاد في نشره عن آثارها مع إضافة ملاحظات قيّمة عن عدد من الآثاريين بمعالم سامرّاء الآثارية التي لاقت اهتماما منهم يفوق ما لاقته أيّ مدينة عراقية أخرى ، ومن أوائلهم فيوليه الذي زار المنطقة ودرس بعض أطلالها ، ووضع سنة 1911 م دراسة عن قصر المعتصم نشرها في «مذكرات علماء والرسائل الجميلة» ؛ وكتب فازلييف سنة 1909م بحثا وصف فيه قصر المعتصم. وقامت البعثة الألمانية بدراسات ميدانية واسعة عن أطلال سامرّاء وآثار معالمها العمرانية ، ونشرت ثمار دراستها في عدة مجلدات ضخمة ، ونشر هرز فيلد دراسة عن سامرّاء ، وتلاها فصول كتبها في مؤلّف «رحلة آثارية في منطقة الفرات ودجلة» صدر سنة 1911م ، ثم أعقبه بدراسة أولية عن قصر بلكوارا ، وقصر العاشق سنة 1912م ، ثم بمقال مختصر عن سامرّاء نشره في الجزء الخامس من مجلة «الإسلام» سنة 1914م ثم دراسات عن زخارف سامرّاء وبعض معالمها الأثرية (برلين 1923م) وتحدثنا أعلاه عن كتابه تاريخ سامرّاء ، ونقلت مخلفاته العلمية إلى متحف بيبودي في أمريكا ومنها خارطة لم تنشر عن معالم سامرّاء العمرانية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونشر الأستاذ كوهنل كتابا عن سامرّاء والفنون الإسلامية (برلين 1939م) وكتب روجرز فصلا عن سامرّاء نشره ضمن كتاب «المدينة الإسلامية» سنة 1970م عرض فيه ملاحظات قيّمة عن سامرّاء.

وقامت مديرية الآثار العامة بدراسات ميدانية لبعض معالمها ، ونشرت تقريرا عن حفريات سامرّاء سنة 1940م ؛ وكتابا عن سامرّاء أصدرته في السنة نفسها ، وكتب ناجي الأصيل بحثا عن سامرّاء نشره في مجلة الأندلس 1947م وآخر نشره في سومر 1947م ؛ كما نشر حافظ الجنابي دراسة نشرها في سومر 1980م ونشرت مجلة سومر في أعداد متفرقة من ثمار الدراسات الميدانية لآثار سامرّاء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التمهيد

التحولات السياسية في الخلافة العباسية خلال الفترة من (247-132هـ \ 749-861م) .

شهد المجتمع العربي الإسلامي بعد قرن وثلث من الهجرة انتقال السلطة إلى أسرة قرشية هي الأسرة العباسية، وكان ذلك أثر تحولات اجتماعية واقتصادية وفكرية وأثر دعوة قامت باسم المبادئ الإسلامية، واستمرت حوالي ثلث قرن.

وكان نجاح الحركة العباسية إشعار باندحار العصبية القبلية وبتفوق المبادئ الإسلامية في الحياة العامة مع التأكيد على المساواة ورفض التمييز. وهكذا جاء إشراك المسلمين من غير العرب في السلطة، وتخلي عن فكرة قيام الجيش على أساس قبلي (وما رافق ذلك من تمزق بسبب العصبية) نتائج طبيعية تتناسب والتحول الاجتماعي. ولكن هذا لا يعني أن الدولة فقدت صفتها العربية، فقد كان العصر العباسي الأول امتدادا طبيعيا في مؤسساته وثقافته للعصر الأموي، وبقي أساس السلطات عربيا في إطار عربي إسلامي (1) .

لقد كان لمجيء العباسيين للحكم إثر في تطور نظام الخلافة، وتطور نظام الإدارة في زمنهم، واشتراك العناصر الأجنبية في الحكم -كل هذه العوامل أثرت في نمو الخلافة وتطوره في عصرهم، مع انه لم يحصل فيه تبدل مهم في وضع الخليفة.

أكد العباسيون نظام الوراثة وضربوا التقاليد القبلية ضربة قوية إذ بنوا حقهم في الخلافة على قرابتهم من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ويظهر ذلك من أقوالهم ودعايتهم، قال أبو العباس (في خطبة الافتتاحية): وخصنا الله برحم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .... وأنبتنا من شجرته .... وانزل بذلك كتابا، فقال فيه:

---

(1) الدوري ، عبد العزيز ، النظم الإسلامية :الخلافة ، بيت الحكمة، بغداد، 1988. ص45وما بعدها . وسيشار اليه ، الدوري، النظم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

..""قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ""(2) قاصداً بذلك إلى أن الله فرض على المسلمين أن يرث رسوله أقرباؤه. فكانت هذه الآية عنوان الحق الشرعي في الحكم عند العباسيين (3).

وقامت الثورة العباسية نتيجة للتحولات الاجتماعية - الاقتصادية، دون حصول تغيير مواز في المؤسسات العامة، وأكدت بدورها التطورات. ويجب ألا يفترض أن قيام الدولة العباسية أحدث تحولا جذريا في المجتمع، فسلطه العلياء بقيت بيد العرب ولكن الاتجاه الذي يمثل نتيجة طبيعة للتطور كان في رفض القبلية في الحياة العامة والسعي لتكوين كيان إسلامي يضم العرب والموالي على أساس من المساواة ومن المشاركة في الإدارة والجيش.

أشرك العباسيون الفرس في السلطة وخاصة أنصارهم في الدعوة ومواليهم من الخراسانية وممن سكن العراق، وسعوا للتخلص من أثر العصبية القبلية فكونوا جيشا نظاميا من بعض القبائل العربية ومن وحدات خراسانية (فارسية وعربية)، وبقيت الكثير من القبائل العربية في الديوان تتسلم العطاء، كما حاولوا إحداث توازن بين الفئات التي تكون منها الجيش.

وأكد العباسيون على مبدأ الوراثة، وربط ذلك بالمشيئة الإلهية التي اختارت آل البيت للحكم، ولم يعد للشورى أو للرأي العام مكان لديهم في أمر الخلافة، ونشأ عن هذا الاتجاه ،وعن تأثير تقاليد الحكم المطلق في المنطقة -وهو تأثير بدأ في العصر الأموي - أن إتجهت الخلافة إلى الحكم المستبد ،

---

(2) القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية 23.

(3) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، (ت 211 هـ / 826م) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق مصطفى . السيد وطارق سالم ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ب ت ج7 ، ص 425 ،، وسيشار اليه ، الطبري، تاريخ ، الاربلي ، عبد الرحمن سنبط (ت 717 هـ / 1317م) ، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك، بيروت: مطبعة جاورجيوس 1885 ،. ص 39. وسيشار اليه ، الاربلي ، خلاصة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأخذ بالوراثة في الأسرة ، وهي وراثة لم يقيدها ألا فكرة العهد لأكثر من واحد مما أفسح المجال للقوى الموجودة للتدخل في أمر الخلافة ، وهذه القوى كانت الأسرة العباسية ،والكتل المتصلة بالقصر (عربية ، فارسية) ، الجيش ، والبيروقراطية ،مما أدى إلى حربين أهليتين في الفترة بين بداية العصر العباسي وأواسط القرن الثالث الهجري (4).

واذا كانت المفاهيم الاختيار والشورى قد اختفت في الواقع ،فإن الفكر بقي يؤكد هذه المفاهيم ، ويرى في العدالة أساس الحكم وفي حق الأمة في النقد والتوجيه (جنب المسؤولية أمام الله) ضمانا لسلامة الحكم(5) ، وهكذا اتسعت الفجوة بين المفاهيم الإسلامية في الحكم وبين طبيعة المؤسسة السياسية .

وصاروا يظهرون غيرتهم على الدين بمطاردة الألحاد والزندقة ، وبدأوا يؤكدون في مراسيمهم النواحي الدينية، فصارت بردة النبي الشارة الأولى للخلافة، يرتديها الخليفة بالمناسبات العامة: كصلاة العيدين، والجمعة، وحين يعلن الجهاد. كما فعل الخليفة المعتمد (256 - 284هـ \870-892م) حين حارب الصفار6، والمقتدر حين حارب مؤنسا(7) .

(4) الدوري ، النظم ، ص53

(5) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي ، الأحكام السلطانية 0القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ،1966 ، ص19-20و33 ؛ وسيشار اليه ، الماوردي ، الاحكام . الدوري ، النظم ،ص76.

(6) عبد الله بن صفار الصريمي التميمي: رئيس الصفرية، من الخوارج. نسبوا اليه - فيما يقال - على غير قياس. وفي صحة رئاسته لهم خلاف طويل ، الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس(ت 1396هـ / 1976م) ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م ، ج4 ، ص 92 و سيشار اليه ، الزركلي ، الاعلام.

(7) الطقطقي ، محمد بن علي طبطابا (ت 709 هـ / 1309 م) ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، القاهرة: شركة طبع الكتب العربية ، 1317هـ\1899م، ص 101، وسيشار اليه لاحقا ، الطقطقي، الفخري ؛ عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول: دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي. منشورات دار المعلمين العالية ؛1 ، بغداد: مطبعة النفيض الأهلية 1945 ،، ص 42. وسيشار اليه لاحقا ، الدوري ، العصر العباسي ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد أكد العباسيون عند مجيئهم للحكم على العودة إلى الكتاب والسنة وأتباعهما في الحكم ، وأحدثوا مجلسا للنظر في المظالم التي يسببها المتنفذين والمسؤولون للأعراب عن تمسكهم بالعدالة ،ألا أنهم لم يحدثوا مؤسسات تعبر عن اتجاههم الإسلامي، بل تأكد الاتجاه الاستبدادي في الواقع .كما أنهم حاولوا أن يوجدوا مؤسسة إسلامية بأحداث منصب قاضي القضاة وبإشرافهم المباشر على تعيين القضاة ،ونجحوا في ذلك لحد ما ، فكانت هذه بداية ساعدت في فترات تالية على تبرير الحكم .وهم في اتجاههم نحو السيطرة الشاملة أحدثوا بدعة التدخل في أمور العقائد حين بدأ المأمون بفرض الاعتزال قسرا وتابعه المعتصم والواثق في ذلك .ولعل الأمر لم يكن فكريا خالصا ، فتوسع العامة في بغداد وموقفها السلبي ،أن لم يكن المعادي ،من المأمون ،وتشجيع بعض القوى لاتجاهات دينيه مضادة (زندقة ،إسماعيلية) وخوف العباسيين من تضارب الاتجاهات على سلطانهم – لعل كل ذلك يلقي الضوء على هذا الاتجاه. ولكن المهم أن هذه السياسة أربكت الأساس الإسلامي الذي أراده العباسيون.

ويتبين من ظروف العهد للأمين والمأمون والحرب الأهلية التالية أن التعاون والتوازن الذي أريد بين العرب والخراسانية (الفرس) ، لم يتحقق ،فقد ظهر تكتل بين المجموعتين وكان النصر حليف الخراسانية .وبصرف النظر عن حقيقة ميول كل من الأمين والمأمون ، فقد بداء للناس في العراق آنئذ أن الصراع بين العرب وأنصار العربية وبين الفرس ، وهذا واضح في قصائد الرثاء الأمين ، وفي ثورة أهل بغداد على الحسن بين سهل والي بغداد للمأمون ، وفي الثورات العربية التي قامت في العراق آنئذ (ثورة بن شبث في الجزيرة وثورة ابي السرايا في الكوفة) ، وقد أدرك المأمون ذلك فكان موقفه من العرب لا يخلو من خيبة وبدأ في إسقاط جماعات منهم من الديوان (8).

(8) الدوري ، التكوين التاريخي للأمة العربية، نشر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1983 ، ص78 ، وسيشار اليه ، الدوري ، تكوين .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولعل الظروف المذكورة جعلت المأمون يتجه إلى أبي اسحق المعتصم ويجعله خلفه بدل ابنه. وقد عرف عن الأمير آبي اسحق ميله إلى اصطناع جند من الأتراك ، ثم توسع في اصطناعهم وهو خليفة وقرب رؤساءهم مما اثأر القادة العرب في الجيش وجعل بعضهم يتآمر مع العباس بن المأمون ،وحين كشفت المؤامرة كان التنكيل بجل هؤلاء القادة ، وتأكد زعم المعتصم على الاعتماد على المماليك الأتراك وجهد في الاستكثار منهم ، بل وإنشاء عاصمة جديدة (سامراء) لتكون مركزهم كما انه اسقط العرب نهائيا من ديوان الجند ومع أن ذلك بداية التجزئة في أراضي الخلافة كانت منذ مطلع الدولة العباسية ،فإنها ظهرت بوضوح بتسلط الأتراك وتضعضع كيان الخلافة نتيجة حركات انفصالية قادتها شخصيات طموحة أو ثورات ، وظهرت إمارات عده ترتبط بالخلافة شكلياً في القرن الثالث الهجري \ السابع الميلادي، من الواضح أن الطموح الفردي استجابة محلية في بعض الحالات في البلاد التي قام بها كيانات مثل إيران (الطاهرية) ومصر (الطولونية) والمغرب، ولم يكد ينتهي القرن الثالث حتى أصبح جل أراضي الخلافة خارج سلطانها الفعلي.

ويظهر الأثر الديني قوياً في لقب (إمام)، الذي كان المأمون أول من اتخذه رسمياً، وكان معروفاً معرفة اعتيادية قبله (9).

أصبح السلطان عند العباسيين مقدساً، مستمداً من الله، قال المنصور يخطب في مكة :(يا أيها الناس أنما أنا سلطان الله في أرده، أسسوكم بتوفيقة وتسديده، فارغبوا إلي، وسلوه أن يوفقني الرشاد والصواب، وان يلهمني الرأفة بكم، والإحسان لكم) (10).

(9) المسعودي ، علي بن الحسين ، (ت 241 هـ / 855 م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق ، قاسم . الشماعي ، دار القلم ، ج3 ، ص239. بيروت ، 1525 م ، وسيشار اليه لاحقا ، المسعودي ،

(10) ابن عبد ربه الأندلسي (ت. 328 هـ / 940م) ، العقد الفريد ، مفيد محمد قميحة ، ج3 ، ص 370. دار الكتب العلمية ، 1983م ، وسيشار اليه لاحقا ، الاندلسي ، العقد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد إدعى العباسيون بين الناس انهم فوق مستوى البشر. قال عبد الصمد بن علي عند البيعة للأمين(175هـ \ 791م) (وعمره خمس سنين): (يا أيها الناس لا يغرنكم صغر السن فإنها الشجرة المباركة، أصلها ثابت وفرعها في السماء(11) .

ولم يكتفوا بهذا بل بثوا بين الناس منذ البدء أن الخلافة ستبقى في أيديهم إلى الأبد، يدل على ذلك ما يرويه الطبري من إبراهيم الأمام أرسل إلى أبي مسلم راية اسماها (الظل) وتأويل الظل (كما يقول الطبري) أن الأرض لا تخلو من الظل ابداً، وكذلك لا تخلو من خليفة عباسي أبد الدهر (12). وقول داوود بن علي :(واعملوا (يخاطب الناس) أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم)(13).

ونتج عن إشراكهم للفرس في الحكم أن تأثروا (ولو قليلاً، اقل مما تصوره لنا المصادر التي لعبت بها اجدي الشعوبية) بأنظمة الحكم الفارسية فأخذوا الكثير من مراسم الأكاسرة الفخمة، وتأثروا بنظرتهم الاستبدادية ، ويقول أرنولد عن الخلافة العباسية :(ربما ورث هذا الشكل الاستبدادي في الخلافة عن الفرس ... لان هذا النوع من النظام العباسي لم يعرفه عرب الجاهلية، ولا يتفق مع روح المساواة في القرآن أو مع نظرة المسلمين الأول). ويبين أن الأبهة في رسميات البلاط ساعدت على زيادة سلطان الخليفة والرهبة منه (14).

وكان من إثر الفرس في العصر العباسي الأول أن اخذ العباسيون نظام الوزارة عنهم، وبّلك كون الخلفاء لأنفسهم معاونين أو أشباه شركاء لهم في السلطة في بعض الأحيان. ولكن الخليفة بقي المسيطر الحقيقي والحاكم المطلق يشرف على الوزراء، وينكل بهم متى تطرقوا في سلطتهم. أو أصبح نفوذهم خطراً عليه (كما حصل للبرامكة وبني سهل)(15).

---

(11) اليعقوبي ، أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب ، (ت 858 هـ / 1454م) ، البلدان ،تحقيق دي غويه بريل ، ج3 ، مطبعة ليدن ، 1251 م ، وسيشار اليه لاحقا ، اليعقوبي، تاريخ .

(12) الطبري، تاريخ ، ج7 ، ص 356.

(13) الاربلي، خلاصة ، ص 40.

(14) الدوري ، النظم ، ص48

(15) الدوري ، النظم ، ص 62.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكانت الخلافة في هذا الدور تستند إلى عهد الخليفة السابق، ولكن مشكلات الوراثة نتجت من استمرار العباسيين في خطا وقع فيه الأمويون قبلهم، وهو العهد لأكثر من رجل واحد.

ونحن نرى في عهد أبي العباس لأخيه المنصور ومن بعده لعيسى بن موسى استمراراً مباشراً لما كان يحصل أحيانا عند الأمويين، وهو العهد للبارزين في العائلة المالكة، وقد كان هذا ضروه سياسية اقتصادها وضع الخلافة الحرج.

وكان من إثر تجاهل الرأي العام محو التقاليد في قضية السن حيث عهد الرشيد للأمين وعمره خمس سنين، وتأكيد الوراثة من الأب للابن. وقد ترك هذا المبدأ مبتوراً بتأثير نظام التعدد في وصية العهد فكان العصر العباسي الأول عصر نضال بين مبدأ العهد لأكثر من ابن، ورغبة كل خليفة في أن يخلف ابنه.

كان لتقريب الأتراك ولتعاظم نفوذهم آثار سيئة مؤلمة في نظام الخلافة وفي وضع الخلفاء. وليس هذا بغريب لأن الأتراك لم تكن لهم تقاليد حضرية سابقة (يسميهم الجاحظ بدو العجم)، أو إدراك لشؤون السياسة والإدارة، أو فهم لأسسها النظرية (كما كانت الحال عند الفرس)(16).

وعلى الرغم من أن فترة استبداد الأتراك كانت قصيرة، بين مقتل المتوكل (247هـ \ 861م) ومجيء المعتمد (256هـ \ 869م)، كان نفوذهم قوياً، وظل أثره واضحاً حتى الغزو البويهي (334هـ \ 945م) ، ولذا صار من الضروري أن نعد الفترة الكائنة بين (247 و334هـ \ 861- 945م) دوراً واحداً من أدوار الخلافة مع ملاحظة بعض الاستثناءات، فقد رجعت هيبة الخلافة في زمن المعتضد والمكتفي(279 - 295هـ \ 892- 907م) وقل نفوذ الترك قلة ظاهرة.

تتميز هذه الفترة التي تلت خلافة المعتصم ببدايات النفوذ التركي ، وبتدخلهم في اختيار الخلفاء تدخلاً يتراوح بين ممارسة بعض التأثير والتعيين التام.

(16) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (255 هـ / 868م)، رسالة مناقب الترك، في: رسائل الجاحظ الرسائل السياسية، ص 43. وسيشار اليه ، الجاحظ ، رسالة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان الخليفة الواثق فاتح باب الفوضى في نظام الخلافة لأنه رفض أن يعهد إلى أحد(17) ، وبذلك ترك الأمر لرجال الحاشية والجيش ليرشحوا من يشاءون. وقد اجتمع مجلس مكون من قاضي القضاة، والوزير، واثنين من رؤساء الكتاب، واثنين من زعماء الترك وهما يتأخ ووصيف فاختاروا المتوكل (أخا الواثق) واهملوا ابن الواثق لصغر سنه(18) .وكان للأتراك إثر مهم في اختيار المتوكل، فوصيف كان أول من احتج على المبايعة لابن الواثق، ويظهر انهم اقترحوا اختياره على المجلس وكانوا سبب ذلك(19) .

ثم قتل المتوكل بعد صراع طويل بينه وبين الترك على السلطة (20) فكانت نتائج ذلك وخيمة على الخلافة إذ انه كان فاتحة سلسلة من التعيينات للخلافة، ومن التعدي على الخلفاء بالقتل والسجن والخلع دون مبرر. وهذه السابقة كانت الفاضية على الاحترام التقليدي، وبهذا صار الترك سادة الوضع. (21)

وتلت ذلك فترة تسع السنوات (256-247هـ / 861- 869م) وفيها انفراد الترك بتعيين من شاءوا أو عزله حسب ما املته عليهم أهواؤهم ورغباتهم، فلم يراعوا مزايا مرشحيهم بل كان همهم حفظ مصالحهم وتجنب أولاد المتوكل خوفاً من ثأرهم (22).

---

(17) وقيل له، الواثق، في البيعة لابنه، فقال: لأبراني الله اتقادها حياً وميتاً، اليعقوبي، تاريخ ، ج3 ، ص 208.

(18) قيل عن ابن الواثق، غلام امرد، وقال وصيف، لا تجوز معه الصلاة، الطبري، تاريخ ، ج10 ، ص 154.

(19) الطبري، تاريخ ، ج10 ، ص 154 ، واليعقوبي، تاريخ ، ج3 ، ص 218. يقول، وكان أول من بايعه سيما التركي ووصيف التركي.

(20) عبد العزيز الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد: شركة الرابطة للطبع والنشر 1946 ،، ص 48-56و58 ، وسيشار اليه لاحقا ، الدوري ، دراسات .

(21) الدوري، النظم ، ص 50.

(22) الدوري، النظم ، ص 59-73؛ الطبري تاريخ ، ج10 ، ص 75-76-256؛ اليعقوبي، تاريخ ، ج3 ، ص 228؛ الطقطقي، الفخري ، ص 220 ، بيروت 1997م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أعتمد العباسيين في الواقع على أنصارهم ومواليهم من أشراف الفرس ومن الخراسانية بالدرجة الأولى ، ومع اهتمام البعض من هؤلاء بالتراث الفارسي(23) ، فأنهم وأبناءهم خاصة، تعربوا كليا. (24)

وأوجد العباسيون جيشا نظاميا، كان العرب أحد عناصره، فاتجهت جماعات من العرب إلى الحياة المدنية والى المشاركة في الفعاليات الاقتصادية. وتأكد هذا الاتجاه لما قلص المأمون أعداد العرب المشاركين في الديوان، ثم حين أسقط المعتصم (ت227هـ \842م) العرب كليا من الديوان، وهكذا اتجه العرب، على نطاق ملموس، إلى الاستقرار في القرى والأرياف لزراعة الأرض، والى المساهمة الفعالة في التجارة. وأدى إلى إسقاط العرب من الديوان إلى عودة التوتر بين البدو وأهل القرى، والى عودة الغارات البدوية على السهول والى أضرار بالاقتصاد الزراعي(25) .

اتجه العرب إلى الفعاليات الاقتصادية وبدأ الازدهار التجاري والصيرفي، وأصبحت التجارة طليعة النشاط الاقتصادي، كما اتجه الاقتصاد إلى استغلال الأرض، وازداد اهتمام زمن العباسيين بامتلاك الأراضي باعتباره مصدر دخل ثابت وبرزت ظاهرة الملكيات الكبيرة في هذه العصر نتيجة توفر المال والنفوذ. فكان الأمراء والقادة والتجار بين كبار الملاكين، وبقي الإقطاع من الصوافي26 ومن الأرض الموات27، إضافة إلى الشراء، من مصادر التملك كما ساعد إلجاء على توسيع الملكيات (28).

---

(23) الدوري ، التكوين ، ص 45 .

(24) الدوري النظم ، ص 72 ، هملتون جب ، دراسات في حضارة الاسلام ، تحرير ستانفورد شووليم بولك ، ترجمة احسان عباس ، محمد يوسف نجم ومحمود زايد ،ط2 (بيروت 1974)، ص94 ، وسيشار اليه ، جب ، دراسات

(25) الدوري ، تكوين ، ص 48

(26) الصوافي في الأساس أراضي الأسر الحاكمة السابقة وأراضي بعض النبلاء، ومن قتل أو جلا أثناء الحرب، وكل أرض من دون مالك بعد الفتح مباشرة ، كاتبي ، غيداء خزنة ،الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري: الممارسات والنظرية. ، مركز دراسات الوحدة العربية، 1997م ، ص297-298، و سيشار اليه لاحقا ، كاتبي ، الخراج .

27 وهي الارض التي تتملك عن طريق احيائها و تملكها المسلمون في بلاد الشام بعد الفتوح وكانت في عداد الاراضي العشرية ، ومنها اقطاع الجند في منطقة عكا ، البستاني ، عبد الله ، فاكهة البستان ، د.ط ، المطبعة الامريكية ، بيروت ، لبنان ، 1930م ،ص 1293 ، وسيشار اليه ، البستاني ، فاكهة البستان .

(28) جب ، دراسات ، ص 98

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكانت الفعاليات الثقافية في البدء محلية في نطاق مدينة في الغالب، ثم جاءت مرحلة الرحلة في طلب العلم والتبادل الثقافي بين الأمصار وجمع الأحاديث والإخبار ومتابعة الدراسة في بلاد أخر في القرنين الثاني والثالث للهجرة، وعزز هذا الاتجاه نشاط حركة التدوين التي يسرها إدخال صناعة الورق في أواخر القرن الثاني الهجرة. وهذا مكن من تثبيت خطوط الثقافة العربية الإسلامية وحفظ تراثها (29).

وأَدّت حياة الترف والرخاء التي كان يعيشها الأمراء، والوزراء إلى نهضة عمرانية كبيرة، شهدها العصر العباسي الاول ، تمثلت ببناء المدن ، أبرزها بناء مدينة بغداد ، على يد الخليفة ابو جعفر المنصور ، ثم بناء مدينة سر من رأى (سامراء) على يد الخليفة المعتصم ، ثم بناء مدينة المتوكلية على يد الخليفة المتوكل ، تسابق الأمراء والكبراء إلى بناء القصور الفارهة والدور الواسعة، وافتنُّوا في تزيين هذه القصور، فكانوا يستجلبون لها الرُّخام من الدولة البيزنطية، إضافةً إلى تشييدها بالآجر، وزخرفتها بلوحات الفسيفساء النفيسة التي كانت آياتٍ من آيات الجمال، ورصّعتْ هذه القصور بالتماثيل، والستور المزركشة بلوحات الطرد والصيّد، إضافةً إلى الكتابات الفنية بماء الذهب والفضة، وبُثَّت في حجراتها الزرابيّ ولآرائك الموشاة والمطرّزة بأبهى الرسوم. ولم يقتصر الأمر على القصور ذاتها، بل راحوا يحيطونها بالحدائق التي استجلبت لها الأزهار من كل صنف ولون، والبساتين الواسعة التي غُرست فيها الأشجار المثمرة بضروبها المختلفة. (30)

---

(29) الدوري، النظم الإسلامية، ص55.

(30) أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين (ت 732 هـ / 1332م) ، اليواقيت والضرب في تاريخ حلب ،محمد كامل وفالح البكور ، دار القلم العربي بحلب ،ط1 ، 1410هـ - 1989م. ص 110، وسيشار اليه ، أبو الفداء، ، اليواقيت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رغب الخليفة المنصور في اتخاذ حاضرته الجديدة بغداد وسط أرض خصبه يرويها ماء دجله والجداول التي أخذ ماءها من دجلة ، وفى مكان تسهل فيه المواصلات بين أجزاء دولته وتتوافر فيه سبل المعيشة. فأرسل رواداً يختارون له مكاناً يبنى فيه حاضرته الجديدة. فدلوه على موضع فخرج إليه في جماعه من رجال بلاطه وباتوا فيه ، ولما أصبح سأل رجاله عن رأيهم في هذا المكان فذكروا له طيب هوائه وجودة غذائه فأعجبه المكان ووجد فيه الذى يفي بأغراضه ثم دعا المنصور أهل تلك النواحي وسألهم عن المكان ،كيف هو في الحر والقر وكيف هي أمطاره ؟فأخبره كل منهم بما عنده من علم ،وزياده في التأكد بعث رجالاً من الأعيان عنده وباتو في ذلك المكان وأتوه بأخبارهم .فأعجب المنصور موقع بغداد لما فيه ما ذكره البغدادي في تاريخه .قال :مزرعة يقال لها المباركة يحسن النزول بها لوقوعها بين أربعه نواحي ،وورود المؤن إليها من الشام والجزيرة ومصر والهند والسند والبصرة وواسط وأرمنية وأذربيجان عن طريق دجله والفرات وفروعها .وهذا الموقع لفت إليه ابن خلدون في مقدمته فقال في أوضاع الحواضر واختيار المدن(31):

"إما أن تقع على هضبه متوعرة من الجبل، وإما باستدارة بحر أونهر بها حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور، وطيب الهواء للسلامه من الأمراض، وقرب الزرع منها ليحصل الناس على الأقوات " وختم كلامه بقوله: لكن العرب لم يراعو هذه الشروط في اختيار مواقع المدن التي أسسوها كالبصرة والكوفة والقيروان التي كانت أقرب إلى الحواضر لأنها لم تراع فيها الأمور الطبيعية، وقد استقر الاختيار النهائي على مكان تأسيس مدينه بغداد في يوم 5 من ربيع الثاني سنه (144هـ/761م).

قد استغرق بناء بغداد أربعه أعوام تقريباً (145- 149هـ\762-766م) وقبل التخطيط أحضر المنصور المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والمساحة وتقسيم الأرض كما جلب إليها الصناع والفعلة من الشام والموصل والبصرة والكوفة وإيران (32).

(31) البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت463هـ/ 1071م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام - دار الفكر - بيروت - د.ت. وسشيار اليه ، البغدادي ، بغداد .

(32) علي ، ظريف عبد المجيد الأعظمي ، موجز تأريخ بغداد القديم والحديث ، بغداد ، 1926م. ص 55وسيشار اليه ، علي ، موجز .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقيل إن المنصور أراد أن يولى القضاء لابي حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي، فمنتع فحلف ألا يتركه حتى يوليه عملا من الأعمال، وحلف ابوحنيفه ألا يفعل ، مما حدا المنصور عن معامله أبي حنفه هذه المعاملة رغبته في التحلل من يمينه والخروج منها ،وذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن المنصور عامل أبي حنيفة هذه المعاملة لما رمى به من الإنحياز إلى دعوة محمد النفس الزكيه واخيه إبراهيم ،فحفظ له المنصور ذلك، فلما شرع في بناء بغداد، عهد إلى أبي حنيفة في عد اللبن والإشراف على البناء ،فأبتكرر طريقه لعد الطوب بالقصب .وهى طريقه سهله ،فأن كان طول الطوبة 30سم ،أتى أبي حنيفة بقصبه قاس بها صف الطوب ،وامكنه بذلك معرفه عدد الطوب بالضبط في زمن قصير وبدون عناء ،وقد احضر أبو حنيفه قصبه يعد بها اللبن والآجر، ثم وضع أبو جعفر المنصور أول لبنه بيده قال :بسم الله والحمد لله والأرض لله يورثها من عباده والعاقبه للمتقين، ثم قال: "ابنوا على بركه الله ". وذكروا أن المنصور أحب أن ينظر ألى بغداد ويدرس تخطيطها قبل أن يحفر الأساس، فأمر أن تخط طرق المدينة بالرماد، ثم اقبل يدخل من كل باب ويمر في فصلاتها وطاقاته ، رحابها وهي مخطوطة بالرماد، ثم أمر أن يوضع على تلك الخطوط حب القطن ويصب عليها النفط، وتوقد فيها النار، فنظر أليها والنار تشتعل وبذلك الوقوف على رسم مدينته الجديدة، ثم حفر الأساس مكان هذه الخطوط (33)،

ولقد بنيت بغداد على شكل دائري وهو اتجاه جديد في فن البناء و كان ذلك سنة (145هـ \ 792م) المدن الإسلامية ،لان معظم المدن الإسلامية كانت أما مستطيله كالفسطاط أو مربعه كالقاهرة أو بيضاوية كصنعاء .ولعل السبب يرجع إلى أن هذه المدن نشأت بجوار مرتفعات حالت بدون استدارتها ،أو لعل المنصور قد تأثر بهندسة ببعض العواصم الفارسية القديمة مثل مدينه همذان مثلا ، والمهم هنا أن خطه بناء بغداد تعتبر ظاهره معماريه جديده في الفن المعماري الإسلامي34 .

(33) الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص 89، العلاف ، عبد الكريم بن مصطفى البغدادي ، بغداد القديمة ، بغداد - مطبعة المعارف ، بغداد1960م. ص 36وسيشار اليه ، العلاف ، بغداد

34 حسين عبد الرزاق عباس ، نشأة مدن العراق وتطورها ، ص42، المطبعة الفنية الحديثة،بغداد، 1973م ، . ، وسيشار اليه لاحقا ، حسين ، مدن العراق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتطلب بناء بغداد كثيرا من النفقات، لان المنصور عمل على تحصينها تحصيناً منيعاً لتحاكى الحواضر الكبيرة، وخاصة القسطنطينية حاضره الروم فقد بلغت نفقات المدينة وما اليها من الأسوار، والأبواب، والقصر والجامع، والأسواق والقباب والفصلان والخنادق وغيرها (35) مليون دينار من الذهب على رواية الطبري وهكذا تأسست مدينه بغداد في عهد أَبي جعفر المنصور، وقد بقيت المدينة على حالها إلى سنه(656هـ \ 1258م) ، حين خربها التتار بقياده هولاكو... (36) ويعتبر الكرخ من ملحقات بغداد، فقد حدث أن زار رسول ملك الروم الخليفة أبا جعفر المنصور، فأمر هذا حاجبه الربيع بن يونس فطاف به المدينة، فلما عاد قال له: كيف رأيت مدينتنا؟ قال رأيت بناء حسناً إلا اننى رأيت أعداءك معك فيها وهم السوقة فالجواسيس يوافون من جميع الأطراف (37).

ومن مظاهر العمران الأخرى في ذلك العصر انتشار الأديرة على نطاق واسع في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية، حيثُ كانت هذه الأديرة تقام - في أكثر الأحيان - على مساحات شاسعة، وتُلحق بها البساتين والحدائق، إضافةً إلى بناء هذه الأديرة وقلاليها على طُرزٍ معماريةٍ بديعةٍ كانت تستهوي الناس فيكثرون من زيارة هذه الأديرة للاستمتاع بجمال رياضها ونقاء هوائها. ومن أشهر هذه الأديرة «دير الكلب»، ووصفه قديما «بأنّ له خاصيّته في برء عضة الكلب، وله عيد في وقت من السّنةِ...» (38)، ودير الزعفران، ودير العذارى، ودير الشياطين، ودير سعيد وغيرها من الأديرة المنتشرة في الموصل وبغداد(39).

وقد أثرت هذه الديارات في الحركة الثقافية، فقد كان فيها كثير من الرهبان يتمتعون بثقافةٍ واسعةٍ، ولاسيما علوم الطب والفلسفة اليونانية والسريانية ولعلَّ في الكتب التي صنفت في الديارات دَليلاً على أهميتها .

---

(35) حمدى عبدالمنعم حسين، الدوله العباسيه ، ص 67، دار المعرفه الجامعيه ، 2006م، وسيشار اليه ، حمدي ، الدولة

(36) الخازن ، وليم ، الحضاره العباسيه ، ص 67، دار المشرق ، بيروت ، 2009م ، وسيشار اليه لاحقا ، الخازن ، الحضارة

(37) حسين ، مدن العراق ، ص42

(39) إبراهيم ، محمد عبد العال ، العمارة والعمران في العالم العربي ، ط3 ، دار الراتب الجامعية : بيروت . ص 65 ، وسيشار اليه ، ابراهيم ، العمارة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول خطط سامراء

الجغرافية التاريخية للموقع
خطط سامراء
أسباب بناء سامراء
غرض الخلفاء من تأسيس المدن
البحث عن المكان
اختيار الموقع
التطور التاريخي للاستيطان البشري في سامراء
تخطيط المدينة
عمران سامراء
مواد بناء سامراء والعمائر الأخرى
مدينة المتوكلية وقصورها وعمائرها الأخرى والمواد الداخلة فيها
تقدم الصناعة
الآثار الاقتصادية السلبية للسياسة العمرانية في عهد المتوكل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجغرافية التاريخية للموقع

خطط سامراء:

خلال فترة عصر الرسالة والراشدين لما كان العرب جنوداً محاربين، كان عليهم عدم السكن في المدن القديمة وان ينزلوا بمواضع نائية عن المدن الموجودة فمثلاً بنيت مدن في العراق مثل البصرة والكوفة لصيانة اللغة العربية والمحافظة على نقاء الدماء العربية من المؤثرات الأعجمية (40)، وزيادة على ذلك فأن العرب المسلمين حينما اختطوا تلك المدن فأنهم لم يختطوها اعتباطا أو كيفما اتفق وإنما كانوا يتخيرون مواضع مدنهم ويتفحصون أمكنتها تفحصاً طوبوغرافياً لذلك وضعوا شروطاً وقواعد لبناء المدن.

في دراستنا للأوضاع العامة في العصر العباسي يتضح لنا وجود العديد من الصراعات السياسية والفكرية والثقافية التي تركت أثر واضح في الدولة وأركانها، لذا عمل الخلفاء على توطيد حكمهم من خلال فنون العمارة التي برزت في إنشاء المدن، ولعل من أبرز المدن التي تم إعمارها بغداد وسامراء، أما بالنسبة لمدينة سامراء فان السبب المباشر لنقل الخليفة المعتصم بالله (218-227هـ/832-841م) مقر الخلافة من مدينة السلام إليها فإن وراءه دافع سياسي وعسكري. والخليفة المعتصم بالله عندما جاء إلى الخلافة بعد وفاة أخيه المأمون، أكمل مشروع المأمون بجمع الجند الأتراك، وكان هؤلاء يؤذون الناس في بغداد فضاقت بهم المدينة، وتذمر أهل بغداد وتقدموا بالشكوى إلى الخليفة المعتصم بالله(41) ، وهؤلاء الجنود الترك بلغ تعدادهم سبعين ألفا ومدوا أيديهم وآذاهم إلى الناس وسعوا في بغداد فساد لذلك وطد العزم على الخروج بجنده من بغداد فاختار سامراء وبني فيها قصرا فخما ومسجدا عظيما وبني عساكر ودورا حول قصره(42) .

---

(40) الأطرقجي ، رمزية ، بناء بغداد في عهد أبي جعفر المنصور ، مطبعة النعمان ، (النجف ، 1967م) ، ص17 ، وسيشار اليه ، الأطرقجي ، بناء بغداد

(41) ابن الطقطقي ، الفخري. ص 111 ، الموسوي ، مصطفى عباس ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية ، دار الرشيد ، بغداد ، 1982م ، ص 143. وسيشار اليه ، الموسوي ، العوامل .

(42) شلبي ، أحمد ، موسوعة التاريخ الإسلامي الخلافة العباسية مع اهتمام خاص بالعصر العباسي الأول مكتبة النهضة المصرية ، ط ، 6 ،ج 3، القاهرة ، 1978م ، ص 230. وسيشار اليه ، شلبي ، موسوعة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا يدل على إن السبب الأساسي الذي دفع الخليفة المعتصم بالله إلى نقل مقره إلى موضع آخر كان سياسيا وعسكريا هو خوفه من الثورة عليه وعلى جنده وذهاب الأمور من يده.

ومما يشار اليه هنا ان الخلافة الاسلامية ضمن هذه الفترة قد مرت بالكثير من مراحل الضعف والقوة وان مدة حكم خلافة بني العباس في سامراء ممثلة بالمدة من(221هـ/ 835 م) الى (279هـ / 892م) قد شكلت فترة تداخل فيها عصر قوة الدولة من سنة(132هـ /749م) الى سنة (232هـ/ 846م) وعصر استبداد المماليك الأتراك من سنة (232هـ/846م) الى (334هـ/945م) وقد تناوب على الخلافة الاسلامية ضمن المدة التي بقيت فيها سامراء عاصمة لبني العباس ثمانية خلفاء .

أسباب بناء سامراء

إن انتقال عاصمة الخلافة العباسية من بغداد إلى سامراء هي نقطة تحول بالنسبة للخلافة , والغرض من دراسة موضوع الأحوال الاقتصادية والموارد المالية في عهد الخليفة المعتصم هو الوقوف على إهتمام الخليفة بالناحية الاقتصادية , وما لها من أهمية إيجابية للخلافة , وكذلك الموارد المالية التي تشكل مورد ا كبير لخزينة الخلافة العباسية وبالتالي يساعد على بناء مؤسسات الخلافة العباسية , فقد عني الخليفة المعتصم بالله بالزراعة باعتبارها ناحية مهمة لاقتصاد الخلافة العباسية وعنايته بالصناعة باعتبارها قطاعا حيوياً ومنعشاً لاقتصاد لدولة , وكذلك بالتجارة باعتبارها حلقة وصل بين الشرق والغرب , وربط الدولة العباسية مع الدول الأخرى عن طريقها وطرق منافذها المائية الحدودية , وحركة تبادل السلع المستوردة من بلدان الهند والصين ومصر وأفريقيا الشرقية , فضلا عن الموارد المالية, التي تدر موردا مهما لإنعاش الحياة العامة للدولة العباسية , كالخراج مثلا والزكاة والجزية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن للعامل الاقتصادي أثراً ودوراً مهمين في قيام واستمرار الدول وبقائها لذي نرى هذه الدول على اختلاف أزمانها وأماكنها تولي هذا الجانب أهمية كبرى من أجل استمرار وزيادة وتعزيز قوتها السياسية والعسكرية ولما كانت الزراعة عصب الحياة الاقتصادية آنذاك زاد الاهتمام بها وصار يرد إلى خزائن المال الحكومية من ضرائب كبيرة، وهي ما يطلق عليه في التاريخ الإسلامي بـ(الخراج)(43) و (عشور الزكاة)(44)

يقول الطبري (بأن غلمان الخليفة المعتصم من الأتراك لا يزالون يجدون الواحد بعد الواحد منهم قتيلا وذلك أنهم كانوا عجما جفاة يركبون الدواب فيتراكضون في طرق بغداد وشوارعها فيصدمون الرجل والمرأة ويطؤون الصبي فيأخذهم الأبناء فينكسونهم عن دوابهم ويجرحون بعضهم فربما هلك من الجراح بعضهم فشكت الأتراك ذلك إلى الخليفة المعتصم بالله وتأذى بهم العامة)(45) .

---

(43) الخراج ، الخراج يعني المال الذي لايؤخذ ، او يجبى من الأرض الزراعية التي في مضمونها تقترب من مفهوم الملكية العامة والتي ضمت الى حضيرة الدولة الأسلامية عنوة وحرباً ، والخراج في اللغة يعني الكراء والمال المؤخوذ من خراج الأرض الخراجية مصروف في مصالح جميع المسلمين لأنه وقف على عامة المسلمين ، والتي منها ارزاق الجند وأعطياتهم وتحصين الثغور ، وشق الجداول . الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب (ت450 هـ / 1058م) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، بيروت ، 1978 ، ص142؛ وسيشار اليه ، الماوردي ، الاحكام ، ابن عساكر ، ثقة الدين أبو القاسم (ت 571هـ/1175م) التاريخ الكبير ، تحقيق عبد القادر بدران ، مطبعة روظة الشام 1329هـ ، ج1 ، ص77. وسيشار اليه ، ابن عساكر ، التاريخ .

(44) الزكاة وعشورها : الزكاة ممدود النما والربح ، والزكاة ما أخرجه الله من الثمر ، وارض زكيه طيبة ، وأصل الزكاة في اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح ، وقد تسمى الزكاة بأسم العشر ، والزكاة في الغلات أربع أنواع هي : الحنطة والشعير والتمر والزبيب ، وأجمع العلماء على أنه لا زكاة في الثمار والزرع دون خمسة اوسق والوسق ، ستون صاعاً ، فإذا بلغ النصاب الواجب كان فيه العشر وأن كان سقى سيحاً او شرب بعلاً وان سقي بغير ذلك فيه نصف العشر، ابن منظور ، ابو الفضل بن مكرم (ت: 711هـ/ 1311م) ، لسان العرب ، بيروت ، 1970م، وسيشار اليه ، أبن منظور ، لسان العرب ، ج 6 ، ص46 - 56. الخراج ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، بيروت ، دار المعرفة ، 1979 ، ص112 ، الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، بولاق ، القاهرة ، 1289هـ/1872م ، ج4 ، ، ص890. وسيشار اليه ، الفيروزبادي ، القاموس .

(45) الطبري ، تاريخ ، ج 9 ، ص 18 ، المسعودي ، مروج الذهب ج 4 ، ص 53 ، ول ديوانت ، قصة الحضارة عصر الإيمان ، ترجمة محمد بدران ، لجنة التأليف والنشر في جامعة الدول العربية ، د.م.، د.ت ، مج 4 ، ج 2 ، ص 88 ، وسيشار اليه لاحقا ، ول ، قصة ، سرور ، محمد جمال الدين ، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، القاهرة ،، 1968م ، ص 22. وسيشار اليه لاحقا ، سرور ، تاريخ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يبدو إن الأتراك بحكم البيئة التي أتوا منها وتشكيلهم العسكرية بعكس سكان بغداد ونتيجة إيذائهم للعامة وتدخلهم بحرم الناس اضطر الخليفة لان يهجر بغداد مع جنوده وخاصة بعد أن اشتكى الناس وأهل بغداد ذلك إلى الخليفة المعتصم، وقالوا له: (تحول عنا وإلا قاتلناك، فقال: وكيف تقاتلوني وفي عسكري ثمانون ألف دارع، قالوا: نقاتلك بسهام الليل -يعنون الدعاء- فقال الخليفة والله مالي طاقة)(46)

وفي رواية أخرى يقول: (في سنة عشرين ومائتين خرج الخليفة المعتصم إلى سامراء لبنائها وكان سبب ذلك انه قال: أنى أتخوف هؤلاء الحربية(47) أن يصيحوا صيحة فيقتلون غلماني فأريد إن أكون فوقهم فان رابني منهم شيء آتيتهم في البر والبحر حتى آتى عليهم فخرج إليها فأعجبه مكانها)(48) .

---

(46) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص 174 ، ابن تغري بردي ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الاتاكي (ت 874 هـ / 1469م)، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ، ط1 ، القاهرة ، 1349هـ ، 1930م ج 2 ، ص 223 ، وسيشار اليه لاحقا ، ابن تغري ، النجوم ، السامرائي ، يونس إبراهيم ، تاريخ مدينة سامراء ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ط1 ، بغداد 1388هـ ، 1968م ج 1 ، ص 17. وسيشار اليه ، السامرائي ، تاريخ .

(47) الفرسان وهم الذين كانوا يتسلحون بالرماح ، ويكونون من جند العرب ، وهؤلاء من جند العرب. والمشاة وكانوا من الفرس ولاسيما الخراسانيين (وكان من سياسة الخلفاء أن يحكموا عرب الشمال والجنوب بتركهم يحارب بعضهم بعضا)؛ حتى إذا ما انقضى العصر العباسي الأول دخل في الجيوش العباسية عنصر جديد ما لبث أن غدا له النفوذ ، وأصبح أشد خطراً من الخراسانيين ، وهو عنصر الأتراك الذين كانوا يكونون القسم الرابع من الجيش العباسي ، حسن، إبراهيم حسن ، مجلة الرسالة - العدد 196 الجيش والبحرية في العصر العباسي الأول ، بغداد 1937م .

(48) الطبري ، تاريخ ، ج 9 ، ص 17 ، الازدي ، أبو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن قاسم (ت334 هـ/ 945م)، ، تاريخ الموصل ، تحقيق علي حبيبه ، دار التحرير للطبع والتحرير ، القاهرة1387هـ ، 1967م ، ص 416 ، وسيشار اليه لاحقا ، الازدي ، تاريخ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 3 ، ص 174 ، ابن الأثير ، تاريخ ، ج 5 ، ص 236.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي يحدد الخصائص المناخية للمدينة وتأثيره على طريقة بناء بيوت المدينة (49)، وكذلك معرفة تأثير الموقع النسبي الذي يحدد العلاقة بين المدينة ومنطقة نفوذها وهي علاقة ناتجة عن المكانة الاقتصادية والاجتماعية للمدينة، وهما من العوامل المهمة التي تشجع الأنسان في منطقة نفوذ المدينة وتبادل الفعاليات الاقتصادية. إذن أراد الخليفة المعتصم بالله أن يختار موضعا عسكريا لكي يحارب أعداءه من البر والبحر وهذه الميزة كانت موجودة في موضع سامراء لان هذا الموضع آمن لان نهرا دجلة والنهروان يمنحان هذا الموقع أهمية عسكرية ويؤلفان سورا طبيعيا يجعل المدينة في موضع آمن ثم اقطع الخليفة المعتصم قطائع لجنده وأقربائه وأمرهم بالبناء. وهذه القطائع عبارة عن ثكنات عسكرية وأشبه بخطوط دفاعية متقدمة تدفع عن المدينة وتقدم الغزاة إليها.(50)

ومن تتبع تلك النصوص يبدو لنا بوضوح إن هناك عاملا رئيسا لنقل العاصمة هو معاملة الجند الأتراك التي تتميز بالخشونة والقسوة لسكان مدينة السلام وتلك المعاملة السيئة خلقت جوا من التوتر المصحوب بالتذمر والكراهية بين الجند وأهل مدينة السلام والمشكلة اتسعت ولم تبق محصورة بين السكان المدنيين من سكان مدينة بغداد والجند والأتراك بل تجاوز ذلك ليشمل أيضا الجند من غير العنصر التركي المسمى بالحربية(51).

وهذا يتضح من قول الخليفة المعتصم: (فاني أتخوف إن يصيح هؤلاء الحربية صيحة فيقتلون غلماني)(52) .

---

(49) جمال حمدان ، جغرافية المدن ، ، ط2 ، مطبعة عالم الكتب ، (القاهرة ، 1977) ، ص276. وسيشار اليه ، حمدان ، جغرافيا المدن .

(50) العميد، طاهر مظفر، العمارة العباسية في سامراء ، ط ١، بغداد ١٩٧٦ م ، ج 9 ، ص 197.

(51) السامرائي رفاه جاسم ، مدرسة سامراء في التصوير العربي الإسلامي ، جامعة بغداد ، كلية الآداب بغداد ، 1405هـ ، 1985مص 8 ، ص 23. وسيشار اليه ، السامرائي ، مدرسة .

(52) الطبري ، تاريخ ، ج 9 ، ص 56، 57.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد خطط الخليفة المعتصم بالله سامراء وفق أسس وضوابط اجتماعية معينة وعمد على إسكان كل جماعة من الأتراك ضمن إقطاع محددة ومنعهم من الاختلاط بالآخرين من العناصر الأخرى وذلك تلافيا للمشاكل التي ربما تقع بين الأتراك وغيرهم،(53) فضلا عن دوافع أمنية بالسيطرة على فئات دولته، يبدو أن الخليفة المعتصم ذو عقلية عسكرية وقد اتعظ من صراعات واضطرابات بغداد خلال الفتنة بين الشقيقين الأمين و المأمون التي أدت إلى نشوب الفوضى وحتى القتل وهدر الدماء نتيجة اختلاط الأجناس المتنوعة كالعرب والفرس والأتراك وأهل المغرب لذلك وضعت خطط سامراء بهذه الصورة كما ذكرنا.

وفي سبيل عدم اختلاط الأجناس الأخرى في سامراء حتى إن الخليفة (اشترى لهم الجواري فزوجهم منهن، ومنعهم أن يتزوجوا ويصاهروا إلى أحدا من المولدين إلى أن ينشأ لهم الولد فيتزوج بعضهم ممن بعض، فلم يكن يقدر أحد منهم أن يطلق زوجته ويفارقها) (54)، وذلك لأنه فرض رواتب لزوجاتهم فالذي يطلق زوجته ينقطع راتبها وهو مبلغ ليس بقليل(55)، ومن الضوابط الأمنية الاجتماعية التي عمل بها عند بناء المدينة هو إلزام أصحاب القطائع بشرط هو عدم السماح لأي غريب من التجار وغيرهم بسكنى القطيعة التي حدد ساكنيها (56).

---

(53) اليعقوبي ، البلدان ، ج1 ، ص 59 ، السامرائي ، مدرسة ، ص 10.

(54) اليعقوبي ، البلدان ،ج1، ص 59 ، رفاه السامرائي ، المدرسة ، ص 10.

(55) اليعقوبي ، البلدان ،ج1، ص 59.

(56) اليعقوبي، البلدان، ج1 ،ص 59 ، رفاه السامرائي ، المدرسة، ص 10.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الملاحظات المهمة على الجانب الأمني أن توزيع المناطق السكنية في مدينة سامراء هو نفس النظام الذي طبق على توزيع القطائع في بغداد والذي يتمثل في عدم جمع أضداد اجتماعية مختلفة في موضع واحد من قبل الخلفاء العباسيين لأن ذلك قد يسبب خلافات اجتماعية تعكس آثارها على حياة المدينة بأسرها وخاصة الجانب الأمني، وتحدث من جرائها الفتن ، ثم من الصعب التغلب عليها من جانب رجال الأمن لأمن الدولة، ولذلك أمر الخليفة المعتصم بالله أحد أعوانه وهو ابن الربيع(57) بإنشاء مدينة سامراء على أن لا يجمع فيها أضداد مختلفة في مكان واحد، فقد كان سبب إنشاء سامراء يعود إلى الخلافات التي وقعت بين أجناس مختلفة كالعرب والترك والفرس في بغداد أيضا (58).

(57) لفضل بن الربيع ابن يونس الأمير الكبير حاجب الرشيد وكان أبوه حاجب المنصور وكان من رجال العالم حشمة وسؤددا وحزما ورأيا قام بخلافة الأمين وساق إليه خزائن الرشيد وسلم إليه البرد والقضيب والخاتم جاءه بذلك من طوس وصار هو الكل لاشتغال الأمين باللعب فلما أدبرت دولة الأمين اختفى الفضل مدة طويلة ثم ظهر إذ بويع إبراهيم بن المهدي فساس نفسه ولم يقم معه ولذلك عفا عنه المأمون مات سنة ثمان ومئتين في عشر السبعين وهو من موالي عثمان رضي الله عنه يقال إنه تمكن من الرشيد وكان يكره البرامكة فنال منهم ومالأة على ذلك كاتبهم إسماعيل بن صبيح ويقال إنه قدم عشر قصص إلى جعفر البرمكي فعللها ولم يوقع في شيء منها فأخذها الفضل وقام وهو يقول ارجعن خائبات خاسرات ولما نكبوا ولي الفضل وزارة الرشيد وعظم محله ومدحته الشعراء ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج9 ، ص 234

(58) ابن أبي الربيع، شهاب الدين أحمد بن محمد(227 هـ/- 842 م) ، سلوك المالك في تدبير الممالك ، تحقيق ، سامي النشار، بغداد ، 1977م ص 21 ،وسيشار اليه لاحقا ، ابي الربيع ، سلوك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا ما عدنا إلى الظروف العسكرية للدولة العباسية في أيام الخليفة المعتصم نجد إن الجيش العباسي كان في ذروة قوته العسكرية، إذ بلغ من العدد والعدة، ما جعله من أقوى الجيوش، و إن اختيار الخليفة المعتصم لموضع سامراء لم يكن إلا معسكرا لهذا الجيش ولهذا سميت سامراء أول الأمر ب(العسكر) ، وتكفي الإشارة إلى إن هذا الجيش بقيادة الخليفة المعتصم نفسه سار من سامراء وقاتل الروم وانتصر عليهم في موقعه (عمورية) (59) الشهيرة في قلب بلاد الروم (60)،لذلك فلا أميل إلى إن اختيار هذا الموضع لأسباب عسكرية دفاعية بل لأغراض التدريب كما أشرنا إلى ذلك من قبل و كذلك لتخليص أهالي بغداد ضاقوا ذرعا لسلوك الجند الأتراك، أما الدافع الاقتصادي فكان له دور اختيار هذا الموضع لأنه أوسع مكانا وخال تقريبا من المستوطنات ، وان الأراضي المجاورة له تقع في وسط منطقة زراعية ذات مياه وافرة فضلا عن ارتفاع أراضيه عن مستوى نهر دجلة وغير معرضة للغرق أثناء الفيضانات كما هو الحال في بغداد ، فضلا عن سهولة الوصول إلى المكان (سامراء) ، برا وبحرا للتجارة وانبساط أرضه، كل هذا ساعد في عملية البناء والعمران فضلا عن هذا كله ففيه مجال للتوسع في البناء بشكل كبير جدا(61).

(59) عمورية مدينة في بلاد الروم غزاها المعتصم بالله وفتحها عام (223هـ ، 937م) وهي من اعظم فتوح الإسلام، وتقع في الإقليم الرابع، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4 ، ص 158.

(60) الطبري، تاريخ، ج 9 ، ص 57 ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج 4 ، ص 59 ، الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، مكتبة الهلال ، 2006 ، ص 130، وسيشار اليه ، الهاشمي ، موسوعة

(61) حميد ، تخطيط المدن ، ج 9 ، ص 29 ، مهدي ، علي محمد ، مدينة سامراء ، مطبعة أمانة العاصمة ، بغداد 1404هـ ، 1986م ص 8 ، السامرائي ، تاريخ مدينة سامراء ، ج 1 ، ص 18.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يبدو إن الخليفة المعتصم اتخذ موضع سامراء عسكرا لشكه بنوايا الجند القدماء من أهل مدينة بغداد (الأبناء(62) أو الحربية) وعدم اطمئنانه لهم، وأراد من اختبار سامراء إن يقمع كل ثورة ضده ويستطيع التوجه للقضاء عليها في البر والبحر، لان موقع سامراء موضوع ملائم للسيطرة على الأجزاء المختلفة من جميع كافة أقاليم دولته(63) وخاصة بغداد.

وأشار المؤرخين إن الخليفة المعتصم انتقل إلى سامراء لسببين أحدهما أبعادا لمواليه الأتراك عن أبناء أهل الدعوة في مدينة السلام ، والثانية أن ينزل ما بين عكبرا(64)وآخر ديار ربيعة لكونها منازل الخوارج الشراة (65).ليشردهم ويدفع عاديتهم (66) . وكذلك لوجود الوسائل والمواد اللازمة للبناء في سامراء وسهولة نقلها من الأقاليم والبلدان المجاورة وسائر الأمتعة التي ينتفع بها الناس من كثرة العيش واتساع الرزق لذلك اتخذ سامراء عاصمة سنة(221-279هـ/835-884م).(67)

---

(62) شاع هذا المسمى فترة الفتنة بين الامين و المامون وهم من اهل خراسان ، فوزي ، فاروق عمر ، الجيش والسياسة في العصر الأموي ومطلع العصر العباسي 41 هـ 661 م، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، الاردن ، 2005م

(63) العميد ، العمارة ، ص 61.

(64) عكبرا بلدة من نواحي دجيل قرب صريفين ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ 70كم ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج 4 ، ص 142.

(65) الشراة سمى الخوارج انسفهم الشراة اي الذين باعوا انفسهم في مرضات الله حسب قوله تعالى " ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله أي بيعها او باعوه ، " (الآية 207 من سورة البقرة). الرازي ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، ط1 ، بيروت 1399هـ ، 1979م ص 337 " .

(66) عزام ، موسوعة التاريخ الاسلامي ، ص 150.

(67)زيدان ، التمدن ، مج 2 ، ج 4 ، ص 421

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما مدينة سامراء التي بناها الخليفة المعتصم فهي مدينة عسكرية خاصة بجند الخليفة المعتصم من الأتراك والمغاربة وأسكنهم الخليفة حسب سياسة تخطيط للسكن، وكان قد صير أولا إلى كل رجل من أصحابه بناء قصر أمثال: الخاقان وعمر بن فرج وأبي الوزير ثم اختط القطائع للقواد والكتاب والناس

وخط المسجد الجامع والأسواق حوله وأفرد قطائع الأتراك(68) عن قطائع الناس جميعا وجعلهم معتزلين ولا يختلطون بقوم من المولدين ولا يجاورهم إلا الفراغنة من فرغانة(69).

و أصبحت الخطط في سامراء عبارة عن قطائع ممتدة من جانب الشارع الأعظم(70) وكان لسامراء مجال للتوسع لذلك نرى الهجرة السكانية المستمرة اليها وقلقها السياسي نتيجة تدخل الأتراك في شؤونها السياسية وإدارة الدولة في أيام المتوكل جعله مضطرا إلى أن يلحق بها مجمعا عمرانيا في شمالها إقامة لأعوانه وأصحابه عرف ب(المتوكلية) إلا انه ترك بعد اغتياله من قبل الأتراك فتدهور واضمحل (71).

---

(68) احتاج المعتصم إلى عنصر عسكري جديد يسند سلطانه ، فالتجأ إلى عنصر بدأ يتوارد كرقيق إلى البلاد الإسلامية قبله ، هو عنصر الترك أنَّ المعتصم استكثر منهم فزاد في شرائهم من بلادهم بل واشترى ما كان منهم مملوكا في بغداد من أصحابهم وجعل اعتماده عليهم حتى بلغ عددهم لديه أربعة آلاف ثم ما زالوا يزيدون حتى بلغوا نحوا من عشرين ألفًا فشكلوا فرقة متميزة عن الجند وكانت أزياؤهم أرفع أنواع الديباج وعليها الأحزمة والزخارف المُذَهَبَّة، الدوري ، عبد العزيز ،دراسات ، ص12 ، 13.

(69) مدينة أوزبكية تبعد 420 كم شرق العاصمة الأوزبيكة طشقند. فرغانة هي مركز ولاية فرغانة الواقعة في شرق أوزبكستان . اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 58، 59.

(70) اليعقوبي ، البلدان ، ج1 ،ص 60، 61 ، ناجي ، دراسات ، ص 274.

(71) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 68.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غرض الخلفاء من تأسيس المدن :

شيد العرب منذ أوائل تكوين دولتهم مدنا كان لأغراض إنشائها أثر في تنظيمها ، فقد شيّدوا ، منذ زمن الخليفة عمر بن الخطاب ، أمصارا ليسكنها المقاتلة العرب ولتكون مراكز قواتهم العسكرية العاملة في حفظ الأمن والإدارة ، وتوسيع الدولة. واتخذ بعض الخلفاء الأمويين مراكز متفرقة في البادية وأطراف العمران للإقامة فيها ترويحا للنفس ، ويمكن أن نضع في هذا الصنف مدينة الزهراء التي شيدها الخليفة الناصر في الأندلس في القرن الرابع الهجري.

إن المراكز التي شيدها العرب كانت لإقامة المقاتلة من أجل أداء عملهم في صد غزوات أعداء الدولة من خارجها أو القيام بحملات منها على أولئك الأعداء. ومن أمثلة هذه المراكز مدن الثغور في الأطراف المحاذية لبلاد الروم في بلاد الشام والجزيرة وكذلك عدد من المدن في خراسان (72).

وشيد العرب مدنا ليقيم فيها الحاكم وحاشيته وهي في الغالب قرب مراكز قديمة كالعباسية التي أنشأها أمراء شمال أفريقيا قرب القيروان.

أما بغداد فإن تخطيطها يظهر أن المنصور أراد منها إقامة مدينة تحميه من الأخطار الداخلية والخارجية كالتي هددته عندما حاصر الراوندية مدينة الهاشمية التي كان يقيم فيها بالكوفة ، ولذلك أحاط قصره والجامع وبيوت أولاده الصغار بسور وزرع خارجه الحرس والشرطة وأحاطهم بسورين وخندق لصدّ أي خطر يداهمه (73).

ولا ريب في أن أكثر هذه المدن سرعان ما تطورت فيها حياة حضرية واقتصادية وفكرية غيرت سماتها الأولى ، ودام بعضها سنين أو قرونا يحمل السمات التالية التي تخالف ما كانت فيها نشأتها الأولى.

---

[72] احمد بن علي الخطيب البغدادي بغداد مدينة السلام ، دار المدى سنة النشر ،2005، و سيشار اليه ، البغدادي ، بغداد. ، ص 45

[73] البغدادي ، بغداد.ص 47

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما سامرّاء فإن المعتصم أسسها واتخذها مقرا لتجنّب الأخطار الناجمة عن أن الاحتكاك بأهل بغداد قد يؤدي إلى تهديد خلافته ، فغرضه دفاعي بالدرجة الأولى. وذكرت بعض المصادر أنه قام بنقل مقر إقامته من بغداد بسبب حوادث اصطدامات متفرقة حدثت بين جنده الأتراك وأهل بغداد الذين تأذّوا منها، وفي هذا يروي الطبري أن سبب خروج المعتصم إلى القاطول كان أن غلمانه الأتراك كانوا لا يزالون يجدون الواحد بعد الواحد منهم قتيلا في أرباضها ، وذلك أنهم كانوا عجما جفاة يركبون الدواب ، فيتراكضون في طرق بغداد وشوارعها ، فيصدمون الرجل والمرأة ويطأون الصبي ، فيأخذهم الأبناء ، فشكت الأتراك ذلك إلى المعتصم ، وتأذت بهم العامة (74). وينقل عن أحمد بن خالد أن المعتصم بعثه في سنة(219هـ / 834م) وقال اشتري بناحية سامرّاء موضعا أبني فيه مدينة فإني أتخوف أن يصيح هؤلاء الخرّمية صيحة ، فيقتلوا غلماني ، حتى أكون فوقهم فإن رابني منهم ريب أتيتهم في البر والبحر ، حتى آتي عليهم (75).

إن عزم المعتصم الانتقال من بغداد بعد إقامة أقل من سنة لا يبرره احتكاكات محدودة بين جنده وبعض أهل بغداد في الخرّمية كما تدّعي رواية الطبري ، إذ إن مثل هذه الحوادث يمكن معالجتها لأنها كانت محدودة ، فلا بدّ أن الانتقال جرى لأسباب أبعد وهي إدارك المعتصم ضعف وشائج صلته بأهل بغداد الذين لم تكن لهم به صلات وثيقة مما يجعل وضعه في بغداد غير راسخ ويعرّضه لأخطار مهددة ، لذلك عجل في الانتقال عنها وارتاد موضعا جديدا.

---

74 الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، (ت 211 هـ / 826م) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق مصطفى . السيد وطارق سالم ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ب ت ج3 ، ص 425 ،، وسيشار اليه ، الطبري ، تاريخ ، .

75 الطبري ، تاريخ ، ج 3 ص 179.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان الغرض من إنشاء سامرّاء غرضا دفاعيا وكانت مصادر الأخطار المهددة من الجيش والعامة ، وقد اتخذ ف معالجتها أسلوبا يختلف عما اتخذه المنصور عند تأسيسه بغداد ، إذ إنه لم يحرص على تحصين مدينته أو قصره بالأسوار والخنادق ، وإنما عمد إلى توزيع منازل من معه من الجند في أماكن متباعدة فتفرقهم وتعرقل تجمعهم وتهديدهم ، كما أن العامة لم يكونوا خطرا عليه لأنهم عند تأسيسها كانوا قليلين نسبيا وهم من الكسبة ومتفرقون في أرجائها الواسعة ولم تستقر فيهم توجيهات سياسية وأحزاب كالتي كانت في بغداد.

البحث عن المكان :

ذكر الطبري : «فلما كانت سنة 219هـ / 834م ، وقيل سنة220هـ / 835م ، وذلك عندي خطأ ، خرج المعتصم يريد القاطول ، ويريد البناء بسامرّاء ، فصرفه كثرة زيادة دجلة ، فلم يقدر على الحركة ، فانصرف إلى بغداد إلى الشماسية ، ثم خرج بعد ذلك» (76).

وذكر المسعودي أن المعتصم عزم على النقلة من بغداد وأن ينزل في فضاء من الأرض فنزل البردان على أربعة فراسخ من بغداد فلم يستطب هواءها ، فلم يزل يتنقل ويتقرى المواضع والأماكن في دجلة وغيرها حتى انتهى إلى الموضع المعروف بالقاطول فاستطاب الموقع وكان هناك قرية يسكنها خلق من الجرامقة وناس من النبط على النهر المعروف بالقاطول آخذا من دجلة. فبنى هناك قصرا وبنى الناس وانتقلوا من مدينة السلام ونالت من مع المعتصم شدة عظيمة لبرد الموضع وسلامة أرضه وتأذوا بالذباب (77). وقد تفرّد المسعودي بذكر الجرامقة في هذه المنطقة ، لأن المعروف أن الجرامقة يقيمون في بلاد الشام ، ولعل بعضهم نقل إلى هذه المنطقة في زمن ، ولم تجد له المصادر.

76 الطبري ، تاريخ ، ج 3 ص184.

77 أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (ت: 346هـ / 957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق: أسعد داغر ،عدد الأجزاء: 4 الناشر: دار الهجرة - قم: 1409هـ ، ج3 ص 466 وسيشار اليه ، المسعودي ، مروج الذهب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لفتت منطقة سامرّاء نظر عدد من الخلفاء العباسيين. فيروي ابن الفقيه أن السفاح أراد أن يبني فيها ثم بنى مدينة الأنبار ، وأن المنصور عندما أراد اختيار موضع لبناء مدينة يتخذها مقاما له أرسل من يفتش عن موضع مناسب ، وابتدأ بالبناء في البردان ثم بدأ له وبنى بغداد (78).

وذكر أن الرشيد كان إذا ضجر من المقام ببغداد يتنزه بالقاطول وقد كان بنى هناك مدينة آثارها وسورها قائم ولكنه لم يتمها وأراد الرشيد أيضا بناءها ، فبنى بحذائها فابتدأ في البناء ، فبنى عندها قصرا سمّاه المبارك ، وهو بحذاء بناء قديم كان الأكاسرة قد بنوه. ولعلها هي التي ذكرها الجاحظ بقوله ، المباركة في القاطول(79).

وقد وجدت دراهم فضية ذكر عليها أنها ضربت في المبارك زمن الخلافة الأموية في السنوات(107 ـ 110 هـ / 725 – 728م / 117 ـ 120هـ / 735 – 737م) ولابدّ أنها غير المباركة التي بناها الرشيد.

إن هذه المواضع كافة تقع شرقي دجلة على الطريق إلى الموصل ولم تقم فيها مقاتلة من العرب ، وكانت في العصر الأموي معرضة إلى اضطرابات سببها حركات الخوارج ، وقد اهتم بها هارون الرشيد عندما عمّر القاطول وسمّاه أبا الجند.

78 اليعقوبي ، أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب ، (ت 858 هـ / 1454م) ، البلدان ،تحقيق دي غويه بريل ، ج3 ، مطبعة ليدن ، 1251 م ،ص 143 وسيشار اليه لاحقا ، اليعقوبي، تاريخ

79 الحموي ، ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله (ت 626 هـ / 1229 م)، معجم البلدان (ط. صادر)؛ الناشر: دار صادر؛ سنة النشر: 1397 - 1993 ،ج3 ، ص 15وسيشار اليه ، الحموي ، معجم البلدان .م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذكر ابن خرداذبة الأبعاد بين هذه المواضع في وصفه الطريق بين بغداد والموصل فقال «من بغداد إلى البردان أربعة فراسخ ثم باحمشا ثلاثة فراسخ ثم إلى القادسية سبعة فراسخ ثم إلى سر من رأى ثلاثة فراسخ ثم إلى الكرخ فرسخان (80).

اختيار الموقع

يقصد بالموضع المكان الذي اقيمت عليه المدينة اما الموقع فهو موقعها بالنسبة للمناطق المجاورة لها (الموقع النسبي) وتقع مدينة سامراء العباسية على الجهة اليسرى من نهر دجلة ويتحدد موقعها الفلكي بين دائرتي عرض(34,7 – 34,29) شمالا وخطي طول (43,45 – 43,50)شرقا وتبعد أكثر من 120 كم شمال مدينة بغداد وكانت تمثل موقعا وسطا ولا زالت كذلك بالنسبة الى العراق ويتوسط موقعها اقاليم الدولة مما يمنحها موقعا ملائما للسيطرة على الاجزاء المختلفة كما اتاح هذا الموقع سهولة الاتصال بالأجزاء الشمالية والجنوبية للعراق الذي يعد القلب النابض للإمبراطورية المترامية الاطراف في حينها .81

تنسب بعض الروايات سبب اختيار المعتصم للرقعة التي أنشأ عليها سامرّاء إلى تنبؤ راهب ، فيروي اليعقوبي أن المعتصم ارتاد موقع سامرّاء «فقال له بعض الرهبان نجد في كتبنا المتقدمة أن هذا الموضع يسمى سرّ من رأى وأنه كان مدينة سام بن نوح ، وأنه سيعمّر بعد على يد ملك جليل عظيم مظفر منصور له أصحاب كأن وجوههم وجوه طير الفلاة ينزلها وينزلون فيها» «ويذكر أيضا أن الرشيد تنبأ للمعتصم ببناء المدينة» (82).

---

[80] أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: 487هـ / 1094م) ، المسالك والممالك ، دار الغرب الإسلامي ، عام النشر: 1992 م ص 93 ، وسيشار اليه ، الاندلسي ، المسالك ، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (المتوفى: 337هـ / 948م) ، الخراج وصناعة الكتابة ، دار الرشيد للنشر، بغداد ، الطبعة: الأولى، 1981 م ، ص214 وسيشار اليه ، قدامة ، الخراج ..

[81] العميد ، طاهر مظفر الاثر العسكري في اختطاط المدن الاسلامية مجلة كتب الاداب العدد 29 ،بغداد،ص124.

[82] اليعقوبي ، البلدان ، ج1 ، ص 257.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رقعة أرض سامرّاء

تقع سامرّاء في رقعة من الأرض تتيح مجال الاستيطان فيها ، وقد درس العرب قدم تاريخ الاستيطان فيها وأرجعوا اشتقاق اسمها من اسم سام بن نوح ، والواقع أنه ورد في عدد من النقوش البابلية المكتشفة ذكر «سمارو» التي يرجّح أن سامرّاء مشتق منها .

لا تذكر المصادر معلومات وافية عن أحوالها في العصر الساساني سوى أن بقربها القاطول الكسروي الذي تدل تسميته على أنه يرجع إلى ذلك العهد ، وأن الساسانيين عملوا على إعمار المنطقة بحفر ذلك النهر أو تجديده.

لم يرد اسم سامرّاء في أخبار الحوادث زمن الراشدين والأمويين ، وذكر الأزدي في تعليل ذلك فقال : إن سامرّاء كانت مدينة عظيمة عامرة كثيرة الأهل فخربت حتى صارت خربة ، وكان سبب خرابها أن أعراب ربيعة وغيرهم كانوا يغيرون على أهلها فرحلوا منها. والواقع أن هذه المنطقة تأثرت من الاضطرابات التي رافقت حركات الخوارج فيها مما حمل الأمويين على إقامة حامية عسكرية دائمة في الراذان لحفظ الأمن والسلام في المنطقة. ويقول المسعودي «إنها في القديم كانت عظيمة عامرة ، فلم تزل تتناقص على مر الأيام وكان آخر خرابها في أيام فتنة الأمين والمأمون» (83).

[83] المسعودي ، على بن الحسين بن على (المتوفى: 346هـ / 957م)، التنبيه والإشراف ، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي ، الناشر: دار الصاوي - القاهرة ،ص 203وسيشار اليه ، المسعودي ، التنبيه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الرقعة التي اختارها المعتصم لإنشاء مدينته بعد أن قرر التخلي عن الإقامة في القاطول ذكر عنها المسعودي فقال «كان هناك للنصارى دير عادي». وذكر في مكان آخر «أن موضع قصر المعتصم كان ديرا للنصارى فابتاعه منهم» (84). وذكر اليعقوبي أن المعتصم عندما ارتحل من القاطول إلى سرّ من رأى فوقف في الموضع الذي فيه دار العامة ، وهناك دير للنصارى فاشترى من أهل الدير الأرض واختطّ فيه ، وصار إلى موضع قصر الجوسق على دجلة (85). ويقول الأزدي إن المعتصم ابتاع أرض سامرّاء بخمسمائة ألف درهم من أصحاب دير كان هناك ، واشترى موضع البستان المعروف بالخاقاني بخمسة آلاف درهم (86).

تلقي هذه النصوص الضوء على أسعار الأراضي عند بناء المدينة ، وتدل على أن المنطقة كانت قليلة السكان ، وربما قليلة المزارع أيضا.

يقول حفيد حاجب النعمان إن المعتصم لما نزل سامرّاء «ولّى راشدا المغربي كورتين تتصلان بسرّ من رأى ، وهما تكريت والطيرهان ، وأخرجهما من الموصل ، وبقي من كور الموصل ما ينسب إليها سبع كور». ولم يحدد هذا الحفيد أو غيره من المصادر حدود كلّ من تكريت والطيرهان ولعل سامرّاء كانت من الطيرهان.

وذكر ابن خرداذبه أن كور الموصل الطيرهان وتكريت والسن وباجرمي والبوازيج ، وكان ارتفاعها في عبرة سنة 204 سبعمائة وثمانين ألف درهم.

---

[84] المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق ، قاسم . الشماعي ، دار القلم ، ج3 ، بيروت ، 1525 م ، ج3 ص 466 ، المسعودي ، التنبيه 309.

[85] اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب (ت 292هـ /، 904م) تاريخ اليعقوبي ، تحقيق : عبد الأمير مهنا الطبعة الأولى ، الناشر : شركة الأعلمي للمطبوعات - بيروت2010، ج3 ، ص 186وسيشار اليه ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي .

[86] الازدي ، يزيد بن محمد بن بن إياس بن القاسم الأزدي (ت 334هـ / 945م)، تاريخ الموصل ، تحقيق علي حبيبة ، القاهرة 1967 م ،ص416 وسيشار اليه ، الازدي ، تاريخ الموصل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وذكر في مكان آخر أن وظيفتها تسعمائة ألف. وتجدر الإشارة إلى أنه كانت من كور الموصل شهرزور والصامغان وارتفاعها 00 ، 750 ، 2 درهم. وكانت من كور الموصل في الجانب الشرقي الحديثة وحزة وبهدرا والمعلة والحناية وأواسط ارتفاعها 000 ، 300 ، 6 درهم. وكانت من الموصل كور الجزيرة ، ونينوى والمرج (87).

لا يستبعد اعتماد المعتصم في اختيار رقعة الأرض على التنبؤ الذي ذكر في اختيار رقع مدن أخرى ، ففي اختيار موقع الفسطاط يروي ابن عبد الحكم أن عمرو بن العاص لما أراد التوجه إلى الإسكندرية لقتال من بها من الروم أمر بنزع فسطاطه فإذا فيه يمام قد فرّخ ، فقال عمرو بن العاص لقد تحرّم منا بمتحرّم فلما قفل المسلمون من الإسكندرية فقالوا الفسطاط لفسطاط عمرو الذي كان قد خلّفه.

ولما بحث أبو جعفر المنصور عن موقع المدينة التي اعتزم تأسيسها اختار المكان ، وثبّت عزمه مشورة راهب قال له تجدون في كتبكم أنه تبنى ههنا مدينة؟ قال الراهب : نعم ، يبنيها مقلاص ، قال أبو جعفر المنصور : أنا كنت أدعى مقلاصا في حداثتي ، قال فأنت صاحبها ، وكذلك لما أراد أن يبني الرافقة بأرض الروم احتج أهل الرقة ، وأرادوا محاربته ، وقالوا تعطل علينا أسواقنا ، وتذهب بمعاشنا وتضيق منازلنا ، فهمّ بمحاربتهم ، وبعث إلى راهب في الصومعة ، فقال : هل عندك علم أن يبنى هاهنا مدينة؟ فقال له : بلغني أن رجلا يقال له مقلاص يبنيها ، قال أنا مقلاص (88). فبناها على بناء مدينة بغداد ، سوى السور وأبواب الحديد وخندق منفرد.

وصف الإصطخري الرقعة التي شيدت عليها سامرّاء فقال «إنها كلها في شرقي دجلة وليس معها في الجانب الشرقي ماء ، لكن عمارتها وزرعها وأشجارها فيما يقابلها من غربي دجلة» (89).

87 ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة (ت: نحو 280هـ / 893م) المسالك والممالك، الناشر: دار صادر أفست ليدن، بيروت عام النشر: 1889 م ،ص94 وسيشار اليه ، ابن خرداذبة ، المسالك .؛ قدامة ، الخراج ، ص 245

88 الطبري ، تاريخ ، ج 3 ، ص 276.

89 ابن خرداذبة ، المسالك ، ص 85.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وذكر اليعقوبي أن الرقعة التي شيدت عليها سامرّاء كانت صحراء من أرض الطيرهان لا عمارة بها إلا دير للنصارى بالموضع الذي صارت في دار السلطان المعروفة بالعامة (90).

الجغرافية التاريخية للموقع

ومن أجل حل تلك المشكلة اختار الخليفة المعتصم عدة مواضع مختلفة في سبيل أن يستقر في موضع تتميز بالصفات التي يفكر بها في هذا قبل أن يستقر في موضع سامراء، واختار موضع القاطول واستقر فيه أول الأمر وهي منطقة جاذبة تقع على دجلة فابتدأ البناء فيه واقطع لقواده وسكن بعض الناس أيضا وكان القاطول متنزها للخليفة هارون الرشيد ومع هذا فان القاطول لم يرق له والبناء بها صعب جدا وليس لأرضها سعة ثم ركب ومر في مسيرة حتى صار إلى موضع سامراء واستقر فيه.(91)

كذلك احتاج الخليفة المعتصم بالله إلى ارض فسيحة ومكان واسع لتدريب جيشه الجديد من الترك ومدينة بغداد لا توفر بجانبيها الغربي(الكرخ) والشرقي(الرصافة) هذا الموضع، لهذا قرر الانتقال إلى مدينة سامراء التي توفر لجيشه مكانا فسيحا للتدريب وخاصة في المنطقة الغربية لنهر دجلة في منطقة الجزيرة ولكي تؤكد هذا فان أحد أسماء مدينة سامراء هو العسكر أو المعسكر ولها ينسب الأئمة العسكريين(92).

---

90 اليعقوبي ، البلدان ، 257 ، 257.

(91) اليعقوبي ، البلدان ص 56، 57.

(92) الإمامين العسكريين (نسبة إلى محلة عسكر إحدى محلات سامراء) فهذه المدينة لم تكتسب سمعتها التاريخية لكونها بقيت عاصمة للملك العباسي لمدة نصف قرن (271هـ - 892 هـ \ 884- 1486م) لكن هذه المدينة التي شهدت سكن الإمام العاشر وولادة الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام ، الإمام علي بن محمد بن علي الهادي الإمام الحسن بن علي بن محمد العسكري، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مادة سامراء ج 3 ، ص 173، 175 ، ومادة عسكر ، ج 4 ، ص 123.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويذكر المؤرخون القدامى والباحثون المحدثون أنه لما أفضت الخلافة إلى الخليفة المعتصم بالله سنة(218هـ / 833م) كانت العناصر الأجنبية قد تمكنت من الدولة وزاد الخلفاء خوفا على أنفسهم ولذلك سأل الخليفة المعتصم بالله عن المكان الذي كان الرشيد يتنزه فيه إذا ضجر من المقام ببغداد، فقيل له، بالقاطول وقد بني هناك بعض الأبنية(93)، فسار على خطى أبيه وخرج من جديد إلى القاطول وبني به بعض الأبنية أيضا، وخاف الخليفة المعتصم خاصة من جنده العرب داخل بغداد لأنه اصطنع قوما من غير العرب بمصر الشرقية وسماهم المغاربة واستخدمهم في حاشيته وكذلك ابتاع الأتراك من أشروسنة و سمرقند و فر غانة من أسواقهم واستقدام هؤلاء الأتراك لوفرة أعدادهم وسهولة تجنيدهم بكلفة قليلة وكانوا أشد خطرا على الدولة العباسية من سائر فرق الجند وآل الأمر بهم إلى الاستبداد بأهل الدولة واحتقار الجند العربي الأصلي وأسقطهم من ديوان العطاء وأسئ إلى سائر أهل بغداد وآذوا الناس لذلك لم ير الخليفة المعتصم سبيلا إلا بإخراج جنده من بغداد إلى موضع سامراء(94)ليستقر الأمن في بغداد وكان من نتائج إهمال الخليفة المعتصم للعرب واستعانته بالأتراك وإجزاله العطايا لهم دون غيرهم إن قامت الثورة ضده في بغداد بقيادة عجيف بن عنبسه(95)وهو أحد قادة العرب ضد الخليفة المعتصم بالله وأشترك عدد من قادة الجند العرب في هذه المؤامرة واتفقوا على قتل الخليفة المعتصم، إلا أن خبر المؤامرة تسرب إلى الخليفة المعتصم

(93) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج 9 ، ص 17 ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج 4 ، ص 53.

(94) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج 9 ، ص 17 ، المسعودي ، مروج ، ج 4 ، ص 53 ، زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الإسلامي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت د.ت ، مج 1 ، ج 1 ، ص 164 ، وسيشار اليه لاحقا ، زيدان ، التمدن ، الموسوي ، العوامل ، ص 143 الهاشمي ، موسوعة ، ص 128، 129.

(95) عجيف بن عنبسة هو أحد قواد المعتصم وقام بالثورة على قواد الترك الذين أساءوا معاملة العرب ، ، بل وعزم على التخلص من المعتصم نفسه ، وأغرى العباس بن المأمون عليه والمطالبة بعرشه ، الإ أن خبر المؤامرة قد تسرب الى المعتصم وسجنه حتى مات سنة(220هـ ، 841م) ، الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، ج 3 ، ص 129.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

،وأمر بسجن ابن أخيه العباس فمنع الماء عنه حتى مات(96)،ومن جهة أخرى شعر الخليفة المعتصم بعدم ثقته بالفرس لأنه لما مات المأمون كان هواهم مع ابن أخيه العباس وكانت أمه فارسية وشاركوا في الشغب ضد الخليفة المعتصم لذلك لم يثق بهم.(97)

و اعتمد الخليفة على الأتراك ووصلوا إلى أعلى المراتب وزاد عددهم حتى أربى على الخمسين ألفا فقويت شوكتهم،(98)ولذلك اضطر الخليفة المعتصم أن يهجر بغداد إلى سامراء، أذن لعبت النزاعات والصراعات بين أهال بغداد وجند الخليفة المعتصم من الأتراك وخوف الخليفة المعتصم من الثورة الشاملة ضده دورا في ترك بغداد وينتقل إلى سامراء لكي يتخذها عاصمة لدولته والسبب الرئيسي والأهم الذي حمل الخليفة المعتصم على بناء مدينة سامراء هو لحماية أمن جنده الأتراك من غضب وتذمر أهل بغداد نتيجة مشاكل أولئك الأتراك وما أحدثوه من اضطرابات ونزاعات كثيرة داخل بغداد المدورة.(99)

وكان للدافع الاقتصادي دورا هاما بالسياسة العمرانية لمدينة سامراء فكان أحد أسباب ترك الخليفة المعتصم مدينة بغداد هو تعرضها لأخطار الفيضانات لنهر دجلة وادي ذلك إلى غرق وتهديم المنازل وإحداث الخراب فيها وغمرت المياه ظهور البيوت وتقطعت الجسور بمدينة السلام فخلق ذلك صعوبة على السلطة بسبب الإضرار المادية التي لحقت بالسكان فضلا عن الخوف والهلع الذي أصاب عامة الناس ويشير أحد المؤرخين بأن هذا الفيضان الكبير قد حدث عام(205هـ/818م).(100)

(96) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج 9 ، ص 10 ، الهاشمي ، موسوعة ، ص 129.

(97) أمين ، أحمد ، ظهر الإسلام ، دار الكتب العربي ، ط 5 ، بيروت ، 1388هـ ، 1969مج 1 ، ص 40.

(98) المسعودي ، مروج الذهب ، ج 4 ، ص 53.

(99) المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 53.

(100) ابن طيفور ابو الفضل احمد بن أبي طاهر(ت 280 هـ / 893م)، ، تاريخ بغداد محمد حسن زاهد ، بغداد1367هـ ، 1949م ص 143، وسيشار اليه لاحقا ، ابن طيفور ، تاريخ ، ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، دار احياء التراث العربي بيروت ، 1936م ج 15 ، ص 253، 255، وسيشار اليه لاحقا ، ياقوت ، معجم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالفيضانات الدائمة وخسائرها المادية دفعت بالخليفة المعتصم أن يفكر بنقل العاصمة وأن يختار موضعا آخر أكثر أمنا من الفيضان، وخاص عندما فاض نهر دجلة فيضانا آخر عظيما في عهد خلافته في بغداد نفسها فأرغمه على تأجيل سفره إلى الموقع الذي وقع عليه اختياره لإنشاء مدينة سامراء (101).

وهكذا فقد كان للفيضانات تأثير سلبي على الحالة الاقتصادية في بغداد لأنها مباشرة أدت إلى غرق المزارع والأسواق والمحلات التجارية وهدم الدور والممتلكات والحدائق والبساتين (102).

ومن المعلوم ومن دون أدنى شك انه يترتب على الفيضانات كوارث يتعرض لها الناس وتؤثر على حياتهم اليومية لأن الغرق سيشمل المطاحن وهكذا يرتفع في الأسواق سعر الطحين ومثال ذلك ارتفاع سعر طحن الكارة (103)،في بغداد إلى ثلاثة دنانير فأثارت هذه الظاهرة الاضطرابات والقلق والفوضى في مدينة بغداد العاصمة(104)، ويبدو أن هذه الفيضانات وأثارها الاقتصادية الكبيرة دفعت الخليفة المعتصم للإسراع بالانتقال إلى موضع سامراء فكان موضعها أكثر أمنا بسبب ارتفاع أرضها عن دجلة.

---

(101) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج 9 ، ص 16، 17 .

(102) ابن طيفور ، المصدر السابق ، ص 143 .

(103) الكارة استعمل مصطلح الكارة بدلاً من الغرارة ، والكارة مكيال لأهل العراق يساوي كارة القمح ٩٧ ، ٥ كغم ، وكارة الشعير والحمص والعدس ٨١ ، ٢٥ كغم ، وكارة الأرز ٢١و٨٧٥كغم. انظر فالتر هنتس. ، . المكاييل والأوزان الإسلامية،. ترجمة كامل. العسلي. ،منشورات الجامعة الأردنية. ، . ١٩٧٠ م، ص٦ ، سيشار اليه ، هنتس ، المكاييل ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 4 ، ص 429.

(104) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن (510هـ - 1116م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الهند ، 1357هـ ، 1959م ج 7 ، ص 87 .، وسيشار اليه لاحقا ابن الجوزي ، المنتظم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اما اسباب اختيار موضع هذه المدينة من الخليفة المعتصم بن هارون الرشيد فتتمثل بالاتي:

عامل المياه : اذ اشار الخبراء الذين كانوا برفقة المعتصم ان يختار هذا الموضع لانه يتمتع ببعض المميزات الاستراتيجية لوقوعه في مكان تحيط به المياه من كل اطرافه مما يجعلها تشكل سورا دفاعيا يحيط بها ، نهر دجلة من الغرب والنهروان (القاطول الاعلى (الرصاصي)) من الجهة الشمالية الشرقية كما ان مجرى القائم الاسفل يحيط بالمدينة من جنوبها.

الاراضي التي تقع فيه المدينة تشكل جرفا يرتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي 100 متر وعن مياه نهر دجلة بعدة امتار مما يجعلها في مأمن من خطر الفيضان.

هناك مجالا كبيرا لتوسع المدينة على سطح الهضبة التي تقع عليها من دون ان يضيق بها المكان ففيها مجال للتوسع العرضي بمسافة 2-15 كم والطولي بمسافة لأكثر من 60 كم.

وجود الجنود الاتراك المأجورين في بغداد قد خلق مشاكل هناك، فكان اولئك الاتراك اذا ركبوا الدواب يصدمون الناس ويعاملونهم بسوء مما خلق المشاحنات بينهم وهذا ما ادى الى قتل العديد منهم وكان ذلك سببا رئيسا في نقل العاصمة من بغداد الى سامراء.105

السطح: تقع مدينة سامراء ضمن السهل الرسوبي الذي يعد أحد اقسام سطح العراق والذي يحدد من الجهة الشمالية بمدينة تكريت على نهر دجلة وهيت على نهر الفرات ومن الجهة الجنوبية بالخليج العربي ويمتاز بالانبساط شأنه شأن المناطق التي تكونها ترسبات الانهار 106.لذلك فان هذا العامل يعد عاملا طبيعيا مشجعا للاستقرار والتركز مع وجود العوامل الاخرى المشجعة على ذلك.

---

[105] احمد، سامراء ،ري سامراء في عهد الخلافة العباسية ،ج1،مطبعة المعارف،بغداد،1948م،ص53/55، وانظر ايضا ابن الاثير، الكامل في التاريخ، المجلد السادس، دار صادر بيروت، بدون تاريخ،ص452.

[106] العاني، خطاب ، صكار ،جغرافية العراق ارضا وسكانا وموارد اقتصادية بغداد1990،ص26.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التربة :ان ترب كتوف الانهار تعد من افضل انواع الترب والتي توجد بمحاذات دنهر دجلة في منطقة الدراسة باعتبار انها تمتاز بنسيج متوسط ونسبة قليلة من الاملاح لان نهر دجلة يعد المصرف الطبيعي لها .107

المناخ : يعد مناخ ضمن المناخ الجاف اذ ان كمية الامطار الساقطة سنويا هي اقل من نصف مجموع درجات الحرارة سنويا ، وان هذا العامل قد دفع باستيطان الجزء الاكبر من سكان العراق بمحاذات الانهار ومشاريع الري الاصطناعية وقد أثر هذا العامل على استيطان الناس في هذه المدينة واقليمها بالقرب من مجرى نهر دجلة ومشاريع الري القديمة (النهروان ، الاسحاقي ، القاطول الاسفل) 108.

العوامل البشرية

التطور التاريخي للاستيطان البشري في سامراء :

تشير الدراسات التاريخية الى ان مدينة سامراء قد استوطنت منذ الاف السنين اذ اشار الباحث احمد سوسة بان مدينة سامراء قد استوطنت منذ اكثر من 5000 سنة قبل الميلاد ويؤكد ذلك الحفريات التي اجراها عالم الاثار الالماني(هرتسفلد) والتي من خلالها كشف عن مقبرة سامراء التي تعود الى العصر الحجري الحديث (العصر النيوليثي) (109).

اما ياقوت الحموي فيؤكد ان مدينة سامراء كانت قرية بناها نوح (عليه السلام) بعد خروجه من السفينة وكان سام بن نوح يصيف بالقرية التي ابتناها نوح (عليه السلام)(110) ،ومن الباحثين من يضير الى ان سامراء قد استوطنت من جماعة مسيحية تدعى الجرامقة وقامت هذه الجماعة ببناء الاديرة فيها كدير الطواويس.

---

[107] العاني،جغرافية العراق ،ص46.

[108] العاني،جغرافية العراق ،ص39.

[109] احمد سوسة، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، ج1 ، مصدر سابق ص53.

[110] ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ج3 ، دار بيروت للصحافة والنشر، بيروت،1957م،ص174 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول حمد الله المتوفي (740هـ / 1340م) ان مدينة سامراء انشئت من ذي الاكتاف (سابور الثاني) (309هـ /921م) ولما كان اقليميا طيبا عرفت ب(سر من رأى) وان الناس خففوا هذه التسمية فقالوا (سامراء)111 .

الاستيطان البشري في الفترة التي سبقت تأسيس مدينة سامراء :

معروف ان الاستيطان البشري في العراق ظهر في بداية الامر في المناطق الجبلية حيث وجدت قرية زراعية قديمة تعد من اولى القرى الزراعية في في شمال العراق 112.ونظرا لزيادة اعداد السكان وتعدد حاجياتهم وعدم امكان المناطق الجبلية من اعالتهم يزداد على ذلك سن القوانين التي تحمي الانسان القديم مما يعني توافر عنصر الامان له للحركة من مكان الى اخر مما دفعه الى الانحدار باتجاه المناطق السهلية في وسط العراق على وجه التحديد واستقراره في هذه المناطق بفعل وجود العوامل الطبيعية التي تسمح له بالاستقرار ممثلة بالمياه الوفيرة من نهر دجلة والاراضي الخصبة الصالحة للانتاج الزراعي كما لعب الموقع المتوسط للمدينة دورا في استقرار الناس فيها وتعد قرية تل الصوان التي كشف عنها في تنقيات عام 1964م والواقعة على ضفة نهر دجلة الشرقية بالقرب من (القائم) احدى القرى الواقعة جنوب شرق سامراء) من القرى الموغلة في القدم والتي يعود تاريخها الى الالف السادس قبل الميلاد113 .

الاستيطان البشري في الفترة التي تلت تأسيس مدينة سامراء :

ثم تطور الاستيطان البشري بعد نقل مقر العاصمة من بغداد الى سامراء في خلافة المعتصم حتى بلغ طولها حوالي 35 كم ضمن فترة بني العباس الممتدة من(221هـ/ 836م) الى(279هـ/ 890م) والبالغة 58 عاما .

---

111 سوسة ،ري سامراء ،ص48.

112 طه باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1 ،مطبعة الحوادث،بغداد ،1973م،ص14.

113 بهنام ابو الصوف،سامراء وتحريات المعتصم ،مجلة سومر، ج1 ،مطبعة الجمهورية،بغداد،1968م،ص14.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما يشار اليه هنا ان تطور الاستيطان البشري له اسباب عديدة منها توفر الظروف الطبيعية الملائمة لنشوء الاستيطان البشري وتطوره وما تبعه من عوامل سياسية شجعت الاستيطان ممثلة باتخاذها عاصمة للدولة العربية الاسلامية ، كما ان وفرة الموارد المائية من خلال المشاريع الاروائية القائمة والتي طورت من خلفاء بني العباس كان سببا مضافا لتشجيع الاستيطان وتتمثل هذه المشاريع بالقاطول الأعلى الرصاصي حيث يتفرع من الجهة اليسرى لنهر دجلة جنوب مدينة الدور الحالية بمسافة 4 من حيث وجدت آثار قرى قديمة وهي تلول ممثلة بموضع(تل الاصبعين) و(تل نمر) اللذين يقعان على مسافة 13 و 18 كم على التوالي من الموقع الذي يأخذ القاطول المياه منه 114. اما المشروع الثاني فيتمثل بمشروع ري الاسحاقي والذي انشيء في عصور قديمة سبقت وجود سامراء العباسية وكان ياخذ المياه من جنوب مدينة تكريت من الضفة اليمنى لنهر دجلة ولكنه طمر خلال فترة من الزمن ثم اعيد احياء فرعه الثاني في زمن الخليفة المعتصم والذي يسير باتجاه شرقي وترك فرعه الاول والذي ياخذ اتجاها غربيا 115.

الزراعة :

ان وجود جزء من السهل الفيضي بمحاذاة نهر دجلة من جانبيه الشرقي والغربي وترب كتوف الانهار الصالحة للانتاج الزراعي مزادا عليها توافر موارد المياه ممثلة بنهر دجلة ومشاريع الري الاخرى المشار اليها سابقا قد ساعدت على قيام زراعة نشطة في اقليم المدينة وبالتالي فقد شكل ذلك عاملا بشريا مساعدا في اختيار المدينة عاصمة للدولة العربية الاسلامية .

[114] سوسة،ري سامراء،اج1 ،ص132.

[115] يونس الشيخ ابراهيم السامرائي ،تاريخ مدينة سامراء،ج3،مطبعة الامة،بغداد،1973م،ص29.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التبادل التجاري :

اشيء الى ان مدينة سامراء تحتل موقعا وسطا بين اقاليم الدولة المختلفة ومن الممكن الاتصال بالمناطق الشمالية والجنوبية وغيرها كما ان موقعها على طريق الملاحة النهرية بين الموصل والبصرة قد جعلها مركزا نقليا مهما وذلك بعد ان ازداد نشاطها التجاري بسبب حركة البناء الكبيرة في المدينة بعد اتخاذها عاصمة للدولة العربية الاسلامية مما ساعد على استقبال السفن القادمة من البصرة عبر بغداد وبالعكس 116.

تخطيط المدينة

تنقسم المدن الإسلامية من حيث التكوين إلى مجموعتين ، هما مجموعة المدن التلقائية أو العفوية أو العشوائية ، ومجموعة المدن المبدعة أو المخططة* ، فمجموعة المدن العشوائية هي السائدة في العالم الإسلامي ، ومنها مدن الأمصار وهذه المدن التي من غير تخطيط ، أما المدن المخططة فهي على نوعين الأول العواصم المستحدثة كمدينة بغداد المدورة ، أما النوع الثاني فهو مدن الأمراء ، وهي المدن التي تنشأ عندما يقرر الحاكم الرحيل من من عاصمته إلى عاصمة جديدة ، كما حدث في مدينة سر من رأى أو سامراء والنوع الثالث هو الأربطة على الثغور الإسلامية كمدينة سوسة بالمغرب والنوع الأخير هو الأمصار ويمكن تسميتها بالمدن العسكرية(117).

---

116 مجيد ملوك دهدي السامرائي، عوامل نشاة سامراء واستعمالات الارض فيها، (بحث القي في ندوة احياء التراث العلمي العربي بغداد 2000 ص4) ومنشور في مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، العدد52،بغداد 2002.

(117) أكبر، جميل عبد القادر، عمارة الأرض في الإسلام مقارنة الشريعة بأنظمة العمران الوضعية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2 ، 1995 ، ص176 ، وسيشار اليه لاحقا، اكبر ، عمارة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تندرج مدينة سامراء تحت المدن المخططة ، التي تعرف بمدن الأمراء وهي التي تؤسس عندما يقرر الخليفة أو الحاكم ترك عاصمته وبناء عاصمة جديدة وقد لعب واحد من العوامل الاجتماعية دوراً هاماً في تأسيس المدينة وهو التخطيط الاجتماعي ، الذي يشير إلى أن الحاكم عليه أن يميز بين قبائل ساكنيها بألا يجمع أضدادا مختلفة متباينة فقد برزت في بغداد مشكلة صراع الأجناس المختلفة ، التي كان الترك من جند المعتصم محركاً رئيسًا لها وخصوصاً بعد ما أهمل الخليفة الجنسين العربي والفارسي وبعدما وجد الأتراك الحضوة (118) فبعد أن كثر جند المعتصم حتى بلغوا سبعين الفاً فمدوا أيديهم إلى حرم الناس واذا ركبوا انحطم كثير من الصبيان والعميان والضعفاء من ازدحام الخيل((119) ، وعلى ذلك عزم المعتصم الخروج من بغداد إلى عاصمته الجديدة وبنى المعتصم القصور والدواوين وثكنات الجيش واقطع القطائع للقواد الذين بنوا فيها منازلهم بعيداً عن منطقة سكنى العامة ، التي تركزت حول المسجد الجامع في الشمال فكان الفصل الاجتماعي بين الأتراك والعامة واضحا (120).

ذكر اليعقوبي بأن المنصور عندما بدأ بتخطيط المدينة المدورة قسمت أرباضها إلى أربعة أجزاء فهو يذكر أن المنصور : (قسم الأرباض(121)أربعة أرباع وقلد للقيام بكل ربع رجلا من المهندسين(122) وأعطى أصحاب كل ربع مبلغ ما يصير لصاحب كل قطعة من الذرع ومبلغ ذرع ما لعمل الأسواق في كل ربض) (123).

(118) عثمان ، المدينة ،ص 166

(119) المرجع نفسه ، ص 318

(120) عثمان، المدينة ،ص 128

(121) الأرباض الناحية أو الضاحية ، الزركلي ، الاعلام ، 161.

(122) ذكر أسماء المهندسين وهم عبد الله محرز ، حجاج بن يوسف ، عمران بن وضاح ، وشهاب بن كثير بحضرة المنجم نوبخت ، اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 29.

(123) اليعقوبي ، البلدان ، ص 29.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وان الهدف من اختيار موقع ما للاستيطان وتجميع الوحدات السكنية فيه ليس لمجرد الإيواء وإتاحة الملجأ بل يهدف كذلك إلى إيجاد العلاقة السوية بين مصالح الناس وخياراتهم وبين صفات وخصائص ذلك الموقع وبين الموضع الذي تقوم عليه المدينة ، وان اختيار الموقع يراعى فيه المكان المناسب من حيث علاقته بموارد الماء(124) وعندما اختار الخليفة المعتصم سامراء شرع ببنائها وهو يعلم أسس البناء والتخطيط التي اتبعها المنصور في بغداد وأضاف عليها وطورها إذ وتقع سامراء في ارض يمر بها دجلة من جهة الغرب والنهروان من الشرق وتحيط بها ارض سهلية زراعية وكان فيها عدد من المزارع والأديرة(125)، وان من مميزات الموقع الجيد لبناء المدن منذ قديم الأزمان هو قرب الموضع من المياه والمنطقة المنبسطة التي يمكن استغلالها للمحاصيل الزراعية والبساتين والحدائق.

وبعد أن خط المهندسون خريطة المدينة كتب الخليفة المعتصم لاستدعاء الفعلة والبنائين وأهل المهن من الحدادين والنجارين وسائر الصناعات (126). وشملت عملية الاستدعاء تلك أهل أمصار الدولة الإسلامية، وهذا يدل بأن الخليفة المعتصم سار على نهج المنصور في استدعاء الفعلة وأصحاب المهن من الأمصار بعد تخطيط المدينة.

---

(124) الهيتي ، صبري فارس ، جغرافية الاستيطان الريفي ، مطبعة بيت الحكمة ، (بغداد ، د.ت) ، ص130 . وسيشار اليه ، الهيتي ، جغرافية

(125) المسعودي ، مروج الذهب ، ج 4 ، ص 54 ، الاصيل ، مدينة المعتصم ، ص 169.

(126) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 58، 59 ، مصطفى ، تاريخ المدن ، ج 1 ، ص 377 ، سوسة ، ري سامراء ، ج 1 ،. ص 50.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الواضح أن الخليفة المعتصم قد طبق سياسة استدعاء الفعلة والخبراء الفنيين للاشتراك في بناء عاصمته لإبراز شخصيته لان الخليفة المعتصم خليفة للجميع وكذلك عاصمته لغرض الاستفادة من أجل زيادة إرضائهم وإبداء السمع والطاعة للخليفة (127). لقد استقدم الخليفة المعتصم من كل بلد من يعمل عملا من الأعمال أو يعالج مهنة من مهن العمارة والزرع والنخل والغرس وهندسة البناء، ووزنه، واستنباطه والعلم بمواضعه من الأرض، وحمل من مصر من يعمل القراطيس وغيرها ومن البصرة من يعمل الزجاج والخزف والحصر، وحمل من الكوفة من يعمل الأدهان، ومن سائر البلدان من أهل مهنة وصناعة فأنزلوا مع عوائلهم بهذه المواضع واقطعوا فيها وجعل هنالك أسواقا لأهل المهن بالمدينة (128). والمعروف تاريخيا إن الخليفة المعتصم والمهندسين الذين كانوا مسؤولين عن مخططات المدينة وبنائها قد غيروا بعض الشيء من القواعد المتبعة مسبقا في المدن الإسلامية الأولى كالبصرة والكوفة وبغداد حيث كان المسجد بجانب القصر أو دار الإمارة أما الخليفة المعتصم فجعل المسجد الجامع و الأسواق المحيطة به بعيدا عن قصر الخليفة المعتصم وكان هدفه جعل محل إقامته بعيدا عن مركز المدينة حتى لا يقع في خطأ المنصور الذي كانت أسواقه داخل المدينة حتى اضطر في الأخير إلى تحويل الأسواق إلى جانب الكرخ، وكذلك انزل جنده الأتراك في أحياء معزولة عن الناس لتجنب المشاكل (129).

ويبدو أن المهندسين لهم دور بارز في ترسيم وتخطيط المدينة مع اختيار أصلح موضع المدينة وبعد ذلك قام الخليفة باستدعاء (الفعلة، والبنائين، وأهل المهن من الحدادين والنجارين وسائر الصناعات) (130).

(127) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 58 ، حميد ، تخطيط المدن ، في حضارة العراق ، ج 9 ، ص 39.

(128) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 64، 65 ، الموسوي ، العوامل التاريخية لنشأة المدن ، ص 147.

(129) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 64، 65 ، الموسوي ، العوامل التاريخية لنشأة المدن ، ص 147.

(130) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 58 ، المسعودي ، مروج ، ج 4 ، ص 10 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

راعى الخليفة المعتصم عند بناء المدينة الناحية التجارية، فوسعت صفوف الأسواق المتعددة المتنوعة الأصناف كسوق الزجاج والخزف وأسواق الخبازين والقصابين والصناعة والبزازين والبقالين كما كان فيها مرسى السفن التجارية التي ترد على ما يذكر اليعقوبي (من بغداد وواسط والبصرة والأبلة والأحواز(131) وما يتصل بذلك ومن الموصل وديار بكر وربيعة(132)وما اتصل بذلك)(133).

وكذلك بني الخليفة المعتصم قصرا قبيل انتقاله إلى سامراء كان موقعه في الميدان في الجانب الشرقي فأقام فيه حتى سنة 221هـ/836م(134).

وكذلك بني الخليفة المعتصم عدة قصور في سامراء منها قصر الفوقاني على ضفة نهر الإسحاقي، وربما بناه الخليفة للنزهة والتفرج ويصعد إليه-الخليفة من قصره الأصلي (قصر الجص)(135).

(131) الاحواز من نواحي بغداد من جهة النهروان واسمها في أيام الفرس خوزستان وهو اسما عربيا سمي به في الإسلام ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 1 ، ص 284.

(132) ديار ربيعة منطقة بين الموصل إلى رأس العين نحو بلقاء الموصل ونصيبين و رأس عين و والخابور كله وما بين ذلك من المدن والقرى وربما جمع ديار بكر وديار ربيعة وسميت ديار ربيعة لأنها كلها ربيعة ، اليعقوبي ، حواشي البلدان ، ج1 ، ص 23.

(133) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 65 ، الموسوي ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن ، ص 305.

(134) سوسة ، ري سامراء ج 2 ، ص 367.

(135) الشرقي ، قصور ، ص 273.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتعد دار الخلافة التي بناها الخليفة المعتصم سنة 221هـ/836م في سامراء من أعظم القصور العربية الإسلامية قاطبة وهو عبارة عن مدينة صغيرة تضاهي مدينة السلام وهو قصر للخليفة وحاشيته وحريمه، ويعد من أهم الدور والعمارات التي شيدها الخليفة المعتصم في سامراء كما تعد من أفخم المنشآت المعمارية العباسية.(136)

يبدو إن الخليفة المعتصم من خلال تشييد هذه القصور الضخمة في سامراء كأنه أراد أن ينافس بغداد وقصورها وإبراز شخصيته وعاصمته من خلال هذه العمارات الشاهقة ولتخليد ذكراه على مر السنين.

وتشييد مدينة سامراء من قبل الخليفة المعتصم بالله فضلا عن الدوافع السياسية والعسكرية فقد شارك في بنائها الدافع الشخصي في نفسية الخليفة وأراد إن ينافس ويقابل بغداد المنصور المدورة من حيث العظمة والعمارات لذلك قال القزويني في رواية عن سامراء بأنه (أعظم بلاد الله بناء وأهلا)(137). وهو قول لا يخلوا من المبالغة.

إذا الهدف من إنشاء سامراء فضلا عن ترابطه بما حدث من تطور في تشكيل وحياة البلاط والإدارة وفي الوقت ذاته ليعظم الحكم والحاكم بعد ما استقرت الدعائم العباسية.(138)

ولما مات الخليفة المعتصم ولي الخلافة هارون الواثق بن الخليفة المعتصم (227-232هـ/842-847م) فبني القصر المعروف بالهاروني على دجلة (139). وجعل له دكتين دكة غربية ودكة شرقية وكانت من أحسن القصور(140).

---

(136) العميد ، العمارة العباسية في سامراء في عهدي المعتصم والمتوكل ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1364هـ ، 1976م ص 79. وسيشار اليه لاحقا ، العميد ، العمارة

(137) العميد ، العمارة ، ص 385.

(138) عثمان ، المدينة الإسلامية ، ص 76.

(139) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 65 ، الطبري ، تاريخ الطبري ج 9 ، ص 123.

(140) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج 3 ، ص 216.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويكفينا وصف الطبري للرواق الأوسط من الهاروني والقبة المنشأة عليه لنقف على عظمة القصر وقال: " وقد كان في أحد شقي ذلك الرواق قبة مرتفعة في السماء بيضاء كأنها بيضة إلا قدر ذراع، فيما ترى العين حولها في وسطها ساج منقوش مغشي بالازرد والذهب وكانت تسمى قبة المنطقة، وكان ذلك الرواق يسمى رواق قبة المنطقة)(141) .

يبدو أن حب الظهور والعظمة والأبهة كانت تدور في نفس الواثق فأراد أن يعبر عنها بتشييد قصر ضخم يبني عليه قبة بيضاء عالية، واهتم الواثق بالقصر من الداخل وغشاه بالذهب ونقشه بخشب الساج، وهو يريد من خلال قصره أن يبقى له الشهرة والخلد عند الأجيال حتى بعد مماته، لأنه دفن في هذا القصر عام(232هـ/847م)(142).

وكان المتوكل من الخلفاء البارزين الذين اهتموا بالبناء فشيد ما لا يقل عن خمسة عشر قصرا في سامراء، وتميز عصره بالاهتمام ببناء الجوامع و الاتقان الفني في إعمارها ، فبني الجامع الكبير في سامراء وشيد له مئذنة عالية(الملوية)، وكان الناس يرونها من بعيد وهو أكبر مسجد جامع في الدولة الإسلامية آنذاك ومن القصور التي بناها المتوكل في سامراء قصري السندان والبديع والبرج والغريب، والعروس والصبيح واللؤلؤ والممتاز والمحمدية.(143)ويقول ياقوت الحموي: (لم يبن أحد من الخلفاء بسر من رأى الأبنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل) (144).

(141) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج 3 ، ص 125.

(142) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج3 ، ص 151 ، الشرقي ، القصور ، ص 287.

(143) اليعقوبي ، البلدان ، ج1 ، ص 266 ، الطبري ، تاريخ الطبري ، ج 9 ، ص 175، 176 ، حميد ، تخطيط المدن ، ص 42، 43 .

(144) الحموي ،معجم البلدان ، ج 3 ، ص 267.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويمكن القول إن صرف هذه الأموال الضخمة وتشييد القصور بهذه الإعداد الكبيرة الضرورية وليس له أي تفسير سوى تخليد الذكرى عبر مر السنين والأجيال، وضروري لتشغيل أيدي عاملة كثيرة فيه ودفع أجورهم من أجل رفع المستوى المعاشي للعمال وأصحاب المهن الأخرى نظرا لتوفر الأموال بيد الدولة العباسية.

وفي عام(245هـ/860م)ترك المتوكل سامراء وبحث عن مكان آخر لكي يبني مدينة أخرى لينتقل إليها، ويروي اليعقوبي إن المتوكل: (عزم أن يبني مدينة لينتقل إليها وتنسب إليه، ويكون له بها الذكر فأمر محمد بن موسى المنجم ومن يحضر بابه من المهندسين أن يختاروا موضعا، فوقع اختيارهم على موضع يقال له المحاوزة)(145).

وبعد أن شيدت المدينة وبنيت القصور والدور وحفر النهر لتأمين الماء لها سمى المتوكل هذه المدينة الجعفرية منسوبة إلى اسمه الأصلي، أو المتوكلية(146) نسبه إلى لقبه، ثم انتقل إليها في محرم(247هـ/861م) فلما جلس أجاز الناس بالجوائز السنية وأعطى جميع القواد والكتاب وكل الذين شاركوا في الإعمال وهو مسرور جدا وقال: (الآن علمت أني ملك إذ بنيت لنفسي مدينة سكنتها) (147).

وهذا يعني أن الخليفة يشعر بعظمة السلطة عند إنجاز عاصمة خاصة به يعتقد وكأنه لم يكن خليفة حتى أنجز عاصمته الجديدة.

ومما يدل على عظمة قصر الجعفري ما ذكره أبو العيناء (محمد بن قاسم بن خلاد الاهوازي البصري عند دخوله على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة(246هـ/860م)حيث قال له المتوكل: (ما تقول في دارنا هذه؟ فقال: إن الناس بنوا الدور في الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك) (148).

(145) الحموي ، البلدان ،ج1، ص 67 ، السامرائي ، تاريخ مدينة سامراء ، ج 1 ، ص 95.

(146) أنظر الملحق رقم (1)

(147) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 67، 68 ، الموسوي ، العوامل التاريخية ، ص 150.

(148) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج 7 ، ص 62 ، الشرقي ، القصور ، ص 329.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المرافق العامة

شملت مدينة سامراء على عدة مرافق تنوعت بحسب ما تقتضي الحاجة من خدمات بنية تحتية لتجعل من المدينة ذات طابع متكامل و يخدم الهدف الذي بنيت لأجله و من ابرزها المسجد الذي يدل على طابع المدينة الإسلامي، دار الأمارة وقد أقيم في المدينة التي كانت تتخذ مقر للولاية السوق قريب من المسجد وحوله القطائع وهي عبارة عم ثكنات يقيم فيها الجند ، و الحمامات وهي قسمان خاصة وشعبيه ثم أن هناك منشآت في سامراء كانت مخصصة للنزهة والترفيه بناها الخلفاء في كثير من القصور مثل قصر البرج الذي فيه بركة ماء عظيمة غشي ظاهرها وباطنها بصفائح الفضة، وجعل عليها شجرة ذهب فيها تماثيل كل طائر يصوت ويصفر سماها طوبي(149).

كانت القصور والمباني التي بنيت في سامراء في عهد الخليفة المعتصم واسعة للغاية مكتملة المرافق الخدمية والترفيهية وذلك لكبر مساحتها ولتزويدها بمتطلبات السكني والوسائل الترفيهية من بساتين وبرك ووسائل أخرى ورغب الناس اليها في أن يكون لهم بها أدنى أرض وتنافسوا عليها (150).

ومن الأعمال التي أنجزت في مدينة سامراء التزين والجمال لمظهر العاصمة وزينوا بعض جدران القصور بالرسوم ومنها قصر المختار الذي كان فيه صور كاصور بيعة للرهبان (151).

وجعل المتوكل في قصره (البرج) صورا عظاما من الذهب والفضة، وجعل حيطانه من الداخل والخارج ملبسة بالفسيفساء والرخام والذهب (152).

---

(149) الغزولي ، علاء الدين بن عبد الله (ت 815هـ / 1412م) ، مطالع البدور في منازل السرور ، ج 1 ، القاهرة ، 1299هـ ، 1978مج 2 ، ص 387 ، وسيشار اليه ، الغزولي ، مطالع ، السامرائي ، تاريخ ، ص 12.

(150) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 65 ، السامرائي ، تاريخ ، ص 16.

(151) السامرائي ، تاريخ ، ص 16.

(152) المرجع نفسه ، ص 26.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا يدل على الحس الفني للعمال والفنانين وخبراتهم المتنوعة ونتيجة هذا أصبحت قصور سامراء ومشاريعها الأخرى في غاية الجمال والزينة، أن الاستعانة بهذه الخبرات قد أحدث ثورة حقيقية في مجال الفنون والعمارة وسببها تنوع المدارس الفنية التي ينتمي اليها أولئك العمال المهرة وكذلك الرخاء الاقتصادي، وازدياد موارد الدولة فسح مجال أمام المهندسين والفنانين والبنائين للعمل والإبداع في سامراء (153).

وبعد أن كره المتوكل سيطرة ونفوذ الأتراك الذين كانوا يحلمون باستعادة مجدهم الذي تمتعوا به في عصري الخليفة المعتصم والواثق (154)، فأراد إن تمثل كل قومية بصورة متساوية في الجيش العباسي وأراد أيضا أن يضع العرب والأتراك والاشروسنية والمغاربة في مراتب متساوية (155).

يحيط بالمتوكلية التي بناها المتوكل سور مضلع على شكل يميل إلى الاستدارة، يبلغ طول محيطه (٢ م) ، ولا يتجاوز قطره (٦٨٠ م)، مبني بالجص والآجر يصل ارتفاعه إلى (٧ م)، وان له ١٩ برجا وأربعة أبواب، هي باب القاطول، وباب الناصرية، وباب الملطوش، وباب بغداد، وظل هذا السور ماثلا للعيان حتى سنة(١٣٥٦ هـ / ١٩٣٦ م) ، وأكثر بيوت المدينة مبنية بالأجر وتنتشر في أرجائها الحدائق العامة والخاصة، وفتح فيها متحف وضعت فيه المخطوطات والمصورات المهمة عن أثارها، وفي مدخل المدينة يقع مشروع الثرثار الذي يقي من الغر 156.

أحياؤها السكنية الخليفة المعتصم، الثرثار، محلاتها فهي :محلة العابد، ومحلة البوجول، ومحلة البوبدري، ومحلة البونيسان، والمحلة الغربية، ومحلة القاطول، ومحلة القلعة، والمحلة الشرقية.

(153) السامرائي ، تاريخ ، ص 18.

(154) العميد ، العمارة ، ص 125.

(155) العميد ، العمارة ، ص 125 ، الموسوي ، العوامل التاريخية ، ص 151.

156 العميد ، العمارة العباسية.ص 26

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شوارعها :شارع الخليج، وشارع السريحة، يعرف بالشارع الأعظم، وشارع الحير الأول، وشارع أبي أحمد بن الرشيد، وشارع برغمش الترآي.

مساجدها :جامع سامراء الكبير الذي شيده الخليفة المعتصم عند بداية بناء المدينة سنة (٢٢١ هـ / 836م)، وجامع القلعة، ومسجد علي بن أبي طالب، ومسجد الأرقم، وجامع الفاروق .ويعتبر جامع أبي دلفلا وملويته والذي يبعد نحو ١٥ م عن شمال المدينة من الآثار العباسية المهمة في المدينة.

المئذنة الملوية، والنافورة، وقصر بلكوارا، شيده المعتز سنة ٢٤٧ هـ / 861م)، وقصر الخليفة المعتصم الجوسق الخاقاني، وقصر المختار، والقصر الوزيري، وقصر العروس، والقصر الجعفري، ومدينة المتوآلية على بعد ١٠ آم شمال مدينة سامراء، وقصر الجص، وبرآه السباع، والقبة الصليبية، ودار العامة، وتل الصوان، وسور سامراء(157) ، وهناك بركة واسعة التي يشرف عليها قصر الحير، وشيد المتوكل هذه البركة قرب قصره من أجل التمتع ببرودة الهواء والماء في صيف سامراء الحار (158).

وهنالك حديقة الحيوانات (الحير) التي شيدها المتوكل خارج مدينة سامراء ومشتملاتها من جهة الشرق بين القاطولين، وكانت تضم عددا كبيرا من الحيوانات المفترسة والوحوش الضارية، مثل النمور والأفاعي والعقارب والضبية، وكانت هذه الضواري في الأقفاص وضمن الجدران الداخلية، وأما القسم الأكبر منها فكانت طليقة في وسط الحير الواسع، وكانت مساحة الحير من السعة بحيث يسهل معها الصيد والقنص وهو فضلا عن موضع لتنزهات الخليفة(159).

(157) العميد ، العمارة العباسية.ص 28 .

(158) سوسة ، ري سامراء ، ج 2 ، ص 301.

(159) سوسة ، ري سامراء ، ص 298.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أسواق محلية :

قصد المعتصم من تخطيطه سامرّاء أن يجعلها مركزا واسعا ، ويقيم الأتراك في مراكز فرعية على مسافة من المركز ، وكان أبرز هذه المراكز الفرعية في المطيرة الواقعة في الأطراف الجنوبية الشرقية ، والكرخ الواقعة في الأطراف الشمالية الشرقية ، والحير في الجنوب.

أما المطيرة فقد أنزلها الأفشين الأشروسني الذي بنى فيها قصرا وأقطع أصحابه الأشروسنية وغيرهم من المضمومين إليه حول داره ، وأمره المعتصم أن يبني هناك سويقة فيها حوانيت تجار فيما لابدّ منه ، ومساجد وحمّامات ، وكانت المطيرة تبعد فرسخين عن معمور مركز سامرّاء وليس في ذلك الموضع شيء من العمارات ثم أحدقت العماره فيه ، وكانت للحسن بن سهل قطيعة في آخر الأسواق تمتد إلى خشبة بابك ، فامتدّ بناء الناس من كل ناحية ، واتّصل البناء بالمطيرة حتى صارت قطيعة الحسن بن سهل وسط سرّ من رأى (160).

أما الكرخ فقد أقطعه أشناس وأصحابه «وضمّ إليه عدة من القواد الأتراك والرجال ، وأمره أن يبني المساجد والأسواق (161) وأمر أشناس أن لا يطلق لغريب من تاجر ولا غيره مجاورتهم ، فأقطع قوما آخرين فوق الكرخ وسمّاه الدور.

وجعل في كل موضع سويقة فيها عامة حوانيت الفاميين وهم باعة البقول والقصابين ومن أشبههم ممن لابدّ لهم منهم ، ولا غنى لهم عنهم. (162) ويوحي هذا النص أن هذه السويقات كانت للأتراك ولم يشغلها غرباء. أما خاقان عرطوج الذي أقطع مع أصحابه قرب الجوسق ، ووصيف الذي أقطع مع أصحابه عند الحير (163) ، فلم تذكر في قطائعهم أسواق ولعل الاعتماد في ذلك كان على السوق الرئيسية.

---

[160] اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، 256.

[161] اليعقوبي ، البلدان ، ج1 ، 258.

[162] المصدر نفسه ، 259.

[163] المصدر نفسه ، 228.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما أهل الصناعات والحرفيون من أهل المهن ، فكان لابدّ من جلبهم من المناطق الأخرى. وقد ذكر اليعقوبي منهم من جلب من البصرة والكوفة ومصر ، وأشار إلى أنه جلب أيضا من بلاد أخرى لم يسمّها والراجح أنه جلب من كل بلد صنّاع صناعة واحدة كالحرفيين الذين جلبوا من الكوفة والبصرة ، وبذلك تنسقت أصولهم الجغرافية مع حرفهم ، إلا أن الدولة عاملتهم على أساس حرفهم وراعت تميّز هذه الحرف ، ولعل أكثر الصناع أسكنهم المعتصم في الجانب الغربي.

تخطيط المدينة وشبكة الشوارع :

مدينة سامراء العباسية اتخذت شكلا طوليا مع نهر دجلة وتوسعت من الشمال الى الجنوب بطول 34كم لعدم وجود محددات التوسع في هذين الاتجاهين ضمن المسافة التي امتدت فيها المدينة عكس الاتجاهات الاخرى حيث وجود نهر دجلة في الجهة الغربية والنهروان من الجهة الشرقية ، وكانت الشوارع[164] التي تقع على الحدود الشرقية من المدينة تمسى " شوارع الحير " منها " شارع الحير الجديد " الذي فتحه المتوكل، وقد جاء فيما ذكره اليعقوبي ما يؤيد أنه كان للحديقة سور يحيط بها من كل أطرافها، وأن الحديقة تقع في ساحة واسعة خلف سور المدينة، واليك ما كتبه في هذا الصدد قال: " وهذه الشوارع التي من الحير كلما اجتمعت الى اقطاعات لقوم هدم الحائط وبني خلفه حائط غيره وخلف الحائط الوحش من الضباء والحمير الوحش والأيايل والأرانب والنعام وعليها حائط يدور في صحراء حسنة واسعة.. "[165] .

[4] أنظر الملحق رقم (2)

[165] **العميد ، العمارة العباسية.ص** 162 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشارع الأعظم:

سبق أن ذكرنا أن المتوكل فتح شارعا رئيسيا يمتد بين آخر البناء في الحدود الشمالية لسر من رأى وبين مدينة المتوكلية الجديدة، وقد سمي هذا الشارع باسم "الشارع الأعظم" ، وأهم ما يلفت النظر في أمر هذا الشارع سعة عرضه واستقامة تخطيطه مما يدل على عظمة مشروع مدينة المتوكل الجديدة والابداع في تنسيقها وتخطيطها وقد كتب اليعقوبي في هذا الصدد قال: " ومد "المتوكل" الشارع الأعظم من دار أشناس التي بالكرخ والتي هي صارت للفتح بن خاقان مقدار ثلثه فراسخ(166) إلى قصوره ، وجعل دون قصوره ثلثه أبواب عظام جليلة يدخل منها الفارس برمحه، وأقطع الناس يمنة الشارع الأعظم ويسرته وجعل عرض الشارع الأعظم مائتي ذراع وقدر أن يحفر في جنبي الشارع نهرين يجري فيهما الماء من النهر الكبير الذي يحفره" .

ويمكن تتبع آثار هذا الشارع بين سور أشناس و المتوكلية إذ تحدد أطلال الأبنية القديمة من الجانبين أما السواقي الجانبية التي كانت تستمد مياهها من "النهر الجعفري"(167) والتي أشار إليها اليعقوبي فتشاهد آثارها على جانبي الشارع أيضا في معظم أقسامه، ويبدأ الشارع من سور أشناس بعرض حوالي خمسين مترا فيسير مسافة زهاء كيلومترين شمالا ثم ينعطف نحو الغرب قليلا فيسير من هنا في اتجاه مستقيم بين نهر دجلة ونهر القاطول الكسروي نحو المتوكلية، وبعد أن يسير حوالي الكيلومتر في هذا الاتجاه يتضاعف عرضه حتى يصبح مائة متر ويستمر في نفس الاتجاه حتى إذا ما قطع زهاء ستة كيلومترات ونصف الكيلو متر اعترضه السور الخارجي لمدينة المتوكلية، وهو السور الذي يمتد عرضا بين نهر القاطول الكسروي و نهر دجلة .(168)

(166) الفرسخ يعادل ثلاثة أميال وهي تساوي. (٦) كيلومتر ، هنتس.، المكاييل. ٩٤ص

(167) أنظر الملحق رقم (3)

(168) سوسة ، ري ،ج2 ، ص 339.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهنا نجد آثار بناء الأبواب الثلاثة التي وصفها اليعقوبي بقوله "أنها أبواب عظام جليلة يدخل منها الفارس برمحه" وبعد أن يجتاز الشارع هذا السور يعود فيصبح عرضه خمسين مترا فيسير بموازاة ضفة نهر القاطول الكسروي مسافة كيلو متر ونصف كيلو متر ثم ينحرف غربا حتى ينتهي عند الزاوية الجنوبية الشرقية لسور مدينة المتوكلية حيث يقع في هذه الزاوية المدخل الرئيسي لأبنية المدينة، ويبلغ مجموع طول الشارع بين سور أشناس وسور المدينة الداخلي حوالي اثني عشر كيلومترا ونصف الكيلو(169).

ويشاهد في غربي الشارع قبل دخوله السور الخارجي لمدينة المتوكلية بقليل بقايا "جامع أبي دلف" ومئذنته (170).

وقد دلت أعمال المسح على طول الشارع أن الأراضي التي يقع فيها الشارع تنحدر من الشمال إلى الجنوب بهبوط مستمر مما يساعد على جريان المياه في السواقي التي على جانبي الشارع من الشمال إلى الجنوب، وقد دلت هذه الأعمال على أن منسوب قعر الحوض الذي على الجانب الأيمن من القاطول الكسروي ، وهو الحوض الذي كانت تتجمع فيه مياه النهر الجعفري يبلغ 64 و 85 مترا فوق سطح البحر، أما الفرع الذي يتفرع من الحوض ويغذي السواقي فيبلغ منسوبه عند الزاوية الجنوبية الشرقية لسور المتوكلية 25 و 85 مترا، ثم يهبط المنسوب في آخر الشارع عند سور أشناس إلى حوالي 77 مترا، أي أن منسوب الأراضي التي يقع فيها أول الشارع قرب سور أشناس أوطأ من منسوب قعر النهر في نهاية الشارع عند المتوكلية بحوالي ثمانية أمتار، وهذا كان يسهل جريان المياه في السواقي على جانبي الشارع حتى سور أشناس، أما المياه الزائدة في هذه السواقي فكانت تصرف إلى نهر دجلة جنوبي سور أشناس.

(169) العميد ، العمارة ،ص 112

(170) سوسة ، ري ،ج2 ، ص 339 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اما الشوارع الرئيسية في المدينة فقد خططت بشكل مستقيم يضمن لها كفاءة نقل جيدة كما انها كانت سببا في توقيع استعمالات الارض المختلفة عليها كما انها توصل مركز المدينة وقلبها النابض ممثلا بمركزها السياسي بالمركز الاداري والديني واقيمت الطرق الفرعية لربط الطرق الرئيسية ،اما اهم الشوارع فهي :

شارع الخليج:يعد هذا الشارع شريان الحياة الاقتصادية للمدينة ويربط لمدينة من شمالها الى جنوبها وكان يرتبط بحركة السفن في النهر حيث كان مركزا تجاريا مهما لاستقبال البضائع التي تحمل من بغداد وواسط والاحواز والابله والبصرة بواسطة السفن كما ان البضائع والحاصلات الزراعية تنقل عبره الى مدن العراق الاخرى عبر النهر.

الشارع الاعظم (السريجة) : ويقع الى الشرق من الشارع الاول ويمتد من المطيرة جنوبا حتى قطيعة اشناس شمالا اي من شمال المدينة حتى جنوبها ويعد من اعرض الشوارع في المدينة 171،وهو من الشوارع المهمة في المدينة لان اكثر الاستعمالات الادارية والدينية والصناعية والتجارية تقع عليه مثل دار الخلافة والجامع القديم ودار الشرطة وديوان الخراج وسوق الرقيق وبعض القطائع كقطائع الخراسائيين 172.

شارع ابي احمد بن الرشيد :ويقع الى الشرق من الشارع الاعظم وقد قامت عليه بعض القطائع مثل قطائع الوزراء والقضاة والكتاب وسائر الناس وهو مخصص لسكن القضاة والكتاب والوزراء.

شارع الحير الاول: وفيه قطائع الجند واخلاط الناس.

شارع برغامش التركي:وفيه تقع القطائع الخاصة بالاتراك وكذلك قطائع الفراغنة حيث دروب الاتراك منفردة والفراغنة منفردة ولا يخالطهم احد من الناس173.

[171] احمد سوسة، ري سامراء ،ج1، ،ص61.

[172] اليعقوبي، البلدان، ج1 ، بيروت،1960م،ص55.

[173] المسعودي ، مروج الذهب ، ج4 ،ص55.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شارع صالح العباسي(شارع العسكر): وعزل على طوله قطائع الترك عن تلك التي يسكنها الفراغنة كما توجد عليه قطائع بعض قادة الجيش ووجوه المجتمع والكتاب .

شارع الحير الجديد:وتقع على جانبيه منازل مجموعات سكانية متباينة مثل الاشروسية والخزرجيين والخراسانيين.

عمران سامراء

القصور

سيتم بيان اهم القصور التي بينت في عهد المعتصم والمتوكل على الله.

دار الخلافة : ويقع على الشارع الاعظم(السريجة)وهي دار العامة وقد بنيت في مكان الدير الذي اشتراه المعتصم من اهله قبل الشروع في بناء المدينة وتبلغ مساحتها 560000 متر2 .

الجوسق الخاقاني: ويعد من اهم القصور التي شيدت في زمن المعتصم بن هارون الرشيد ويقع الى الجنوب من دار الخلافة وقد اتخذ هذا القصر مكانا لسكن المعتصم بالله ومعظم الخلفاء الذين حاءوا من بعده .

قصر الجص: ويقع الى الشمال من مدينة سامراء لمسافة تزيد عن 15كم وقد بني لنزهة المعتصم وتبلغ مساحته 19000 متر مربع 174.

القصر الهاروني:وهو القصر الذي بناه الواثق بالله بن المعتصم ويقع على الضفة اليمنى لنهر دجلة حيث ان اطلاله واضحة للعيان في الموقع المعروف بالكوير وان الجسر الذي اقامه المعتصم لربط الضفتين لنهر دجلة يقع امامه مباشرة 175.

---

174 الحموي ، معجم البلدان، ج4 ،ص356.

175 إبراهيم ، حسين علوان ، الاثار القديمة العامة سامراء، مطبعة الحكومة، بغداد،1940، ص70.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و لبيان مدى أهتمام المعتصم و المتوكل ببناء القصور نبين من خلال مايلي نماذج من أبرز القصور التي تم بنائها في سامراء ثم في المتوكلية:

قصر المتوكل في الحير

ومن أهم ما يلفت النظر ان الحير الذي تقدم وصفه لم يكن حديقة حيوانات ولا كان مكانا للصيد والقنص فحسب، وإنما موضعا لتنزهات الخليفة ولأنه أيضا، لأننا نجد في الحد الجنوبي من الحديقة آثار قصر واسع مستطيل الشكل يقع في منتصف الضلع الجنوبية لسور الحديقة من الداخل، ويبلغ عرضه الذي يمتد مع السور (125) مترا وطوله الذي يمتد الى الشمال في داخل السور (165)، أي بمساحة حوالي(20,000م) مربع، ولعل القصر المذكور أنشئ في حير الحيوانات عملا بعادة الفرس القدماء الذين كانوا يجعلون حير الوحوش متصلا بالقصر الملكي(176).

وواجهة هذا القصر مقابلة للشمال فأمامها بهو مستطيل على شكل دكة بعرض خمسين مترا، ويشرف على بركة مربعة واسعة يبلغ طول أضلاعها مئتي متر تقريبا، أي بمساحة حوالي أربعين ألف متر مربع، وهذه هي البركة الجعفرية التي وصفها البحتري بدون أي شك، وسنأتي على وصف تقسيماتها الداخلية من سواق ودكات ومقصورات في فصل تال. أما من الجنوب فيوجد خلف القصر ساحة كبيرة مستطيلة مسورة بسور من الطين واللبن فتمتد الى حد الضفة اليسرى للقاطول الأسفل (نهر القائم).

وتمتد هذه الساحة مسافة (650) مترا، وبذا تكون مساحتها حوالي (620,000) متر مربع، وفي وسط هذه الساحة الجميلة مصطبة اصطناعية تشرف على القاطول الأسفل من جهة، وعلى القصر وحديقة الحيوانات من جهة أخرى، ولعل " ساحة التل" التي ذكرها البحتري في شعره هي نفس هذه الساحة، وقد سماها "ساحة التل" نسبة للتل الذي يقع في وسطها (177).

(176) العميد ، العمارة ،ص 89

(177) سوسة ، ري سامراء ، ج2 ، ص 299.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتوجد على كل من جانبي هذه الساحة قطعة مستطيلة من الارض مسورة بسور من الطين أيضا تمتد على طول الساحة إلى مسافة (650) مترا تقريبا، وبذلك تبلغ مساحة كل من هاتين القطعتين حوالي (80,000) متر مربع، وفي هاتين القطعتين آثار أبنية منتشرة على طولها لعلها كانت من جملة الأبنية التي أعدت لرجال حاشية القصر وللقائمين بأعمال حديقة الحيوانات.

من المعروف بأن هذه الحديقة الخاصة بالحيوانات بأنواعها والبركة المائية لم يبنيا إلا للنزهة والأنس أي أن الدافع الشخصي عامل مؤثر في بنائها، وهناك في الحديقة وحتى في لقصور الكباش التي كان يناطح بها بين يدي الخلفاء والديوك أيضا (178).

وبنى الخليفة المعتصم قصر فوقاني الذي يقع على تل قريب من قصر الجص على ضفة نهر الاسحاقي واختاره الخليفة بعد ان استقر مجرى نهر الإسحاقي وتقوت ضفافه وربما كانت البناية بمثابة قصر للنزهة والتفرج، وجاء اسم(الفوقاني)لان الخليفة يصعد اليه من قصره الاصلي (قصر الجص) ولذلك سمي بالقصر الفوقاني .(179)

وعندما جاء المتوكل الى الخلافة شيد كثيرا من القصور والمباني في سامراء، ومن ضمنها قصر الصبيح ومليح في سامراء وسبب اختيار موقعهما يتبين من وصف الشاعر البحتري عندما قال:

(178) رفاه السامرائي ، المدرسة ، ص 13.

(179) الحموي ، معجم البلدان ، ج 5 ، ص 388 ، الشرقي ، قصور العراق ، ص 273.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قد صفا جانب الهواء ولذت رقة الماء في مزاج المدام

واستتم الصبيح في خير وقت فهو مغنى انس ودار مقام (180).

المساجد

المسجد الجامع في سامراء فقد شيده الخليفة المعتصم ويذكر طاهر العميد بأن جدران المسجد كانت من الطابوق الاحمر الخفيف (181)، وغلف محراب الجامع بألواح خشبية جميلة (182) ، وفي الوسط ضمن المسجد الجامع حوضا مكونا من قالب صخري واحد (183).أما المنارة الملوية التي كان ارتفاعها 120 قدما مبنيا من الطابوق وسبب ارتفاعها لكي يسمع صوت المؤذنين بسهولة من بعيد (184). واستخدمت أيضا للمراقبة والرصد العسكري أيضا لان من يصعد عليها يرى مناطق شاسعة حول مدينة سامراء والا ما الداعي لهذا الارتفاع والعلو في ذلك الوقت وهناك مظلة خشبية فوق قمة الملوية لوقاية المؤذنين من الشمس والمطر، وان جسم الملوية لم يكن به أي نوع من أنواع الزخرفة (185).

(180) البحتري أبو عبادة الوليد عبيد (284 هـ / 862م) ، ديوان البحتري ، دار صادر ، بيروت ، د.ت مج 2 ، ص 297، 298 ، وسيشار اليه لاحقا ، البحتري ، ديوان ، السامرائي ، يونس ابراهيم ، البحتري في سامراء حتى عهد المتوكل ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، 1399هـ ، 1970م ص 246. ، وسيشار اليه لاحقا ، السامرائي ، البحتري .

(181) العميد ، العمارة ، ص 153.

(182) العميد ، العمارة ، ص 154.

(183) العميد ، العمارة ، ص 155.

(184) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص 461.

(185) العميد ، العمارة ، ص 147.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحدائق والمتنزهات

استدعى الخليفة المعتصم المختصين في مجال تخطيط المدن وعمارتها من مهندسين ومعماريين، ومن يختص بشؤون الحدائق والزرع والغرس جلب أيضا المختصين بشؤون الري ورفع المياه من دجلة واستنباطها من داخل الارض (186).

وكان في سامراء مكان بقصر الخليفة المعتصم يحفظ فيه الحيوانات ويسمى (حير الوحوش) وفيه الفيل والأسد(187) وهذا يعني بأن أغلب حدائق الحيوانات تشيد عند قصر الخلفاء او بالقرب منه ليراها ضيوف الخليفة وهذا من مظاهر التسلية والترفيه لفئات المجتمع وحواشي الخلفاء خاصة.

"حير الحيوانات" تقع هذه الحديقة، خارج مدينة "سر من رأى " ومشتملاتها من جهة الشرق بين القاطولين، القاطول الأعلى الكسروي وبين القاطول الاسفل (نهر القائم) ، وهي مسورة بسور من الطين يحيط بها من جميع أطرافها ، ويستدل من آثار هذا السور على ان الحديقة كانت مستطيلة الشكل تمتد ضلعاها الجانبيتان باتجاه الشمال أما الضلعان الاخريان فان الضلع الشمالية التي تمتد من الغرب الى الشرق تتصل بكل من الضلعين الجانبيتين في ركنيها بزاوية قائمة أما الضلع الجنوبية فتنحرف قليلا باتجاه الجنوب الشرقي فتسير على محاذاة نهر قاطول الأسفل (مجرى القائم) على مسافة 650 مترا تقريبا من ضفته اليسرى، وتتصل الضلع الاخيرة هذه بالقصر الذي بالمشرحات حيث يقع في منتصف هذه الضلع تماما(188) .

---

(186) الزهراني ، ، ضيف الله يحيى الزهراني ، النفقات وإدارتها في الدولة العباسية من سنة 132 / 334 هـ ، 749 / 945 م ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ط 1 ، 1986 م ص 32 ، وسيشار اليه لاحقا ، الزهراني ، النفقات

(187) التكريتي ، علي ، حدائق الحيوانات ، ، في مجلة المورد ، العدد 4 ، مج 8 ، ص 18.

(188) العميد ، العمارة ،ص 123

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويلاحظ إن(Herzfeld) قد اعتبر في خارطته التي رسمها لمدينة سامراء، وفيما كتبه عن سامراء إن حديقة الحيوانات موضوعة البحث تقع في شمال جامع الملوية قرب تل العليق، وهذا لا يتفق، ليس مع الآثار الحالية التي أشرنا اليها حسب ،ولكنه لا يتفق مع ما دونه المؤرخون في هذا الصدد أيضا مما تقدم ذكره ، ويظهر من مجرى الحوادث أنه كان هناك حير في حدود مدينة "سر من رأى" الخارجية على عهد الخليفة المعتصم وهذا كان سبب تسمية أحد شوارع المدينة في ذلك العهد باسم "شارع الحير الأول " وقد أشار إلى ذلك الحير والى الخيل الذي فيه محمود بن الحسن الوراق، وهو شاعر مشهور كانت وفاته في خلافة الخليفة المعتصم في حدود سنة(230 هـ / 844م)، قال : " كنت جالسا بطرف الحير حير سر من رأى ومعي جماعة لننظر إلى الخيل فمر بنا أبو تمام فجلس اليان " .(189)

وأنشأ المتوكل أيضا حديقة للحيوانات تقع خارج مدينة سامراء ومن جهة الشرق بين القاطولين، القاطول الأعلى الكسروي وبين القاطول الأسفل (نهر القائم) وهي مسورة بسور من الطين يحيط بها من جميع أطرافها وكانت الحديقة مستطيلة وبلغت مساحتها حوالي 20 ألف دونم، وخلف الحائط الوحوش من الضباء والحمير الوحش والأرانب والنعام وعليها حائط يدور في صحراء حسنة واسعة (190) وهذا يدل بأن حير الحيوانات في عهد المتوكل شيدت خارج مدينة سامراء(191) .

(189) الصولي ، أبي بكر ، (335هـ / 946م)، أخبار أبي تمام ، تحقيق خليل عساكر - محمد عزام - نظير الهندي الناشر : دار الافاق الجديدة – بيروت ، ص 147.. وسيشار اليه لاحقا ، الصولي ، اخبار

(190) آدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، نقله إلى العربية محمد بن عبدالهادي أبو ريده . 2ج(القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1940-1941م، ص 264 ، ج1، وسيشار اليه لاحقا ، متز ، الحضارة ، ، التكريتي ، حدائق الحيوانات ، ص 361.

(191) العميد ، العمارة ،ص 143

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويبلغ طول الضلع الغربية للسور الحير ستة كيلو مترات ونصف كيلو متر تقريبا وطول الضلع الشرقية حوالي تسعة كيلو مترات ونصف كيلو متر، أما طول الضلعين الاخريين فان طول الضلع الشمالية التي تتصل بكل من الضلعين الجانبيتين بزاوية قائمة، يبلغ زهاء ستة كيلو مترات ونصف كيلو متر وطول الضلع الجنوبية المنحرفة سبعة كيلو مترات تقريبا، وبذلك يبلغ مجموع طول محيط الحديقة ثلاثين كيلو مترا، أما مساحتها فتبلغ حوالي ثلاثة وخمسين كيلو مترا مربعا أي واحد وعشرين ألف دونم عراقي(192) " مشارة " تقريبا.

ويمكن تتبع آثار سور الحديقة على طول أضلاعه الاربع ، عدا بعض أقسامه التي اخترقتها المزارع الحديثة و الآبار التي حفرت في تلك المنطقة ومكائن الضخ التي نصبت هناك في السنوات الاخيرة أما زوايا السور الاربع فواضحة المعالم ، جليلة الآثار ، ويسمى الاهلون الزاوية باسم "الطابية" ، وتتصل الضلع الغربية لسور الحديقة بسور مدينة "سر من رأى " الخارجي، عند الركن الجنوبي الغربي لسور الحديقة ،فيتكون بذلك مثلث قاعدته سور مدينة "سر من رأى " الخارجي الذي يمتد من الزاوية الجنوبية الغربية للحديقة إلى "قصر بركوارا " ومن ثم الى " جامع الملوية " ، وهو على الارجح السور الذي أطلق عليه اليعقوبي اسم "حائر الحير "(193) ،وضلعه الشرقية السور الغربي لحديقة الحيوانات أما ضلعه الغربية فتتكون من المسافة التي تمتد من جامع الملوية حتى الركن الشمالي الغربي لسور الحديقة ، ويبلغ طول الخط الاخير حوالي ستة كيلو مترات ، وبضمن هذه المسافة تقع ساحة الحير التي مر ذكرها فيما تقدم (194)، أما طول السور الخارجي لمدينة " سر من رأى " أي قاعدة المثلث فيبلغ حوالي أحد عشر كيلو مترا(195) .

(192) دونم هو وحدة قياس مساحة الأرض كان يستخدم في عصر الإمبراطورية العثمانية وما زال سارياً في بعض الدول العربية ، وهو يختلف من دولة إلى دولة ، في الأردن وسوريا وفلسطين ولبنان يعادل 1000 متر مربع ،في العراق يعادل2500 متر مربع،سوسة ، ري سامراء ، ج 1 ، ص ٤٦ .

(193) سوسة ، ري سامراء، ج2،ص 292 .

(194) سوسة ، ري سامراء ، ج2 ، ص 292.

(195) العميد ، العمارة ،ص 145

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أيد المؤرخون العرب وجود هذه الحديقة خارج مدينة " سر من رأى " خلف السور الخارجي للمدينة كما أيدوا في رواياتهم وجود بقعة فسيحة من الأرض في شرقي المدينة بين الحديقة وحدود المدينة الخارجية ، وكانت تعرف هذه البقعة باسم "ساحة الحير " نسبة الى حير الحيوانات الواقع شرقي المدينة ويظهر أنه كلما توسع العمران الى جهة الشرق و امتد الى هذه البقعة ، قلع السور الخارجي القديم وبني سور آخر خلف العمران الجديد ،أما الحائط الذي بني في زمن الخليفة المعتصم فكان يسمى " حائر الحير " ، وهذا على ما نعتقد تغير في زمن المتوكل فأمتد الى الشرق حتى صار في الحد الذي يمتد اليه آثار السور الخارجي الحالي الذي يمتد من موقع الملوية متجها الى الجنوب الشرقي حتى يتصل بالركن الجنوبي لسور حديقة الحيوانات وهو السور المعروف اليوم باسم "سور البطاوي " و إن اتصال هذا السور بالزاوية الغربية الجنوبية لسور حير الحيوانات أكبر دليل على ان حير الحيوانات كان يؤلف جزءا من منشئات المتوكل التي امتدت الى خارج مدينة "سر من رأى " شرقا .

وقد ظن بعض المؤرخين إن البقعة المسورة إلى جانب قصر الحير المذكور كانت تشكل بحيرة اصطناعية تابعة للقصر إلا أن المستر كريسويل (Creswell) يؤيد بأن المكان كان بدون شك حيرا للوحوش وأنه كان قد أنشأ الخليفة هشام ليتصيد فيه وقد أنشئ السور لحصر الوحوش داخله.(196)

وقد اختار الخليفة المعتصم موضع سامراء كعاصمة لأنه فضاء واسع تسافر فيه الإبصار ويمتاز بطيب الهواء والتربة والماء (197). لذلك قرر الخليفة المعتصم أن يشتري الموضع من النصارى أصحاب الدير المجاور للموضع بخمسة آلاف دينار (198). ويبدو إن العامل الصحي دور كبير في اختيار سامراء كعاصمة للدولة العباسية.

(196) سوسة ، ري سامراء ،ج2 ، ص 294.

(197) المسعودي ، مروج الذهب ، ج 4 ، ص 55 ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 2 ، ص 234.

(198) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج 9 ، ص 17 ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج 4 ، ص 55.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأنشأ المتوكل أيضا حديقة للحيوانات تقع خارج مدينة سامراء ومن جهة الشرق بين القاطولين، القاطول الأعلى الكسروي وبين القاطول الأسفل (نهر القائم) وهي مسورة بسور من الطين يحيط بها من جميع أطرافها وكانت الحديقة مستطيلة وبلغت مساحتها حوالي 20 ألف دونم، وخلف الحائط الوحوش من الضباء والحمير الوحش والأرانب والنعام وعليها حائط يدور في حمراء حسنة واسعة (199) وهذا يدل بأن حير الحيوانات في عهد المتوكل شيدت خارج مدينة سامراء(200) .ويعتقد بعض الباحثين المحدثين ان الحصانة الطبيعية لموضع سامراء بسبب وقوعه بين الأنهار من جميع الجهات فدجلة من الغرب والقاطول الأعلى من الشمال والشرق من الجنوب(201).

وهذه الأنهار تعرقل تقدم الأعداء نحو المدينة وهذه تأتي من باب الاحتياط بالمستقبل لكون جيشه أقوى قوة في هذا الوقت.

ومن القصور التي بناها الخليفة المعتصم (قصر الجص) ويقع في الجهة الغربية من نهر دجلة واختار الخليفة المعتصم موقعه لوقوعه على نهر دجلة، وبناه الخليفة المعتصم للنزهة من حيث المزارع وطيب الهواء ويصل الماء اليه بسهولة من نهر الاسحاقي (202).

---

(199) متز ، الحضارة الاسلامية ، ص 264 ، التكريتي ، حدائق الحيوانات ، ص 361.

(200) سوسة ، ري سامراء ، ج2 ، ص67

(201) حميد ، تخطيط المدن ، ج 9 ، ص 39.

(202) الشرقي ، قصور ، ص 267، 268 ، سوسة ، ري سامراء ، ج 1 ، ص 87.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مدينة المتوكلية:

كان للمتوكل شغف وولع في البناء لان في عصره انحصر النشاطات العسكرية قياسا بالخليفة المعتصم لذلك يعد من أكثر الخلفاء اهتماما بالعمران العباسي إذ تميز عصره بإنشاء عدد كبير من القصور والجوامع والمشاريع الأخرى، والعوامل التي دفعت بالمتوكل إلى اختيار المحاوزة(203) لكي يبني عليها مدينته المتوكلية، انه أراد أن يخلد ذكراه وليثبت مركزه الإداري، وأراد المتوكل أن يساوي بين القوميات المختلفة وفضلا عن تمثل كل قومية في الجيش العباسي من العرب والأتراك والمغاربة في مراتب متساوية (204).

وتحقيق هذه الرغبة صعب في سامراء لسيطرة بعض القادة والموظفين الاتراك في سامراء الذين يحاولون اعادة مجدهم الذين تمتعوا به في عهدي الخليفة المعتصم والواثق ونظرا لصعوبة السيطرة على هذه الفرق الكبيرة فكر المتوكل باختيار عاصمة كالمتوكلية (205).

كما يبدو ان المتوكل اراد ان يقوي ادارته المركزية واحياء السنة والقضاء على فكر المعتزلة كما ادعى ذلك ومن هذا سعى الى البحث عن مكان آخر ليتخذه عاصمة ليفرض سيطرته على مناوئيه (206).

---

(203) الماحوزة موضع قرب سامراء ، فاستحدث المتوكل على الله مدينة عنده عام 245هـ ، 860م باسم المتوكلية ، معجم البلدان ، ج 2 ، ص 144.

(204) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 67، 68 ، العميد ، العمارة العباسية في سامراء ، ص 123، 125 ، الموسوي ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن ، ص 150 ، الشرقي ، قصور ، ص 293.

(205) العميد ، العمارة العباسية في سامراء ، ص 123، 125.

(206) المسعودي ، مروج الذهب ، ج 4 ، ص ، 84 ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج 10 ، ص 269 ، السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت 911 هـ / 1505م) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، د.م.د.ت ص 346 ، الموسوي ، العوامل التاريخية لنشأة المدن ، ص 150.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقبل ان يشرع بالمتوكلية رحل من سامراء الى بغداد ثم الى دمشق ليتخذها عاصمة وغير رأيه لان دمشق هواؤها بارد جدا وتهب عليها الرياح عند الظهيرة وتصبح شديدة قاسية عند المساء وكذلك وجود بعض البعوض وارتفاع أسعار الحاجيات هناك انه بدأ بإقامة بعض الأبنية ثم أوقف البناء للأسباب المذكورة (207).

ويبدو أن المتوكل حدد شروطه لعاصمته الجديدة المتوكلية والتي يجب ان تكون طيب الهواء ومناخها جيد وأرضها سهلة منبسطة وقريبة من النهر لكي يحمل فيه الماء الى مدينته، وكذلك اختارها لوجود المواد البنائية القريبة فيها المتمثلة بمواد بنقض بعض القصور في سامراء مثل قصر المختار والبديع وحمل أنقاضها وساجها إلى الجعفري وجود نهر دجلة الذي حفر فيه نهرا إلى المحاوزة (المتوكلية) ليكون وسط المدينة فطاب نفسا بذلك ورضى به (208). وبني المتوكل قصره الجعفري في المتوكلية عام(245هـ/860م)واختاره لكونه قريبا من دجلة (209).

أما بالنسبة لمدينة سامراء فقد عزم الخليفة المعتصم بالله أن ينزل موضع سامراء وأمر أحمد بن خالد الكاتب بأن يشتري له موضعا من سر من رأى فاشتراه بخمسة آلاف دينار ليبني فيه مدينته (210).

وبعد ذلك (أحضر المهندسين ليختاروا أصلح هذه المواضع، فاختاروا عدة مواضع للقصور، وصير الى كل رجل من أصحابه بناء قصر أمثال الفتح بن خاقان الذي بنى قصر الجوسق الخاقاني، وإلى عمر بن فرج بناء القصر المعروف بالعمري، وإلى أبي الوزير بناء القصر المعروف بالوزيري، ثم خط القطائع للقواد والكتاب والناس وخط المسجد الجامع واختلط الاسواق حول المسجد الجامع ووسعت صفوف الأسواق،

(207) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج 9 ، ص 210 ، ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج 7 ، ص 55 ، السيوطي ، المصدر السابق ، ص 348 ، العمارة العباسية في سامراء ، ص 123.

(208) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 67 ، الطبري ، تاريخ الطبري ، ج 9 ، ص 212 ، الموسوي ، العوامل التاريخية ، ص 150.

(209) اليعقوبي ، البلدان ،ج1، ص 69

(210) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 57.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجعلت كل تجارة وكل قوم على حدتهم على مثل ما رسمت عليه أسواق بغداد)(211). لقد احضر الخليفة المعتصم المهندسين لكي يختاروا له أصلح المواضع للمدينة وقصورها ومسجدها وأسواقها وقطائعها، ويدل هذا بأن للمعتصم دورا في تحديد مدينة سامراء فحدد المهندسون المواضع وخططوا القطائع للقواد والكتاب والناس وخط المسجد الجامع وخطت الاسواق حول المسجد الجامع بصورة واسعة وجعلوا كل تجارة منفردة وكل قوم على حدتهم ويبدو انهم استفادوا من رسم اسواق بغداد (212).

وأشار المسعودي إلى دور ومهمة وخبرة المهندسين بان شارك أمهر المهندسين والمعنيين بالعمارة وخططوا المدينة في غاية الدقة والإبداع والتنظيم، وهذا أكد براعة المسلمين وقدراتهم الفائقة في مجال العمران (213).

والواقع ان تحقيق هذا الغرض كان من العسر والصعوبة بمكان في سامراء نظرا لصعوبة السيطرة على هذا الحجم من هذه الفرق الكبيرة من الاتراك وغيرهم. ونتيجة هذه الاسباب أمر المتوكل ان يبني مدينة أخرى لجعلها عاصمة له وتنسب اليه لذلك (أمر محمد بن موسى المنجم ومن يحضر ببابه من المهندسين ان يختاروا موضعا، فوقع اختيارهم على موضع يقال له الماحوزة) (214).

وهكذا تكررت سياسة الخلافة العباسية باستدعاء المهندسين واصحاب الخبرة في مجال تخطيط المدن وقبل البدء بإنشاء المدن والقصور والعمائر الأخرى بأرباضها وأسواقها وقطائعها.

وقد جعل المختصين المهندسون تخطيط المتوكلية على شكل وحدات مستقلة بحيث (جعل الأسواق في موضع منعزل وجعل من كل مربعة وناحية سوقا وبني المسجد الجامع)(215) .

(211) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 57، 58.

(212) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 58 ، حسن ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 381.

(213) المسعودي ، مروج الذهب ج 4 ، ص 54، 55.

(214) اليعقوبي ، البلدان ، ص 67 ، الطبري ، تاريخ ، ج 9 ، ص 212.

(215) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 68 ، الشرقي ، قصور ، ص 327، 328.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يبدو ان الغرض من هذا التخطيط لتجنب الاضطرابات والفوضى وعدم الاختلاط لتثبيت الأمن والسلام الداخلي وبني سورا للجعفرية لنفس الغرض (216).

ويبدو ان المتوكل بدأ ببناء المتوكلية أواخر عام(245هـ/860م) وانتقل اليها أول يوم من محرم عام (247هـ/861م) .

أما المصادر التاريخية فلم تشر الى عدد العمال المشاركين في بناء قصور سامراء والمتوكلية لكن يبدو أن أعدادهم كانت كبيرة جدا وأكثرهم من المهرة، لان كلا المدينتين تم بناؤهما خلال سنة واحدة، وإن عصر المتوكل اشتهر بكثرة بناء القصور والمساجد وشارك فقط في حفر نهر من دجلة الى مدينته المتوكلية اثني عشر ألف رجل (217).أو عامل مثلا، وهذا يدل على كثرة العمال المشاركين في المنشآت العمرانية سواء في سامراء والمتوكلية.

مواد بناء سامراء والعمائر الأخرى:

في سنة(221هـ/836م) ، قام الخليفة المعتصم بتخطيط مدينته سامراء ليشيد عليها قصرا ومسجدا جامعا وثكنات لجنده واقطع القطائع لرؤساء الأتراك وخصص المكان لأصناف السوق المختلفة(218).

ومن الضروري ان المياه أمر ضروري لمدينة سامراء ومكملة لمستلزمات المدينة وبدونه تتوقف الأعمال العمرانية فيها، ولذلك كانوا يعتمدون على جلب الماء بالروايا من دجلة على البغال والإبل (لان أبارهم بعيدة الرشاء ثم هي مالحة غير سائغة..)(219)وعميقة اما دجلة القريبة فماؤها سائغة وكانت بديلا جيدا للآبار العميقة المالحة غير صالحة للشرب والاستعمال.

---

(216) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 68 ، الشرقي ، قصور ، ص 327، 328.

(217) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 86 ، الموسوي ، العوامل ، ص 147، 150.

(218) اليعقوبي ، البلدان ،ج1، ص 58 ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج 4 ، ص 54.

(219) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 64.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد اعتمد الخليفة المعتصم في جلب مواد البناء مدينة سامراء على الاقاليم التابعة للدولة العباسية بالدرجة الأولى ثم البلدان الأخرى، ولذلك أقدم على استقدام كل من يعمل عملا من الأعمال المتعلقة بالمياه مثل (هندسة المياه ووزنه واستنباطه والعلم بمواضعه من الارض)(220) ..

وبعد إحضار المياه وتوافرها (حمل الخليفة المعتصم الساج وسائر الخشب والجذوع من البصرة وما والاها ومن بغداد المدورة ومنطقة السواد ومن انطاكية وسائر سواحل الشام، وحمل الرخام وفرشة من مدينة اللاذقية الساحلية)(221).

وجلب من البصرة الى سامراء من يعمل الزجاج والخزف والحصر، ومن الكوفة من يعمل الادهان(222).

ومن خلال ذلك استطاع الخليفة المعتصم أن يوفر المواد الضرورية للبناء سواء المواد الاساسية للبناء او مواد التجميل لسامراء وقصورها (223).

وكان بناء سامراء معظمه من اللبن المجلي عدا بعض العمائر التي بنيت بالطابوق مثلا مثل جامع المتوكل (224).

أما بالنسبة لزخارف المدينة وقصورها فنرى بأن جميع أعمال الخشب والأبواب والدعامات والأعتاب والسقوف من خشب الساج المحفور المنقوش فقط والمطعم قسم منه، مما كان يزيد في ذلك رونقا وبهاءا وهناك أيضا كتابات كثيرة مزخرفة قد وجدت منقوشة على أعمدة الساج وفيها تواقيع الصناع المهرة الذين ساهموا بالعمل (225).

---

(220) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 64، 65 ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج 4 ، ص 54.

(221) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 58.

(222) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 65 ، الشرقي ، قصور العراق ، ص 257.

(223) حميد ، الزخارف على الاثار المنقولة في حضارة العراق ، ج 7 ، ص 307 ، الشرقي ، قصور العراق ، ص 259.

(224) سوسة ، ري سامراء ، ج 1 ، ص 5.

(225) الشرقي ، المرجع السابق ، ص 265.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد استعمل الجص في زخرفة جدران الغرف الرئيسية لقصر دار الخليفة (الخليفة المعتصم) على شكل افاريز جصية محفورة حفرا(226) وكان الهدف من ذلك الزينة وإبراز القصر بالرونق والجمال.

بنى الخليفة المعتصم قصر الحويصلات في سامراء في السهل الذي على الجانب الايسر من نهر الاسحاقي وعند التنقيبات على القصر عثر على بعض القطع الجصية المزخرفة زخرفة بديعة (227) ، و الاقسام المركزية من القصر (البهو الكبير ،القاعات و الدواوين المحيطة به) مبنية بالجص و الآجر (228)،غير ان سائر أقسام القصر مع السور المحيط به مبنية بالحصى الممزوجة بالجص ،واستعملت النورة و الرماد في الأسس عوضا عن الجص، و أما السور الخارجي فقد بني باللبن، أما أرضية قاعات وصحون الحويصلات فمبلطة بمربعات من الآجر أما أرضية سائر أقسام القصر فمستورة بطبقة من الجص المخلوط بالرمل (229).

كذلك استخدم الآجر في الغالب في سامراء لفرش وتبليط الساحات المكشوفة بوجه خاص وهناك نوع كبير من الآجر وبقياسات متنوعة للقطعة الواحدة واستعملت مادة الجص في الأرضيات لبعض الحمامات والحجرات، وأحيانا ممزوجة مع قطع الحصى الصغيرة وكانت مادة(القير) مفضلة في تبليط الحمامات والمرافق الصحية لكونها مانعة للرطوبة ومتوفرة أيضا بالعراق.

---

(226) المرجع نفسه ، ص 265.

(227) العميد ، العمارة العباسية في سامراء ، ص 102.

(228) الآجر (الطين المطبوخ) والجص (الكلس المطبوخ) ، الكرباسي ، محمّد صادق محمّد ، تاريخ المراقد ، ج4 ، المركز الحسيني للدراسات ، لندن ، 2009 ، ص 163 و سيشار اليه ، الكرباسي ، المراقد .

(229) الكرباسي ، المراقد ، ص 105، 106 ، سوسة ، ري سامراء ، ج 1 ، ص 83.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن القصور التي بناها المتوكل نذكر قصرا بركوارا الضخم كمثال عن المواد الداخلة فيه، وذكر المؤرخون بأن قصر بركوارا بني بالقادسية بين سنتي 240-245هـ/855-860م (230). ووصفه أحمد سوسة على لسان كرزويل بأنه من أعظم المنشآت المعمارية لكبر مساحته وحجمه وكثرة الظواهر المعمارية فيه(231) .

مدينة المتوكلية وقصورها وعمائرها الأخرى والمواد الداخلة فيها:

بعد ان اختار المتوكل موضع الماحوزة ليبني عليها مدينته وعاصمته المتوكلية عام 245هـ/860م التي تقع على بعد حوالي عشرين كيلو مترا من شمال مدينة سامراء الحالية (232).وجه المتوكل في حفر نهر من دجلة ليجري وسط مدينة المتوكلية للسرب وبل وإعداد الطين ولوازم البناء وإرواء الحدائق(233) ،وشيدت قنوات النهر بالآجر، ثم اختط موضع قصره ومنازله وهذا يدل بأن توفير المياه من المستلزمات الضرورية للبناء وبدونه تتوقف السياسة العمرانية.

ثم (أمر المتوكل بنقض القصر المختار والبديع وحمل ساجها إلى الجعفري)(234)، هذه هي سياسة الخلفاء ومنهم المتوكل عندما اختار موضع الماحوزة هدم قصرين من قصوره في سامراء من أجل استعمال أنقاضهما في مدينته الجديدة، وهذا يدل على صعوبة الحصول على بعض المواد الانشائية أو غلاء ثمنها وأراد ببعض موادها أن يبني المتوكلية لتقلل النفقة رغم شغفه في النفقات على بناء القصور،

(230) سوسة ، ري سامراء ، ج 1 ، ص 129.

(231) سوسة ، ري سامراء ، ج 1 ، ص 127 ، الشرقي ، قصور ، ص 317.

(232) الموسوي ، العوامل ، ص 150 ، العميد ، العمارة ، ص 173، 175.

(233) اليعقوبي ، البلدان ، ج1 ،ص 67 ، الطبري ، تاريخ ، ج 9 ، ص 212.

(234) الطبري ، تاريخ ، ج 9 ، ص 212.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وذكر العميد بأن مادة بناء المتوكلية على الأغلب طابوقا من اللبن مع كميات قليلة من الطابوق المفخور (235). ولمدينة المتوكلية سور ضخم وبينت السور من اللبن، ويبدو ان المتوكل ليس لديه المال الكافي كما كان لديه سابقا لذلك بناه من اللبن برغم أهمية السور العسكرية (236).

لعل أهم التوسعات التي أجراها المتوكل هي الممتدة اليوم الى الجهة الشمالية حيث اختار مكانا في تلك الجهة وبني مدينة جديدة سماها المتوكلية، أو الجعفرية، وانتقل اليها، أما المكان الذي وقع اختياره عليه فيقال له "الماحوزة" وهو المكان الذي قيل عنه أن الخليفة المعتصم كان قد فكر فيه إنشاء مدينة فيه.

وتقع خرائب المتوكلية على ضفة نهر دجلة في أقصى الشمال على بعد حوالي عشرة كيلو مترات من آخر البناء الذي في الدور (دور العربائي) وهو الحد الشمالي لبناء الخليفة المعتصم، ويكون ذلك على بعد حوالي 20 كيلو مترا من شمالي سامراء الحالية، ويشاهد الزائر اليوم السور الضخم الذي يحيط بالمتوكلية والذي يبلغ مجموع طوله حوالي أربعة كيلو مترات ونصف كيلو، أما مساحة الارض التي في داخل السور فتبلغ حوالي 540 دونم (مشارة). وهناك سورا آخر في جنوب المدينة بقليل يمتد بين ضفة القاطول الكسروي اليمنى ونهر دجلة فيفصل هذا السور الخارجي مدينة المتوكلية ومشتملاتها عن مدينة سر من رأى التي في الجنوب تاركا إياها في عزلة عن المدينة القديمة، وفي هذا السور باب ضخم في وسط السور هو المدخل العام للمدينة(237) .

وكان المتوكل قد بني في موضع الماحوزة بالمتوكلية قصرا فخما سماه باسمه "القصر الجعفري" وانتقل إليه ولا تزال بقايا القصر وبركته الواسعة تشاهد على ضفة نهر دجلة في شمال السور الداخلي لمدينة المتوكلية في الزاوية التي يكونها نهر دجلة من جهة ونهر القاطول الكسروي من الجهة الثانية.

(235) العميد ، العمارة ، ص 176.

(236) العميد ، العمارة ، ، ص 175.

(237) العميد ، العمارة ،ص 143

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد جاء وصف هذا القصر في أكثر كتب المؤرخين من العرب فقال أبو الفداء في تاريخ المختصر : وفي سنة ست وأربعين ومائتين تحول المتوكل إلى الجعفري وكان قد ابتدأ في عمارته سنة(245هـ \ 859م) وانفق عليه أموالا تجل عن الحصر ويقال لمكانه "الماحوزة" وقال ياقوت في مادة "الجعفري" : " وفي سنة 245هـ بني المتوكل الجعفري و انفق عليه ألفي ألف دينار وكان المتولي لذلك دليل بن يعقوب النصراني كاتب بغا الشرابي" وأضاف ياقوت إلى ذلك قوله بأن "الدراهم كانت في أيام المتوكل كل خمسة وعشرين درهما بدينار فيكون عن ألفي ألف دينار خمسون ألف الف درهم " وقد أيد ياقوت ذلك في مادة (سامراء) فذكر ان كلفة القصر بالمتوكلية وهو الذي يقال له الماحوزة خمسين ألف الف درهم(238) .

وأشار أيضا بالمادة نفسها إن هناك قصرا آخر كان يسمى "بالجعفري المحدث" بلغت كلفة إنشائه عشرة آلاف ألف درهم، ولعل قصر المحدث هذا هو القصر الذي ذكره الطبري فقال في سيرة المنتصر إن محمدا المنتصر توفي في قصر المحدث بسامراء، مما يدل على إن القصر المذكور يقع في سامراء وانه غير القصر الجعفري الذي بالمتوكلية(239).

ويلاحظ ان الطبري قد اعتبر مبلغ الألفي ألف دينار الذي ذكر ياقوت بأنه كان كلفة بناء قصر الجعفري، شاملا كلفة بناء المتوكلية نفسها(240).

وقد اشتهر قصر الجعفري بحسنه وف

(238) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي (ت 732 هـ / 1331 م). ، المختصر في أخبار البشر 4 ج ، الطبعة: الأولى، المطبعة الحسينية المصرية، ص 183، وسيشار اليه لاحقا ، ابو الفدا، المختصر ،

(239) العميد ، العمارة ،ص 145

(240) الطبري ، تاريخ ، ج9 ، ص 122

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامة بنائه فكان مصدر وحي الشعراء والكتاب وذكر ابن خلكان إن أبا العيناء محمد بن القاسم بن الخلاء الاهوازي البصري" دخل على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة(246هـ \ 860م) ، فقال له ما تقول في دارنا هذه فقال إن الناس بنوا الدور في الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك فاستحسن المتوكل كلامه ".

وهناك آثار قصر آخر لا يقل عن قصر الجعفري في سعة بنائه يقع جنوبي القصر الجعفري على ضفة نهر دجلة، خارج سور المتوكلية أيضا، ولعله من جملة قصور المتوكل في مدينته الجديدة ويرجع ان موضع هذه الاطلال هو مكان قصر اللؤلؤ الذي ذكر الطبري إن المتوكل أنشأه في المتوكلية وأنه لم ير مثله في علوه، الأمر الذي يؤيده ابن الأثير بقوله " وبنى المتوكل في المتوكلية قصرا سمته لؤلؤة لم ير مثله في علوه " وقد ذكر ياقوت أن المتوكل أنفق على بناء هذا القصر خمسة آلاف ألف درهم.

وتدل الروايات التاريخية المدونة على ان مشروع مدينة المتوكلية الجديدة تم في أقل من عامين، فقد شرع المتوكل في بنائها سنة (245هـ \ 859م) ، فأتمها في نهاية سنة(246هـ \ 860م) ويؤيد المؤرخون انه انتقل إلى المدينة الجديدة في اليوم الأول من المحرم سنة(247 هـ \ 861م) (241).

وقد تكامل السرور للمتوكل بعد ذلك فقال: " الآن علمت أني ملك اذ بنيت لنفسي مدينة أسكنها".

وكان طبيعيا ان ينبري الشعراء فينظمون قصائدهم في وصف مدينة المتوكل الجديدة ومن أشهر ما قيل فيها قول البحتري:

(241) اليعقوبي ، البلدان ، ج 1 ، ص 166 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أرى المتوكلية وقد تعالت..... محاسنها وأكملت التماما

قصور كالكواكب لامعات..... يكدن يضئن للساري الظلاما

وللبحتري قصيدة أخرى يصف في بعض أبياتها المتوكلية منها:

يهنيك بالمتوكلية أنها حسن..... المصيف بها وطاب المربع

فيحاء مشرقة يرق نسيمها.....ميث تدرجها الرياح وأجرع

وفسيحة الأكتـــاف ضاعت حسنها.. ..... بر لــها مفض وبحــر متــرع

قد ير فيها الاولياء اذ التقوا.....بفناء منبرها الجديد فجمعوا

فارفع بدار الضرب باقي ذكرها.....ان الرفيع محله من ترفع

ان استخدام اللبن في سامراء هو لتوفر مادته محليا، ولا يكلف الكثير من المال ولا يحتاج إلى الكورة كما يحتاج الآجر الى الكورة حتى يكون مفخورا، وقد كان للمتوكلية شارع أعظم فبني من الجير والحصو (242)، وأما القنوات الموجودة في مدينة المتوكلية فكانت مشيدة من الآجر (243).

(242) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ص 177.

(243) اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص 67 ، بشير ، فرنسيس ، وآخرون، جامع أبي دلف في سامراء ، مجلة سومر ، بغداد ، 1365هـ ، 1947م ج 1 ، ص 64.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا يوضح لنا ان المواد المستعملة في المتوكلية أغلبها من اللبن ثم الأجر المفخور ثم الجير و الحصو لتبليط الشارع الأعظم، واستخدام المواد كل حسب أهمية المواقع و أقسام المدينة والعمارة، ويظهر بأن الخلفاء كان يبذلون كل جهدهم من أجل تنفيذ السياسة العمرانية من خلال الحصول على المواد الداخلية و اذا لم تتوفر في الداخل يحرصون على تأمينه من المدن التابعة للدولة كالكوفة والبصرة وفي حالة عدم تواجده في الأقاليم تجلب من البلدان المجاورة كانطاكية، وقصر الجعفري من أشهر أبنية المتوكل وقد بناه عام 245هـ/860م بموضع الماحوزة (244).

أما جدران هذا القصر الشامخ فأحجاره من حجر الكلداني وكلها موشاة بالصدف الملون وبالمرايا والقطع الفضية المطلية بماء الذهب، فكانت صفحة الدار كمواشي الحلل في زينتها او موقف عصب اليمن في رونقها، وفيه من الغرف لا يعد ولا يحصى مفروشات وغير مفروشات وجميع مساحته كانت مفروشة بالطابوق وأنابيب مائة من الرخام الأبيض (245).

ويبدو الهدف من تشييد هذا القصر الشامخ والمواد الثمينة الداخلة فيه لإظهار المتوكل كملك وتقوية قصره بالأسوار وجدرانه بالأحجار، قد فرش القصر بالآجر وأنواع الخزف لإبراز جمالية القصر وزينتها للآخرين.

أما جامع أبي دلف التي يقع على بعد (15 كم) تقريبا من القسم الشمالي لمدينة المتوكلية فهو من أبنية المتوكل ويشبه جامع سامراء الكبير، غير إن جدران جامع أبي دلف الخارجية قد تهدمت في الوقت الحاضر، على الرغم من أن الهيكل الداخلي له ما يزال قائما على عكس الهيكل الداخلي لجامع مع سامراء الذي اختفى لأنه لم يشيد من الآجر، بينما جدرانه الخارجية قد بقيت لأنها مبنية من الآجر (246).

(244) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج 9 ، ص 212.

(245) الشرقي ، قصور ، ص 329، 331 ، سوسة ، ري سامراء ، ج 1 ، ص 331.

(246) العميد ، العمارة ، ص 179، 180.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا يدل على ان الآجر أكثر متانة ومناعة أمام المؤثرات المناخية من اللبن غير ان الآجر له جمالية أكثر وتواجد أي من النوعين المذكورين حسب أهمية موقع البناء عند الخليفة، ويدل على التأثير المعماري للمساجد على الجوامع الأخرى من حيث الشكل والبنيان، ويبدو ان الجدران الخارجية للمسجد قد بنيت من اللبن لذلك تهدمت (247).

وللمسجد أبراج أشكالها نصف دائرة تقوم على قواعد مستطيلة وجميعها مبنية من الطابوق المطلي بالجص سواء كان لبنا او آجرا، وفي كل ركن من اركانه الاربعة برج مستدير يقوم على قاعدة مربعة (248).

لقد بنيت دعامات المسجد الجامع في المتوكلية قياسا على المسجد الجامع الكبير في سامراء من مواد مثمنة من المرمر، وزودت بأوتاد معدنية وملئت الثقوب بالرصاص (249).

وهذا يدل على أن المتوكل أكد على تزيين المواقع المواجهة التي ينظر اليها الناس ،لذلك زين الدعامات الخارجية بأنواع الزينة والخزف اذا هدفه كان جماليا، وفي الأخير نقول بأن سياسة جلب المواد الى المدائن والعمائر من البلدان و الامصار والمدن الداخلية لها هدفان، أولهما معماري والآخر عمران الارض وتأمين الرفاهية والعيش الكريم والحياة السعيدة للسكان واتاحة العمل للأيادي العاملة، فضلا عن اظهار الجمال والزينة وابراز التفاخر والعظمة بين الخلفاء ومن أجل اسراف بعض الخلفاء في البناء والزخرفة باستعمال التذهيب والتكوين وفرش بعض القصور بالرخام والفسيفساء(250)، ويؤكد قول الخليفة المعتصم عن هذا الموضوع بأن العمران (فيه أمور محمودة ، فأولها عمران الارض التي يحيا بها العالم وعليها يزكو الخراج وتكثر الاموال وتعيش البهائم وترخص الاسعار ويكثر الكسب ويتسع المعاش)(251) .

(247) العميد ، العمارة ، ص 180.

(248) بشير وآخرون ، جامع أبي دلف ، ص 64.

(249) العميد ، العمارة العباسية في سامراء ، ص 190، 191.

(250) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص 49.

(251) المسعودي ، مروج الذهب ، ج 4 ، ص 48.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكانت سامراء تعتمد في تموينها من الماء على النهر القاطول، ولكن الخليفة المعتصم والمتوكل اهتما بفتح القنوات الى داخل المدينة لسقي الحدائق والبساتين، في حين كان الجانب المقابل للمدينة كثير المياه والخيرات لذلك يعد المصدر الغذائي الوحيد لسامراء طيلة حياتها (252).

الخلفاء وخاصة الخليفة المعتصم والمتوكل (253) كان لهما دور بارز في احضار المياه وحفر القنوات المتفرعة من دجلة لمدينة سامراء (254).

بعد ان أمر المتوكل ببناء الماحوزة وسماها المتوكلية عام 245هـ/860م ولما تم ببناء المدينة أمر المتوكل بحفر نهر يأخذ رأسه فراسخ فوق الماحوزة ... ليكون شربا لما حولها من فوهة النهر اليها (255) ، وأراد المتوكل ان يجري النهر وسط المدينة كما أشار الى ذلك اليعقوبي (256): "ووجه في حفر النهر ليكون وسط المدينة...فطاب نفسا بذلك ورضي به، وابتدأ الحفر وأنفقت الأموال الجليلة على ذلك النهر...".

---

(252) ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله(ت 280 هـ/ 893م) ، المسالك والممالك ، تحقيق دي ج ، خوية ، مكتبة المثنى ببغداد ، بالاوفيست عن الطبعة الاصلية من مطبعة بريل ليدن ، 1309هـ ، 1889م ، ص 237. وسيشار اليه لاحقا ، ابن خرداذبة ، المسالك .

(253) فتح المتوكل مشروعا باسم كري انهار السواد لمزارعي السواد و انفق عليه الأموال الضخمة ، الزهراني ، النفقات ، ص 389.

(254) عثمان ، المدينة الاسلامية ، ص 271.

(255) الطبري ، تاريخ ، ج 9 ، ص 212.

(256) اليعقوبي ، البلدان ،ج1، ص 67.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأشار الطبري بأن الذين شاركوا في حفر النهر اثنا عشر ألف رجل يعملون فيه ويحمل المال بعد المال (257)، ومع هذا الا ان النهر لم يتم أمره ولم يجر الماء فيه إلا جريانا ضعيفا، إذ لم يكن به اتصال ولا استقامة لكثرة الصخور والاحجار الكبيرة وكان حفره صعبا جدا، أشار اليعقوبي الى ذلك ويقول بأن أرضه (كان حفره صعبا جدا وانما كانوا يحفرون حصى وافهارا لا تعمل فيها المعاول)(258).

وكثرة المشاركين من العمال في الحفر يدل على صعوبة الحفر وعلى بالغ اهتمام الخلفاء بإقامة مشاريع لإرواء المدن وغروسها وحرصهم على ذلك.

ولا يخفى عند المؤرخين القدامى والمحدثين بأن الخلفاء العباسيين اهتموا كثيرا بتأمين المياه للمدن وأرواء الأراضي الزراعية وكان هذا جزءا مهما من سياستهم تجاه السكان من خلال تأمين كل ما يحتاجونه من الوسائل الحياتية، وإظهار مدنهم أمام الآخرين بأنهم كانوا من أصحاب الابداع والعقلية المتمدنة والمتحضرة وهذا جزء من السياسة العمرانية لخلفاء بني العباس الاوائل ، وقد اهتم المتوكل بمشاريع الري فحفر قناتين من دجلة لإرواء المواطنين في سامراء(259).

ومن هنا ندرك بأن الخلفاء العباسيين من خلال المشاريع الاروائية استطاعوا احياء مساحات واسعة من الاراضي التي عرفت بسواد بغداد التي يمكن حصرها ضمن الحدود الجغرافية من تكريت على دجلة الى هيت على الفرات شمالا حتى مدينة الكوت على دجلة والى الكوفة على الفرات جنوبا (260).

(257) الطبري ، تاريخ ، ج 9 ، ص 212.

(258) اليعقوبي ، البلدان ، ج1 ، ص 68 ، الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت. 900 هـ / 1494م) ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، طبع دار القلم ، بيروت ، 1405هـ ، 1985م ، ص 177 ، الزهراني ، النفقات ، ص 389.

(259) أبو الريحان محمد بن احمد البيروني 440هـ / 1048م ـ ، الأثار الباقة عن القرون الخالية ، تحقيق أدوارد ساخو ، لبيزك ، د . ن ، 1878م، ص 31، 33. ، وسيشار اليه لاحقا ، البيروني، الاثار ،

(260) الأشعب ، المدينة والتحضر ، في حضارة العراق ، ج 5 ، ص 253، 254.وسيشار اليه لاحقا ، الاشعب ، المدينة ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تقدم الصناعة:

وفعل مثل ذلك الخليفة المعتصم حين بنى مدينة سامراء (261)وكان تجمع هذه الاعداد الكبيرة من الصناع والعامل وأصحاب المهن والحرف من مختلف أرجاء الاقاليم ساعد على تشغيل أعداد كبيرة من الناس أولا، وعلى تبادل المعرفة والخبرات الصناعية وتمازجها، فكان له الأثر المباشر في تقدم الصناعة وتنوعها.(262)

مما تقدم يتضح بأن للسياسة العمرانية التي اتبعها الخلفاء العباسيون في بناء الحواضر وخاصة بغداد وسامراء عن طريق استدعاء الاصناف المختلفة من العمال سبب مباشر في تقدم كل مرافق الحياة وخاصة الصناعة، ونتيجة تنوع المهارات والاختصاصات ازدهر هذا الجانب، فحسنت أحوال الناس من الصناع وبالتالي ازدهرت التجارة وأيضا الاتجار بالفائض من الصناعات.

الآثار الاقتصادية السلبية للسياسة العمرانية في عهد المتوكل:

المصادرات:

وهذا النوع من المصادرات حصل في خلافة المتوكل نتيجة انفاقه الهائل على القصور والمساجد والمدن والحفر الانهر وأصبح الخليفة محتاجا الى الاموال وهذا ما دفعه الى مصادرة الاموال بصورة واسعة شملت كثيرا من وزرائه وقواده وكتابه (263).

---

(261) ابن الجوزي ، مناقب ، ص 24، 25.

(262) اليوزبكي ، دراسات ، ص 292.

(263) الطبري ، تاريخ ، ج 9 ، ص 163.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا فرق الخليفة المتوكل كل ما جمعه الخلفاء العباسيون الذين سبقوه على انشاء وبناء المساجد والقصور الكثيرة والكبيرة في سامراء والمتوكلية (264).

الهدف من جلب الرقيق (العبيد والجواري) هو استخدامهم في قصور الخلفاء والوزراء فضلا عن استخدامهم في بناء القصور والمنشآت العمرانية الأخرى وكان أكثرهم من غير المسلمين ونظرا لكثرة البعض منهم فقد أدخلهم المأمون والخليفة المعتصم خاصة العناصر التركية الى الجيش وبسببهم بني سامراء كمعسكر كي يجنب العامة في بغداد شرهم وآذاهم، إذا كثرتهم في فترة خلافة الخليفة المعتصم كانت سببا مهما لبناء سامراء ومرافقها العمرانية ، وعددهم (الرقيق)في عهد الخليفة المعتصم سبعين ألفا وكانوا حرسا خاصا له.(265)

وهذا يدل بأن مدينة المتوكلية بنيت لأسباب شخصية ولمصلحة خاصة لذلك انتهت كعاصمة وانتهى دورها بموت الخليفة وصار الوضع كأنه لا سكان فيه أبدا، وهذا يدل بأن مدينة المتوكلية مدينة ملكية لم يأت اليها كل الناس ونقلت اليها المؤسسات الادارية والعسكرية التابعة له فيها ديوان الخراج – والضياع وديوان الزمام وديوان الجند وديوان الموالي والغلمان وديوان البريد وجميع الدواوين ويبدو بأن المتوكل أراد ان يقرب العرب ويبعد الاتراك وبني هذه المدينة حتى تحقق أماله المذكورة وبعد قتله كما ذكرنا ومجيء ابنه محمد المنتصر أمر الناس أن ينتقلوا من الماحوزة و أن يهدموا المنازل ويحملوا النقص ويعودوا الى سامراء (266).

---

(264) الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك النيسابوري (429 هـ / 1037م) ، لطائف المعارف ، تحقيق ابراهيم الابياري و وآخرون ، القاهرة ، 1380هـ ، 1960م ص 118.وسيشار اليه لاحقا ، الثعالبي ، لطائف .

(265) اليوزيكي ، الوزارة ، ص 226.

(266) اليوزيكي ، الوزارة ، ص 68 ، ناجي ، دراسات ، ص 150.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني إعمار مدينة سامراء

الفصل الثاني إعمار مدينة سامراء
مستلزمات مشاريع إعمار المدينة
المهندسون والفنيون والعمال
مواد البناء المختلفة
مواد البناء والعمال
الصناع
أسواق سامرّاء
أهل السوق
أسواق محلية
مراحل البناء والزخارف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مستلزمات مشاريع إعمار المدينة:

لقد ذكرنا سابقاً بأنه تم تخطيط المدينة تخطيطاً نظامياً وهندسياً للبناء من قبل المعتصم، أما بعد التخطيط فلا بد من جلب المواد ومستلزمات البناء للمباشرة ببناء المدينة والعاصمة الجديدة.

وقد اعتمد المعتصم في جلب المواد لبناء مدينته الجديدة على الاقاليم المجاورة وهذا ما سنتناوله في المبحث الخاص في مواد البناء وجلبها وتكلفة هذه المواد، وأيضاً الايجاز بجلب المهندسين والفنيين واصحاب الحرف وتكلفتهم واجورهم، ان كانت هناك لهم اجور، حسب ما ذكرته لنا المصادر والنصوص التاريخية حول هذا الصدد.

ويبدو ان جميع اليد العاملة التي ساهمت في اعمار وتشييد المدينة من النواحي الفنية كان كبيراً جداً، إذ يذكر (ابن أبي أصيبعة) إن عدد العمال الذين ساهموا في وضع اسس قصر الجوسق كان نحو ألف عامل (267). وهنا لم يقتصر الخليفة المعتصم بالله على استقدامه عمال البناء والحرفيين ممن لهم علاقة بالبناء والتشييد فقط، بل حاول ان يحشد أيدي عاملة كثيرة متخصصة في جميع المجالات إذ يذكر (اليعقوبي) في نصاً له يقول: (وستقدم المعتصم من كل بلد من يعمل عملاً من الاعمال، او يعالج مهنة من مهن العمارة والزَرع والنخل والغرس، ... وحمل مصر من يعمل القراطيس (268) وغيرها، وحمل من البصرة من يعمل الزجاج والخزف والحصر، وحمل من الكوفة من يعمل الادهان، ومن سائر البلدان من أهل كل مهنة وصناعة) (269) كل هذه المواد المستخدمة في بناء المدينة كانت تأتي من جميع الاقاليم والبلدان.

---

(267) أحمد بن القاسم بن خليفة ابن أبي أصيبعة (ت: 668هـ / 1269م) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،نزار رضا الناشر: دار مكتبة الحياة - بيروت ، ص236. وسيشار اليه لاحقا ، أبي أصيبعة ، عيون الانباء.

(268) القراطيس، جمع مفرد قرطاس، وهو الصحيفة التي يكتب فيها ويتخذ عادة من البردي الذي يكون في مصر. الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عمرو البصري ت 170هـ / 786م، كتاب العين، تحقيق إبراهيم السامرائي، مهدي المشرومي، دار ومكتبة الهلال بيروت، د.ن، ج5، ص250؛ الجوهري، الصحاح تاج اللغة، ج3، ص963. وسيشار اليه لاحقا ، الفراهيدي ، العين .

(269) اليعقوبي، البدان، ص264.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويذكر بأن احدى دعامات جامع سامراء تشير الى اسلوب المعمار اليوناني وهذا يبرهن صحة الروايات التي تفيد بان مواد احجار هذه الاعمدة جلبت من أنطاكيا واللاذقية (270). أما أخشاب الساج التي كانت تستخدم داخل المباني فإنها كانت من اجود انواع الخشب المستورد من الهند ومن زنجبار منذ عهد قديم وأكد ذلك اليعقوبي بقوله " وفي حمل الساج وسائر الخشب والجذوع من البصرة وما والاها (271)"، ولقد كانت سياسة الخلفاء العباسيين جلب جميع المواد المعمارية وأفضلها ومن أفضل المصادر من اجل الاعمار وابراز الجمالية للمباني.

المهندسون والفنيون والعمال

لقد اكدت لنا المصادر التاريخية والبلدانية وتحدثت عن بناء العباسيين لعواصمهم التي سبقت سامراء وبالتأكيد انهم استقدموا مهندسين وعمال وفنيين واصحاب الحرف والخبرة لبناء هذه العواصم ومن دون أدنى شك بأن التهيؤ لبناء عاصمة جديدة يحتاج الى ذوي خبرة ومستلزمات بناء هذه المدينة.

لقد قام المعتصم بالله باستدعاء العمال واحضار المهندسين والفنيين واهل الخبرة عندما اراد ان يبني عاصمته الجديدة في سامراء فقد قام باستدعائهم من الأقاليم الأخرى فقد فعل كل هذا بعد ان دفع ثمن شراء الأرض (272). ثم بعد ان استدعى المهندسين قال لهم "اختاروا أصلح هذه المواضع، فاختاروا عدة مواضع للقصور.. ثم خط القطائع للقواد والكتاب والناس وخط المسجد الجامع واختط الأسواق حول المسجد الجامع"(273) ،

---

(270) اليعقوبي، البدان، ج1 ، ص58؛ العميد، العمارة ، ص247.

(271) اليعقوبي، البدان،ج1 ص58.

(272) اليعقوبي، البلدان، ج1 ص57.

(273) اليعقوبي، البلدان،ج1 ص57، 58، المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص10.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و لقد قام المعتصم بالله بجلب المهندسين من الصين كما يذكر لنا الجاحظ، وكان هؤلاء المهندسين متخصصين في هندسة المياه (274) والذي سنتطرق لهم في الفصل القادم الخاص بالمشاريع الاروائية للمدينة.

لقد كان للمهندسين دوراً بارزاً في تخطيط وترسيم المدينة وبعد ذلك قام المعتصم بالله بجلب المهندسين صار لا بد من جلب واستدعاء البقية من فعلة وبنائيين، وأهل مهن من حدادين ونجارين وسائر الصناعات الأخرى وأرباب المهن المتبقين (275).

لقد اشار اليعقوبي بأن المعتصم بعد حصوله على العمال عن طريق واستدعائهم منها من تلك الاقاليم التابعة للدولة العباسية ومن أهل كل مهنة وصناعة فقد انزل المعتصم هؤلاء العمال واصحاب الحرف مع عوائلهم بهذه المواضع واقطعهم فيها وإعطائهم النفقات لبنائها (276).

ولم تشر المصادر الى جلب العمال واجبارهم بالسخرة، ويبدو ان العمال بعد جلبهم واستدعائهم وإسكانهم في سامراء أصبحوا من أهل المدينة وبدليل حصولهم على الاقطاع وتحديد الاسواق لأهل المهن بالمدينة وكان العمال المجلوبون هم من اصحاب المهن، وهذا بدل اعطائهم الاجر مقابل عملهم كما ذكرنا انه لم يتم جلبهم سخرة.

---

(274) الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر الكناني البصري (255 هـ / 868م) ، التبصر بالتجارة، المطبعة الرحمانية، بيروت، 1935م، ص33، 34؛ اليعقوبي، البلدان، ص64؛ الزهراني، التقات، ص380، 381.

(275) اليعقوبي، البدان، ج1 ، ص33، 34؛ مصطفى، تاريخ المدن الاسلامية، ج1، ص377؛ سوسة، ري سامراء، ج1، ص50.

(276) الزهراني، النفقات ، ص405.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونلاحظ ان المعتصم عند جلبه للمهندسين فانه قد جلب نوعين من اصناف المهندسين، النوع الاول مهندسو البناء والتخطيط العمراني الذين ساهموا بتعيين بعض مواضع منشآت المدينة، والنوع الثاني من المهندسين هم مهندسو الري، وكانت مهمة هذه الفريق من المهندسين تنحصر في هندسة الماء ووزنه وكيفية ايصاله، واستنباطه، والعلم بمواضعه من الأرض (277). وهنا فقد امر الخليفة عدد من رجال دولته بالإشراف على بناء بعض منشآت الخلافة وقصورها (278)، ولا بد أن هذا الاشراف شمل تنظيم الإنفاق على البناء ومتابعة سيره (279).

وذكر المسعودي في "مروج الذهب" إن "المتوكل أحدث في أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه ، وهو المعروف بالجيري والكمين و الأروقة وذلك إن بعض سماره حدثه في بعض الليالي ان بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بنى قصرا أحدث بنيانا في دار قراره، وهي الحيرة ، على صورة الحرب وهيئته للهجته بها وميله نحوها لئلا يغيب عنه ذكراها في سائر أحواله فكان الرواق مجلس الملك وهو الصدر والكمان ميمنة وميسره ويكون في البيتين الذين هما الكمان من يقرب منه من خواصه، وفي اليمين منهما خزانة الكسوة وفي الشمال ما احتيج إليه من شراب ، والرواق قد عم فضاؤه الصدر والكمين و الأبواب الثلاثة على الرواق، فسمي هذا البنيان إلى هذا الوقت بالحيري والكمين ، إضافة إلى الحيرة و اتسع الناس المتوكل في ذلك ائتمانا بفعله واشتهر إلى هذه الغاية"(280) ويحتمل أن يكون قصر الحير

(277) اليعقوبي، البدان،ج1، ص264،259.

(278) اليعقوبي، البدان،ج1 ، ص258.

(279) العلي، صالح احمد، سامراء دراسة في النشأة، ص89.

(280) المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص 42.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهنالك نص للمسعودي يذكر فيه استقدام الخليفة المعتصم بالله للفعلة والصناع وغيرهم، إذ يقول: (وأُحْضِر له (للمعتصم) الفَعَلَة والصناع واهل المهن من سائر الأمصار) (281).

لقد اعتنى الخليفة المعتصم بالله بأدق التفاصيل لنجاح مشروعه لذا فانه قد سخر كل طاقات الدولة ومواردها المالية والاقتصادية لتحقيق ذلك الهدف بشكل يتلاءم وحجم الدولة العربية الاسلامية آنذاك. ومن المعروف تاريخياً أن المعتصم والمهندسين الذين كانوا قد خططوا المدينة وهم المسؤولين عنها هندسياً فأنهم قد خططوها تخطيطاً مختلف لبعض الشيء عن العواصم والمدن الاسلامية التي سبقت كالبصرة والكوفة وبغداد حيث كان المسجد يقع في جانب القصر او دار الامارة في المدن الثلاث الاولى، اما في سامراء فان المسجد الجامع والاسواق المحيطة به بعيداً عن القصر اي قصر المعتصم بالله، وكان ذلك البعد هدفه ان يجعل محل اقامته بعيداً عن مركز المدينة حتى لا يقع في خطأ المنصور الذي كانت أسواقه داخل المدينة وكذلك انزل جنده الأتراك في أحياء معزولة عن الناس لتجنب الاحتكاك بينهم وبين غيرهم من فئات المجتمع(282).

ومن خلال البحث في القصور والاسوار والحدائق وتخطيطها نستدل من ذلك على الحس الفني والقدرات الكبيرة لدى هؤلاء المهندسين والفنيين حيث ان الاستعانة بهم قد أحدث ثورة حقيقية في مجال الفنون والعمارة وكان ذلك سببها تنوع المدارس الفنية التي ينتمي اليها هؤلاء المهندسين والعمال والمهرة (283). أما المتوكلية فلها نصيب أيضاً من تخطيط هؤلاء المهندسين اذ خططت على شكل وحدات مستقلة بحيث (جعل الاسواق في موضع منعزل وجعل من كل مربعة وناحية سوقاً وبنى المسجد الجامع) (284)

---

(281) المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص54.

(282) اليعقوبي، البدان،ج1، ص64، 65؛ الموسوي، العوامل ، ص147.

(283) العميد، العمارة ، ص125.

(284) الشرقي، قصور 656هـ، ص327، 328.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مواد البناء المختلفة

في سنة (221هـ / 836م) وعندما أقدم المعتصم بالله بالشروع لتخطيط عاصمته الجديدة في سر من رأى ليشيد عليها قصراً ومسجداً جامعاً وثكنات لجنده وأقطع القطائع لرؤوس الاتراك وخصص المكان لأصناف السوق المختلفة (285).

لقد اعتمد المعتصم في جلب مواد البناء لمدينة سامراء على الاقاليم التابعة للدولة العباسية بالدرجة الاولى ثم الى الاقاليم والبلدان الاخرى، ولذلك نرى انه قد جلب من الاقاليم التابعة للدولة العباسية (المواد الحملية). ومنها فقد جلب من البصرة الخشب والجذوع ومن بغداد حمل الرخام (286) وأيضاً جلب الزجاج ومن يعمل فيه من البصرة أيضاً إذ أمر المعتصم بإقامة معامل للزجاج، إذ كشفت التنقيبات على قطع بديعة بأشكال مختلفة من انواع الزجاج وما وصلت اليه تلك الصناعة من تطور (287).

ومن الغريب هنا ان يقدم (كريزول) رأياً ادعى فيه ان الخليفة المعتصم بالله بعث برجال قلعوا اعمدة الرخام والارضيات في بعض الكنائس المصرية بعد هدمها (288). وهنا يظهر التعارض الواضح بين هذا الرأي والنصوص التاريخية الاخرى التي اجمعت على ان الخليفة المعتصم بالله قام بشراء ممتلكات الاديرة النصرانية في منطقة سامراء قبيل بناء عاصمته (289) وفقاً للروح التي تعامل بها المسلمون مع اهل الذمة.

---

(285) البغدادي، تاريخ ، مج1، ص76؛ رجب محمد غازي، التحصينات الدفاعية في مدينة بغداد المدورة، في الجيش والسلاح، دار الحرية للطباعة والنشر بغداد 1408هـ/ 1988م، ج3، ص337. وسيشار اليه لاحقا ، رجب ، التحصينات .

(286) اليعقوبي، البدان، ص58.

(287) حمودي، خالد خليل، قصر الخليفة المعتصم في سامراء، مجلة سومر بغداد، 1402هـ/ 1982م، مج38، ص181.

(288) K. A. C, A short account of Early Muslim architecture Harmondsworth, 1958p, 332.

(289) الطبري، تاريخ ، ج9، ص17؛ المسعودي مروج الذهب، ج4، ص54؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص54؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص447.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إما فيما يخص (المواد المستوردة)، التي جلبت من البلدان الاخرى لذا امر الخليفة المعتصم بالله بجلب المواد من الرخام والمرمر من اللاذقية (290)، وحمل الخشب والجذوع أيضاً من أنطاكيا (291)، وأيضاً بعد جلب جميع المواد سواءً مستوردة او محلية اتخذ الخليفة خطوة عملية ناجحة فقد أمر بمنح عوام الناس لإنشاء دور لهم وشجعهم على البناء وتكفل بجزء كبير من نفقات البناء التي تمنح على شكل هبات لهم والتي كانت تصل أحياناً إلى مبلغ ألف دينار (292).

أما بالنسبة لمواد البناء مثل الرخام والمرمر فقد كان يصنع في الشام وينقل الى سامراء حيث اقيمت دور لصناعة الرخام والمرمر في اللاذقية (293). وكل هذه المواد من مواد بناء كانت على الغالب في الجهة الشرقية لنهر دجلة، بعدها اتجه الى الجهة الغربية للنهر وبدأ بالبناء هناك (فأنشأ هناك العمارات والبساتين والأجنة وحفر الانهار من دجلة وصير الى كل قائد عمارة ناحية من النواحي وحمل النخل من بغداد والبصرة وسائر السَواد، وحُمِلَت الغروس من الجزيرة والشام

(290) اللاذقية، مدينة عتيقة رومية من مدن بلاد الشام، فيها أبنية قديمة وهي بلد حسن في وطئ من الارض ولها مرفأ جيد محكم وقلعتان متصلتان على تل مشرف على الربض، تقع على ساحل بحر الروم ويجاور اللاذقية جبل اللكام. ينظر مجهول ت، ب عد372هـ/982م حدود العالم من المشرق الى المغرب، تحقيق وترجمة عن الفارسية السيد يوسف الهادي، دار الثقافة والنشر القاهرة 2002م ص176؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص353؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص5، 6.

(291) انطاكية هي من اهم مدن بلاد الشام، كانت موصوفة بالحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه، فيها سور محكم لا نظير له في اسوار الشام ويحدها من الخارج نهر العاصي، ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص266، 267؛ ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي ت، 779هـ/ 1377م، تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، اكاديمية المملكة الرباط 1996م ج1، ص284.

(292) الاصفهاني، الاغاني، ج7، ص228.

(293) شاكر مصطفى، المدن في الاسلام حتى العصر العثماني، ج1، ص377.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مواد البناء والعمال

إن أول مستلزمات بناء المدينة هو توافر المواد الأولية وتوافر الأيدي العاملة للقيام بالبناء. ولا ريب في أن أرض سامرّاء توفّر المادة لصنع اللّبن والجص والطابوق ، وهذه تؤمن البناء البسيط كالذي كانت عليه الكوفة والبصرة في السنوات الأولى من تشييدهما ، وهي تؤمّن بناء البيوت البسيطة لعامة الناس كما أنها أساسية لبناء حتى القصور. غير أن المعتصم استهدف إنشاء مدينة متقدمة في العمران لا تقلّ في مستواها عما كانت عليه بغداد في زمنه ، أي بعد مرور أكثر من سبعين سنة على تأسيسها ، وكان هذا يتطلب استيراد بعض المواد الضرورية لتحقيق هذا المستوى العمراني ، وفي هذا يقول اليعقوبي إن المعتصم «كتب في حمل الساج وسائر الخشب والجذوع من البصرة وما ولاها وسائر السواد ، ومن أنطاكية وسائر سواحل الشام وفي حمل عملية الرخام وفرش الرخام ، فأقيمت باللاذقية وغيرها دور صناعة الرخام (294)» ، ولابدّ أن هذا بعض وليس كل ما يحتاجه تشييد هذه المدينة من مواد وأن كثيرا منها تم استيراده من مناطق وجودها كالأخشاب اللينة في المناطق الجبلية شمال العراق ، ومعادن الحديد والنحاس ومصنوعاتها. ولابدّ أن استمرار نموّ سامرّاء جعل استيراد هذه المواد مستمرا ليتابع نموّها الذي يمكن القول بأنه استمر إلى آخر زمن المتوكل وقد أسهم في نشاط التجارة والعمل وفي ما يطلبانه من عمال وصنّاع.

وامتد الاستيراد إلى الغروس والمزروعات فحمل النخل من بغداد والبصرة وسائر السواد وحملت الغروس من الجزيرة والشام والجبل والري وخراسان وسائر البلدان (295) ، ولم تذكر المصادر أنواع هذه الغروسات التي لابدّ أن كثيرا منها من نباتات الزينة والنباتات الطبية ، وأنها زوّدت القصور بهذه النباتات.

[294] اليعقوبي ، البلدان ،ج1، ص 258.

[295] اليعقوبي ، البلدان ، ج1، 263.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصناع :

يذكر اليعقوبي أن المعتصم «كتب في أشخاص الفعلة والبنائين وأهل المهن من الحدادين والنجارين وسائر الصناعات» ، ويذكر أيضا أنه أقدم من كل بلد من يعمل عملا من الأعمال أو يعالج مهنة من مهن العمارة والزرع والنخل وهندسة الماء ووزنه واستنباطه والعلم بمواضعه من الأرض. وحمل من مصر من يعمل القراطيس وغيرها. وحمل من البصرة من يعمل الزجاج والخزف والحصر ، وحمل من الكوفة من يعمل الخزف ومن يعمل الأدهان ومن سائر البلدان من أهل كل مهنة وصناعة فأنزلوها في هذه المواضع ، وأقطعوا فيها ، وجعل لهم هناك أسواقا لأهل المهن بالمدينة (296).

اشتهرت كلّ من المدن الثلاث التي ذكرها اليعقوبي ، وهي مصر والكوفة والبصرة ، بإنتاج سلع عرفت بها ، فجلب صنّاع الخزف من البصرة والكوفة ، ولعل منتوجات أخرى جلب صنّاعها من أكثر من مدينة ، ولابدّ أنه حرص على

إقامة الصناعات المتميزة الراقية ، وقامت بجانبها صناعات تسد الحاجات «الشعبية» للعدد الكبير من السكان ، غير أن إنتاج هذه الصناعات في سامرّاء كان لسدّ حاجاتها ، وليس لتصديرها ، فلم يرد في المصادر ما ينص على أن سامرّاء أصبحت مركزا لإنتاج مصنوعات تصدّر إلى مدن أخرى.

ويذكر أن المعتصم استورد أهل كل مهنة وصناعة ، مع عيالهم إلى هذه المواضع وأقطعوا فيها ، وجعل هناك أسواقا لأهل المهن بالمدينة (297). يتبين من هذا النص أن الذي أورده اليعقوبي وهو معروف بسعة اطلاعه أن المعتصم ألزم الصنّاع الأحرار بالمجيء إلى مدينته الجديدة ، مع عيالاتهم للإقامة الدائمة فيها.

296 اليعقوبي ، البلدان ، ج1، 264.

297 اليعقوبي ، البلدان ، ج1، 264.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تتابعت هجرة العمال والكسبة إلى سامرّاء بعد تأسيسها لأن الإعمار تتابع ، والنمو استمر ، وتدفّق الأموال لم ينقطع ، وكان انتقاء هؤلاء العمال والصناع حرّا غير مقيد وانحصر عملهم بحرفهم فلم يسهموا في الأحداث السياسية ولم يخلقوا مشاكل أمنية ، نظرا لازدهار الحياة الاقتصادية والمعاشية وقوة الخليفة القائمة على مكانة الخلافة المثبتة وعلى الجيش الموالي والذي لم تكن له صلة قوية بالكسبة والصناع من العناصر المدنية التي جاءت من بغداد والمناطق المجاورة لسامرّاء.

أسواق سامرّاء :

أدرك المعتصم أهمية السوق فحدّد في تخطيطه الأول لسامرّاء مكانا لها ، وفي هذا يقول اليعقوبي : إن المعتصم «خطّ المسجد الجامع واختط الأسواق حول المسجد الجامع وذكر في مكان آخر ووسعت صفوف الأسواق ، وجعلت كل تجارة منفردة ، وكل قوم على حدتهم على مثل ما رسمت عليه أسواق بغداد» (298).

وفي كلامه عن شارع السريجة ، وهو الشارع الأعظم ، ذكر مواقع الرطابين وسوق الرقيق في مربعة فيها طرق متشعبة فيها الحجر والغرف والحوانيت للرقيق ، ثم مجلس الشرطة والحبس الكبير ومنازل الناس. والأسواق في هذا الشارع يمنة ويسرة مثل سائر البياعات والصناعات ، ويتّصل ذلك بخشبة بابك ، ثم السوق العظمى لا تختلط بها المنازل ، كل تجارة منفردة ، وكل أهل مهنة لا يختلطون بغيرهم ، ثم الجامع الكبير الذي لم يزل يجمع فيه إلى أيام المتوكل ، والأسواق من أحد الجانبين ، ومن الجانب الآخر القطائع والمنازل وأسواق أصحاب البياعات الدنيّة مثل أصحاب الفقاع والهرائس (299).

[298] اليعقوبي ، البلدان ، ج1، 258.

[299] اليعقوبي ، البلدان ، ج1، 260.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتبين من النص الأول أن تحديد مواقع الأسواق واختطاطها جرى منذ أول إنشاء سامرّاء ، وأن مواقعها جعلت حول المسجد الجامع ، أما النص الثاني فيظهر أن هذه الأسواق كانت في منطقة واحدة من شارع السريجة ، وهو الشارع الأعظم وعلى طرفيه ، ويوحي هذا النص أنه كان في سامرّاء «السوق العظمى» وهي متميزة عن بقية الأسواق ، ولكنها ليست بعيدة عنها ، يفصلهما مجلس الشرطة والحبس ، وهي ممتدة إلى خشبة بابك. أما السوق العظمى فتمتد إلى جامع المعتصم ، وفي آخره أسواق أصحاب الصناعات والبياعات الدنيّة.

وجاء في النص الأول أن الأسواق وسّعت صفوفها ، وجعلت فيها كلّ تجارة منفردة ، وكل أهل مهنة لا يختلطون بغيرهم. ولم يذكر اليعقوبي من هذه

الأسواق الفرعية غير سوقي الرطابين والرقيق وكانتا في أوله ، وأسواق أصحاب البياعات الدنيّة مثل أصحاب الفقاع والهرائس.

نظّم المعتصم أسواق سامرّاء على غرار أسواق الكرخ في بغداد حيث قال إنه أفرد كل تجارة في سوق ضمن السوق العظمى «على مثل ما رسمت عليه أسواق بغداد» ، وقد تحاشى المعتصم ما غاب عن أبي جعفر المنصور في تخطيطه الأول للمدينة المدوّرة وأطرافها في بغداد فسببت له بعض المشاكل الأمنية وحملته على أن ينقل في سنة(157هـ / 773م) الأسواق وفي ناحية الكرخ وباب الشعير ، ويجعلها صفوفا وبيوتا لكل صنف ويعرفها الناس (300). ولكل تاجر وتجارة شارع معلوم وصفوف في تلك الشوارع ، وحوانيت وليس يختلط قوم بقوم ولا تجارة بتجارة ، ولا يباع صنف مع غير صنفه ، ولا يختلط أصحاب المهن من سائر الصناعات بغيرهم ، وكل سوق مفردة ، وكل أهل منفردون بتجارتهم ، وكل أهل مهنة معتزلون عن غير طبعتهم وقد وضع على أسواق بغداد خراج (301).

[300] الطبري ، تاريخ ، ج 9 ص 433.

[301] اليعقوبي ، البلدان ، ج1، 246 ، البغدادي ، تاريخ بغداد ج1 ص 123.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم نمت سوق على شاطئ دجلة كانت فيها «الفرض والسفن والتجارات التي ترد من بغداد وواسط وكسكر وسائر السواد من البصرة والأبلة والأهواز وما اتصل بذلك ، ومن الموصل وعربايا وديار ربيعة وما اتصل بذلك» (302).

أقيمت أسواق سامرّاء في موضعها الذي اختطّه لها المعتصم ، وأدى ازدهارها ونمو الحياة الحضرية فيها إلى ازدحامها ، فلما ولي الواثق الخلافة «زاد في الأسواق وعظمت الفرض التي تردها السفن من بغداد وواسط والبصرة والموصل» (303) ، ولم تذكر المصادر المناطق التي زيدت فيها الأسواق ، ولعل الامتداد إلى خشبة بابك ترجع إلى زيادة الواثق.

ولما ولي المتوكل الخلافة وبنى الجامع الجديد «جعل الطريق إليه من ثلاثة صفوف واسعة عظيمة من الشارع الذي يأخذ من وادي إبراهيم بن رباح ، في كل صف حوانيت فيها أصناف التجارات والصناعات والبياعات ، عرض كل صفّ مائة ذراع بالذراع السوداء ، لئلا يضيق عليه الدخول إلى المسجد في الجمع في جيوشه وجموع خيله ورجاله ، ومن كل صف إلى الصف الذي تليه دروب وسكك فيها قطائع جماعة من عامة الناس فاتسعت على الناس المنازل والدور ، واتسع أهل الأسواق والمهن والصناعات في تلك الحوانيت التي هي في صفوف الجامع» (304).

302 المصدر نفسه ، ج1، 263.

303 المصدر نفسه ، ج1، ، 265.

304 اليعقوبي ، البلدان ، ج1، 260.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي سنة 245 شيّد المتوكل في الماحوزة على بعد ميلين من الكرخ مدينة الجعفرية ضمّت قصوره وإقطاعات ولاة عهوده وسائر أولاده وقوّاده وكتّابه وجنده والناس كافة وربطها مع الكرخ بشارع عرضه مائتا ذراع ، أقطع الناس على جانبيه ، وجدّ الناس في البناء الذي امتد واتصل من الدور والكرخ فسامرّاء وإلى بلكوارا في القادسية (ليس بين شيء من ذلك فضاء ولا فرج ولا موضع لا عمارة فيه فكان مقدار ذلك سبعة فراسخ) (305) ونقل إلى الجعفرية الدواوين.

شيّد المتوكل في الجعفرية أسواقا جعلت في موضع معتزل وجعل في كل مربعة وناحية سوقا ، وبنى المسجد الجامع ، (306) أي إن الجعفرية لم تقتصر على سوق واحدة ، وإنما على عدة أسواق منها الرئيسية في موضع معتزل ، ومنها المتفرقة في المربعات والنواحي ، ولا بدّ أن هذه الأسواق كانت واسعة فيها سلع متعددة لسدّ حاجة هذه المدينة الكبيرة ، ولعل معظم أهلها والعاملين فيها انتقلوا من أسواق سامرّاء التي ضعفت بهذا الإعمار الجديد الذي لم يطل أمده لأن المتوكل لم يقم فيها إلا تسعة أشهر ثم قتل وولّي ابنه المنتصر الخلافة فعاد إلى سامرّاء وأمر الناس جميعا بالانتقال من الماحوزة ، وأن يهدموا المنازل ويحملوا النقض إلى سرّ من رأى ، فانتقل الناس وحملوا نقض المنازل إلى سرّ من رأى ،

وخربت قصور الجعفري ومنازله ومساكنه وأسواقه في أسرع مدة ، وصار موضعها موحشا لا أنيس فيه ولا سكن ، والديار بلاقع كأنها لم تعمّر ولم تسكن (307).

305 اليعقوبي ، البلدان ، ج1، 266 .

306 المصدر نفسه ، ج1، ، 266 .

307 اليعقوبي ، البلدان ، ج1، 267.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهل السوق :

كان قوام السوق الحوانيت التي تعرض السلع المستوردة أو المصنّعة في سامرّاء والعاملين في ذلك. فتنظيم السوق وثيق الصلة بتنظيم أهلها والعاملين فيها. وأنشئت سامرّاء في منطقة سكانها قليلون. ولكن ، بالتعاون مع الجند الذين تقرّرت إقامتهم فيها صارت عملية تشييدها في غنى عن العمال غير الماهرين. ولابدّ أن استمرار نموّها أبقى الحاجة لهؤلاء العمال الذين استقر كثير منهم فيها وتحوّلوا من العمل في الأرض إلى العمل في المدينة ، ولعلهم كانوا أعظم من سمّاهم اليعقوبي «الناس» ونصّ على سكناهم في الشارع الأعظم ، وشارع أبي أحمد ، وشارع الحير ثم في الجعفرية وبالقرب من جامع المتوكل ، ومنع الأتراك من الاختلاط بهم.

ولابدّ أن هذه السوق الجديدة كانت تحتوي على أكثر أصناف السلع في السوق الأولى التي أقامها المعتصم ، وأن تشييد هذه السوق خفف الازدحام وآثاره في سوق المعتصم والتي من الأرجح أنها ظلت قائمة ، ولكن خفّ النشاط فيها ، كما أن كثيرا من الساكنين قربها من أهل الحرف نقلوا مساكنهم إلى أماكن قريبة من السوق الجديدة.

أسواق محلية :

قصد المعتصم من تخطيطه سامرّاء أن يجعلها مركزا واسعا ، ويقيم الأتراك في مراكز فرعية على مسافة من المركز ، وكان أبرز هذه المراكز الفرعية في المطيرة الواقعة في الأطراف الجنوبية الشرقية ، والكرخ الواقعة في الأطراف الشمالية الشرقية ، والحير في الجنوب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأما المطيرة فقد أنزلها الأفشين الأشروسني الذي بنى فيها قصرا وأقطع أصحابه الأشروسنية وغيرهم من المضمومين إليه حول داره ، وأمره المعتصم أن يبني هناك سويقة فيها حوانيت تجار فيما لابدّ منه ، ومساجد وحمّامات ، وكانت المطيرة تبعد فرسخين عن معمور مركز سامرّاء وليس في ذلك الموضع شيء من العمارات ثم أحدقت العماره فيه ، وكانت للحسن بن سهل قطيعة في آخر الأسواق تمتد إلى خشبة بابك ، فامتدّ بناء الناس من كل ناحية ، واتّصل البناء بالمطيرة حتى صارت قطيعة الحسن بن سهل وسط سرّ من رأى (308).

أما الكرخ فقد أقطعه أشناس وأصحابه «وضمّ إليه عدة من القواد الأتراك والرجال ، وأمره أن يبني المساجد والأسواق (309) وأمر أشناس أن لا يطلق لغريب من تاجر ولا غيره مجاورتهم ، فأقطع قوما آخرين فوق الكرخ وسمّاه الدور.

وجعل في كل موضع سويقة فيها عامة حوانيت الفاميين وهم باعة البقول والقصابين ومن أشبههم ممن لابدّ لهم منهم ، ولا غنى لهم عنهم. (310) ويوحي هذا النص أن هذه السويقات كانت للأتراك ولم يشغلها غرباء. أما خاقان عرطوج الذي أقطع مع أصحابه قرب الجوسق ، ووصيف الذي أقطع مع أصحابه عند الحير (311) ، فلم تذكر في قطائعهم أسواق ولعل الاعتماد في ذلك كان على السوق الرئيسية.

أما أهل الصناعات والحرفيون من أهل المهن ، فكان لابدّ من جلبهم من المناطق الأخرى. وقد ذكر اليعقوبي منهم من جلب من البصرة والكوفة ومصر ، وأشار إلى أنه جلب أيضا من بلاد أخرى لم يسمّها والراجح أنه جلب من كل بلد صنّاع صناعة واحدة كالحرفيين الذين جلبوا من الكوفة والبصرة ، وبذلك تنسقت أصولهم الجغرافية مع حرفهم ، إلا أن الدولة عاملتهم على أساس حرفهم وراعت تميّز هذه الحرف ، ولعل أكثر الصناع أسكنهم المعتصم في الجانب الغربي.

308 اليعقوبي ، البلدان ، ج1، 256.

309 اليعقوبي ، البلدان ، ج1، 258.

310 اليعقوبي ، البلدان ، ج1، 259.

311 اليعقوبي ، البلدان ، ج1، 228.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والجبل (312)، والريّ (313)، وخراسان (314) وسائر البلدان) (315)، وهناك نص أخر للمسعودي يذكر فيه إذ يقول (ونقل اليها أي سامراء) من سائر البقاع أنواع الغَرُوس والأشجار) (316).

ويشارك الاصطخري بقوله (وأما سامراء فإنها كلها في شرق دجلة وليس معها في الجانب الشرقي ماء جار لكن عمارتها وزرعوها واشجارها فيما يقابلها من غرب دجلة) (317).

لقد كان لجلب المواد أثر كبير وانجاز عظيم من قبل الخليفة لإنشاء او لبناء صرح كبير ومدينة جديدة حيث اهتم من خلال البناء بالزخرفة واعمال الدهان والتجميل وجلب موادها لتجميل مدينة سامراء وقصورها (318).

(312) إقليم الجبل من أقاليم المشرق الجغرافية، أطلق عليه هذه التسمية لكثرة الجبال فيه، توسع البلدانيون في تحديد هذا الاقليم فحَّدهُ من الشرق مفازة خراسان وفارس ومن الغرب إقليم اذربيجان، ومن الشمال بلاد الديلم ومن الجنوب العراق، ويضم اقليم الجبل الري وقومس وهمدان واصبهان وقُم وقاشان. ينظر الاصطخري، المسالك والممالك، ص195؛ المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم، ص384؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص357.

(313) الرّيّ مدينة مشهورة من أمهات مدن الاسلام، قديمة البناء، وهي قصبة بلاد الجبال كانت كثيرة الخيرات وافرة الغلات الثمرات وهي مدينة عجيبة في فضاء من الارض الى جانبها جبل اقرع لا ينبت شيئاً يقال له طبْرك. ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص116.

(314) خراسان وهي من أكبر أقاليم المشرق الاسلامي، يحده من الشرق نهر جيحون، ومن الغرب المفازة الكبرى واقليم قومس ومن الجنوب سجستان، ويشمل على مددن عدة منها نيسابور، وهراة، ومرو، وبلخ، ويضم هذا الاقليم نهرين هما نهر هَراة ونهر مروآب. ينظر الاصطخري، المسالك والممالك، ص148، 151؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص350.

(315) اليعقوبي، البدان، ج1، ص363.

(316) المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص54.

(317) الاصطخري، المسالك والممالك، ص85.

(318) حميد، عيسى سلمان، الزخارف على الاثار المنقولة في حضارة العراق، ج7، ص307؛ الشرقي، قصور العراق، ص259.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد استخدم الطابوق المربع في جدران المدينة وقصورها وابنيتها الشاهقة، لقد كانت عمائر وبنايات مدينة سامراء جميعها مبنية من اللبن الجلي عدا بعض العمائر التي بنيت بالطابوق ومن تلك الأبنية جامع المتوكل (319).

اما اعمال الزخرفة فنرى اكثرها منقوشة على الاخشاب وبالأخص خشب الساج يكون محفور ومنقوش يعطي جمالية ورونقاً للبناية وأيضا من خلال التنقيبات وجدت تواقيع وبصمات الصناع والمهرة الذين ساهموا بالعمل (320).

اما فيما يخص مادة (الجص) فقد استعملت هذه المادة في بناء الجدران وخصوصاً الجدران الداخلية لغرف القصور وتستخدم في زخرفة هذه الجدران وتكون على شكل أفاريز جصية محفورة حفر (321)، فقد كان هذا الشي من أجل اخراج القصر بالشكل المطلوب ويكون جميلاً ويزداد رونقاً. ومن هما يتبين لنا بان المواد المستعملة في بناء المباني لمدينة سامراء هي من مادة الآجر واللبن يربطه فيما بينهما مادة الجص للتلاحم والترابط فيما بين المباني وايضاً اعطاء شكل جميل للمبنى. وتكون عادة الاسوار الخارجية للبنايات او للقصور مبنية من مادة اللبن، وتكون المباني مبنية من الآجر المفخور وتكون ارضية المباني تتكون من مادة الجص المخلوطة مع الرمل (322).

ومن هنا نستنتج بان مادة الجص هي المادة البارزة والفعالة في بناء القصور والمباني حتى سميت قصور باسم (قصر الجص) وسبب هذا الافراط في تلك المادة هي سهولتها في الاستعمال وايضاً تعطي جمالاً واضحاً في اعمال الزخرفة ويجف سريعاً ويلاحظ تلك المواد بأنها كانت جميعها محلية مثل الآجر والجص والحصى ولا يتطلب جهداً كبيراً في جلبها.

(319) سوسة ، ري سامراء، ج1، ص5.

(320) الشرقي، قصور ، ص65.

(321) الشرقي، قصور، ص265.

(322) الشرقي، القصور، ص105، 106؛ سوسة، ري سامراء، ج1، ص83.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واستخدم الآجر أيضاً في تبليط الساحات المكشوفة خصوصاً وهناك نوع كبير من الآجر يستخدم لتبليط الارضيات، وأيضاً استعملت مادة الجص لبعض الحمامات والحجرات وتكون ممزوجة مع قطع الحصى وكانت مادة (القير) مفضلة في تبليط الحمامات والمرافق الصحية واستخدمت في بعض الوحدات السكنية الواح الرخام في التبليط ايضاً وخاصة في الطوابق العليا (323).

اما المسجد الجامع فقد كانت مواد بناءه كما يذكر طاهر العميد بانه من الطابوق الخفيف الأحمر (324) واستخدم الخشب في تغليف محراب الجامع وكان ذو الواح خشبية جميلة (325) وفي الوسط ضمن المسجد حوضاً مكوناً من قالب صخري واحد (326)، هذا يدل على ان الصخور كانت صمن مواد البناء الاساسية المستخدمة في بناء المدينة وتكون هذه الصخور من المواد المحلية. اما المرمر كما ذكرنا انه أيضاً استخدم في بناء المدينة فقد استعملت الاعمدة المرمرية في رفع السقوف ولا سيما في المسجد الجامع وكانت معظمها مربوطة بسفاقيد من الحديد وهي مستوردة من الشام (327).

(323) حمودي، خالد خليل، خزف سامراء الاسلامي، مجلة سومر، بغداد 1975م مج30، ص203، 222. وسيشار اليه لاحقا ، حمودي ، خزف .

(324) العميد، العمارة ، ص153.

(325) العميد، العمارة ، ، ص132.

(326) العميد، العمارة ، ، ص154.

(327) العميد، العمارة العباسية في سامراء، ص147.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويذكر بأن احدى دعامات جامع سامراء تشير الى اسلوب المعمار اليوناني وهذا يبرهن صحة الروايات التي تفيد بان مواد احجار هذه الاعمدة جلبت من أنطاكيا واللاذقية (328). أما أخشاب الساج التي كانت تستخدم داخل المباني فإنها كانت من اجود انواع الخشب المستورد من الهند ومن زنجبار منذ عهد قديم وأكد ذلك اليعقوبي بقوله (وفي حمل الساج وسائر الخشب والجذوع من البصرة وما والاها (329). ولقد كانت سياسة الخلفاء العباسيين جلب جميع المواد المعمارية وأفضلها ومن أفضل المصادر من اجل الاعمار وابراز الجمالية للمباني.

اما الزجاج فكانت على الغالب تغطى به فتحات الشبابيك فهو معروف في العراق منذ العصور القديمة ومزدهر خاصة في البصرة، مما جعل المعتصم يأمر بإحضار اهل هذه المهنة في بناء المدينة، حيث اقيمت المعامل في موقع البناء في مدينة سامراء وقد وجدت من خلال التنقيبات قطع جميلة جداً من الزجاج تدل على ما وصلت اليه الجودة في صناعة الزجاج في سامراء من تطور ونضج(330)، وهنالك نوعية أحجار ملونة وهي تمثل بقايا زخارف جدارية تستخدم فيه تلك الجدران المغطاة بهذه الاحجار الملونة(331)، وهنالك ايضاً انواع الاخشاب تستخدم للسقوف كما هو في بعض القصور والتي كانت مسقفه بأنواع ممتازة من الاخشاب وايضاً البعض الاخر مسقف (بالعقود) اي بالآجر المربع المغطى بالطين كما هو في الغرف،

(328) اليعقوبي، البدان، ص58؛ العميد، العمارة العباسية في سامراء، ص247.

(329) اليعقوبي، البلدان، ج1، ص58.

(330) حمودي، قصر الخليفة المعتصم، مجلة سومر، مج38، ص181. وسيشار اليه لاحقا ، حمودي ، قصر .

(331) عواد، ميخائيل، صورة مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1401هـ/ 1980م، ص290. وسيشار اليه لاحقا ، عواد ، صورة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اما الحمامات فتكون مغطاة بالرخام(332). اما الابواب التي استخدمت في المباني سوآءا في القصور أو في المساجد او في الدور فكانت من الخشب الجيد ويكون مزخرف ومذهب وفيه نقشات جميلة وعليه مسامير من النحاس (333)، أما في مدينة المتوكلة فقد كان البناء فيها يشبه البناء في مدينة سامراء من حيث المواد، إذ امر المتوكل بحفر النهر من وسط المدينة وذلك لبل الطين ولوازم البناء الأخرى (334). هنا نجد بأن المتوكل لم يجلب مواد مستوردة بل انه (امر بنقض القصر المختار والبديع وحمل ساجهما إلى الجعفري) (335) وهذا يدل على صعوبة الحصول على مواد البناء وأيضاً غلاء ثمنها واراد المتوكل ان يبني مدينته المتوكلة بمواد وأنقاض القصور الأخرى لكي يقلل النفقة رغم شغفه بالنفقات على بناء القصور، وذكر العميد بان مادة بناء المتوكلة على الاغلب طابوقاً من اللبن مع كميات قليل من الطابوق المفخور (336). اما سور المدينة فكان بناءه من مادة اللبن ويبدو ان المتوكل ليس لديه المال الكافي كما كان لديه سابقاً لذلك بناه من اللبن بالرغم من اهمية السور من الناحية العسكرية (337).

(332) الشرقي، قصور ، ص318، 391؛ سوسة، ري سامراء، ج1، ص127.

(333) العميد، العمارة ، ص165، 168؛ الشرقي، قصور، ص319.

(334) اليعقوبي، البدان، ج1، ص67؛ الطبري، تاريخ، ج9، ص212.

(335) الطبري، تاريخ ج9 ، ص212.

(336) العميد، العمارة ، ص176.

(337) العميد، العمارة ، ص175.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ان الكثرة من استخدام مادة اللبن في مدينة سامراء هو بسبب كثرته وتوفره محلياً وايضاً لا يكلف الكثير من الاموال التي تتعب خزينة الدولة ولا يحتاج الى الكورة الحرارية كما هو في الآجر، ولقد اختط المتوكل شارع في المتوكلة بناه من القير والحصو (338)، وشيد القنوات بمادة الآجر (339).

ويتضح لنا بأن المواد المستعملة في بناء مدينة المتوكلة كان على الاغلب من مادة اللبن ثم من مادة الآجر المفخور ثم القير والحصو لتبليط الشوارع وتستخدم المواد كل حسب اهمية الموقع واقسام المدينة والعمارة وقد استخدم مادة الرخام الابيض في بناء القصر الجعفري (340). ولقد كان هناك اهتمام حاص بمواد البناء في القصر الجعفري، وذلك لإظهار المتوكل كملك، فلقد قام بفرش الارضية في داخل القصر بالحجر وانواع الخزف وذلك لإبراز جمالية القصر.

اما جامع ابي دلف الذي بني في مدينة المتوكلة فهو يشبه الجامع الكبير في مدينة سامراء، فانه قد استعمل فيه مادة الآجر في بناءه (341)، وهو شاخص إلى الان وذلك بسبب قوة هذا الآجر.

وكان الطابوق المطلي بالجص سوآءا كان لبناً أو آجراً فقد كان من ضمن مواد البناء التي استخدمت في بناء المباني ولا سيما المسجد منها وكان يبني فيه قواعد الأبراج للمسجد (342)، ولقد كان استعمال المرمر الذي ذكرنا بأنه كان يتم جلبه من الشام واللاذقية فانه كان يستخدم في اعمدة رفع السقوف وخاصة سقف المسجد الجامع وقد استخدمت فيه اعمدة مرمرية مربوطة بقيود حديدية (343).

---

(338) العميد، العمارة ، ص177.

(339) اليعقوبي، البلدان، ج1، ص67؛ بشير، فرنسيس، ومحمود، علي، جامع ابي دلف في سامراء، مجلة سومر، بغداد، 1365هـ/ 1974م، ج1، ص64. وسيشار اليه لاحقا ، بشير ، جامع .

(340) الشرقي، قصور ، ص329، 331؛ سوسة، ري سامراء، ج1، ص331.

(341) العميد، العمارة ، ص179، 180.

(342) بشير، جامع ، ص64.

(343) العميد، العمارة ، ص147.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والاهتمام بمثل هذه المواد مثل المرمر وسفافيد الحديد والرصاص، كل هذه المواد تكون ثمينة ومستوردة اغلبها والاهتمام بها لكي تعطي مظهر جميل وابراز عظمة البناء وزينته كي يكون ذات طابع عظيم وكبير يبها به الناس وقد كان هذا من سياسة الخلفاء إذ يذكر بأن احدى دعامات المسجد (جامع سامراء) يشير الى اسلوب المعمار اليوناني وهذا يبرهن صحة الروايات التي تفيد بان الاحجار التي استخدمت فيه قد جلبت من انطاكيا واللاذقية كما اشرنا(344)، وكان للخشب حضور ومشاركة فعالة في مواد البناء إذ ان العراق يمتاز بالنخيل وتعتبر جذوع وأعمدة النخيل من أساسيات الاعمدة والارتفاع المطلوب في عملية البناء كون المادة المطلوبة في ارتفاع الابنية موجودة على الأرض(345)، وأيضاً الأخشاب المستوردة كانت من مواد البناء إذ كان يستخدم للزخرفة والجمالية في داخل المباني إذ حُمِل من وجلب من الهند وزنجبار وغيرها من الاقاليم الاخرى كما يذكر لنا اليعقوبي في نص له اذ يقول (وفي حمل الساج وسائر الخشب والجذوع من البصرة وما والاها)(346). يبدو إن النهج الذي كان سائد لدى الخلفاء العباسيين انهم كانوا يجلبون المواد من أفضل مصادرها لأجل إعمار البلد وإبراز دورهم في بناء المدن الجميلة التي تحمل اسمائهم، وأيضاً لهم بصمة دينية من خلال اهتمامهم بالمؤسسات الدينية ودور العبادة والتي اغلبها شاخصة الى الان.

(344) اليعقوبي، البلدان، ج1، ص58؛ العميد، العمارة ، ص147.

(345) العميد، العمارة ، ص148.

(346) البلدان، ج1، ص58؛ العميد، العمارة ، ص148.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتوجد هنالك مادة من المواد وهي الصدف، إذ توجد هنالك قطع مصنوعة من الصدف ذات شكل دائري او مربع بهيأة ورق الاشجار وهذه لها علاقة بالزخارف تستخدم في تزيين الزخارف الجصية وتطعيم الأخشاب (347). ومن تلك القصور التي تم العثور في داخله على تلك المواد قصر بلكوارا وذكر المؤرخون بان قصر بلكوارا بني بالقادسية بين سنتي (240-245هـ / 855 – 860م) (348). فقد وصفه (احمد سوسة) عن لسان (كرزويل) بانه من أعظم المنشآت المعمارية لكبر مساحته وحجمه وكثرة الظواهر المعمارية فيه (349).

ان لاستخدام مادة الحجر الكلداني أثر في تزيين المباني إذ كان يغطى هذا الحجر الصدف الملون والمرايا والقطع الفضية المطلية بماء الذهب فكانت واجهات الدور مزينة وذات رونق جميل. فنجد هذه المواد قد استخدمت في مباني المتوكلة وأيضاً استخدم فيها الرخام الابيض(350)، ويبدو ان المتوكل في طريقة بناءه هذه وشموخها وإعداد المواد الثمينة التي دخلت على بناءه والتي جلبها من الاقاليم البعيدة وانفق عليها الاموال الطائلة ما هي إلا لإظهاره كخليفة من خلال الحصون والاسوار التي اتخذها إذ يوجد هناك نص يذكر لأن المتوكل عندما اكمل بناء المتوكلة إذ يقول (الان علمت اني ملك إذ لنفسي مدينة سكنتها)(351)، لقد كانت مادة الرصاص تستخدم في سد الثقوب الموجودة في الاوتاد المعدنية التي كانت تستخدم في البناء(352)، وأيضاً اهتم المتوكل بتزيين الاماكن المطلة على الواجهة التي تثير نظر الناس وتلفت انتباههم ويبدو انع من خلال هذه السياسة اراد ان يبين لهم مدى قوته.

(347) حمودي، قصر ، مج 38، ص181؛ عواد، ميخائيل، صورة مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، دار الرشيد للنشر بغداد، 1401هـ/ 1981م، ص29. وسيشار اليه لاحقا ، عواد ، صورة

(348) الشابشتي، الديارات ، ص150؛ سوسة، ري سامراء، ج1، ص129.

(349) ري سامراء، ج1، ص137؛ الشرقي ، قصور العراق، ص317.

(350) الشرقي، قصور ، ص329، 331؛ سوسة، ري سامراء، ج1، ص231.

(351) اليعقوبي، البلدان، ج1، ص267.

(352) العميد، العمارة ص190، 191.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأيضاً من ضمن المواد التي كانت تستخدم المواد الزراعية، إذ لم يقتصر جلب المواد فقط على مواد البناء إذ جلبت الأشجار والغروس من الأقاليم الأخرى وهذا ما يشير له المسعودي هنا في نصه إذ يذكر بالقول (ونقل اليها أي سامراء) من سائر البقاع أنواع الغروس والأشجار) (353)، وأيضاً هناك نص للاصطخري يذكر لنا ويعطي وصف للمدينة وموقعها الجغرافي اذ يقول فيه (وأما سامراء فإنها كلها في شرقي دجلة وليس معها في الجانب الشرقي ماء جار لكن عمارتها مزروعتها وأشجارها فيما يقابها من غربي دجلة) (354).

لقد امتازت الزخارف ومواد البناء بفنية وتقنية عالية وذلك بفضل ابتكار العرب وعبقريتهم في هذا المجال إذ كانت تمتاز بطابع ساساني وذلك من ناحية أشكال العناصر وأساليب حفرها (355).

مراحل البناء والزخارف

مرت مرحلة البناء و الزخارف بثلاث طرز من حيث المواد:

الطراز الأول: لقد اتفق علماء الأثار على تسميتها بالطراز الاول وذلك بقرب عناصرها بأشكال هندسية وساسانية كما ذكرنا. فهي تخرج من عروق طويلة تمتد فيها انحناءات وحلزونات، ويكون اسلوب حفرها في اتساع الارضيات وتكون زخارفها ومواد بناءها ثلاثية الأبعاد ويتكون ما يشبه عنقود العنب والمحيط الذي يتكون من ثلاثة فصوص، وله قطاع محدب تملؤه حبيبات مثقوب وسطها ثم عناصر كأساسية ذات قطاع محدب أيضاً (356).

(353) المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص54.

(354) البكري ، المسالك والممالك، ص85.

(355) عبده، عبد الله كامل موسى، العباسيون وآثارهم المعمارية في الشرق ومصر والمغرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ط1، القاهرة، 2008م، ص273. وسيشار اليه لاحقا ، عبده ، العباسيون .

(356) فريد شافعي، العمارة العربية الاسلامية، ص417، 419.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اما في الطراز الثاني: فقد تضاءلت الارضيات حتى صارت قنوات ضيقة تفصل ما بين العناصر التي كادت ان تفقد الاتصال بعضها ببعض بواسطة الممرات الطويلة، وتطورت العناصر الى وحدات كبيرة ومسطحة لا تجسيم فيها وهنا يتبع محيط كل عنصر من هذه العناصر الحدود الخارجية للعناصر الاخرى التي تحيط فيها وأصبح لا ينفصل عن بعضها إلا تلك القنوات الضيقة (357).

لقد نتج عن هذا الاتجاه الجديد تحوير كبير في اشكال العناصر ومواد البناء وهيئتها وأحجامها. فقد زادت المقاييس عما كانت عليه في المقياس الاول وفي الطراز الاول، ولقد ذكر فريد شافعي على ان ابتكار هذه التصميمات والوحدات يرجع الى الضرورة التي فرض على الفنانين المسلمين واصحاب الخبرة منهم في اعمال الزخارف إذ انهم كانوا ينتجوا اكبر ما يمكن من المسطحات الزخرفية لكسوة الجدران في اقصر وقت وهذا كي يلبوا ازداد الطلب على تشييد العمائر وتزيينها بالزخارف الجصية التي كانت هي الطابع السائد في تزيين المباني وتعتبر المادة الاساسية لتشييد البناء واما الطراز الاول لو ظلوا يستخدمونه لعناصره واساليبه كانت قد تستنفذ وقتاً وجهداً كبيرين فضلاً عن ارتفاع نفقة انتاجها(358).

أما الطراز الثالث: فقد اختلف تماماً عما قبله فقد استخدمت فكرة جديدة لمواد البناء وهي (الصب)(359) في قوالب لاستخراج نسخ متعددة من المواد المزخرفة، وتكون هذه الطريقة طابع آلي إذ انه تساعد هذه الطريقة على توفير الجهد والاقتصاد في النفقة وتكون أسهل من عملية الحفر التي استخدمت في الطراز الثاني، وأيضاً فيما يخص الاخشاب فقد كانت سقوف القصور والمباني مسطحة بصورة عامة

(357) عبده، العباسون ، ص274.

(358) فريد شافعي، العمارة العربية الاسلامية، ص419.

(359) شافعي، فريد، المرجع نفسه، ص419.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعليها جسور خشبي ويستخدم الزجاج الملون في الشبابيك واظهرت النتائج والتنقيبات الاثرية في دور سامراء بأن جدران الحجر كانت مزينة بزخارف من مادة الجص الى ما يقارب المتر من الارتفاع، واستخدمت المسامير الفخارية في تثبيتها وأما عند عزل الرطوبة عن الزخارف الجصية فقد استعملت مادة القير في المساعدة على العزل وخاصة الجانب الغربي لمدينة سامراء كان استخدام القير اكثر من الشرقي منه وذلك لخفض مستوى الارض ولقربه من نهر دجلة(360).

أما فيما يخص مادة الخشب التي استخدمت في تغطية السقوف لدور سامراء، فان عناك من يرى ان العراقيين لم يستخدموا الخشب للسقوف بل استخدموا العقود والأقبية من الآجر في السقوف وذلك لعدم توفر مادة الخشب، كما ترى (فريـال مصطفى) (361)، هنا تختلف تماماً مع هذا الرأي. إذ ذكرت المصادر التاريخية لنا بأن مادة الخشب من جذوع النخيل كانت قد جلبت من البصرة والسواد، وأيضاً جلبت أخشاب الساج من الهند والأقاليم المجاورة (362).

---

(360) مصطفى، فريـال، البيت العربي في العراق في العصر الاسلامي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983م، ص102. وسيشار اليه لاحقا ، مصطفى ، البيت .

(361) مصطفى ، البيت ، ص102.

(362) اليعقوبي، البلدان، ج1، ص58.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد اهتم العباسيون في اظهار شكل لائق وجميل لمبانيهم وعمائرهم، أول من قام بحفر الزخارف الجصية على شكل اوراق نباتية والتي عرفت فيما بعد باسم (أرابسك) نسبة الى العرب، وقد ولدت هذه الفكرة في سامراء (363) وان إطلاق كلمة (أرابسك) على تلك الزخارف هي دليل واضح وصريح على فضل العرب وعبقريتهم في فنون البناء في تلك الفترة، وأيضاً استخدمت الزخرفة على أطراف الأبواب وعلى إطارات الابواب وتكون على شكل اشرطة واطارات بسيطة وتكون على شكل عضادات تحيط بجانبي فتحات الابواب. وفي بعض الاحيان تستخدم زخارف بالألوان على الجص أيضاً، وأيضاً استخدمت الواح الرخام وقطع المرمر في تغطية الجدران من الاسفل وكانت احياناً تحمل زخرفة بارزة متنوعة ربما تستخدم في تزيين الاقسام المهمة من المباني والقصور (364)، وكانت تلك الألواح المرمرية تغطي الجدران من الاسفل وذلك للحفاظ على الجدران من الأكل بسبب الرطوبة، أي أن حماية للجدران فضلاً عن جماليته، وأستخدم (القير) أيضاً في الأرضيات لمنع الرطوبة (365).

لقد كان لاستخدام الاخشاب في التسقيف وفي اقامة فتحات المداخل والنوافذ، الاعتماد الاكبر في استخدام الخشب مثل هذه الاعمال وهذا ما ذكره (اليعقوبي) بأن المعتصم بعد ان عزم على بناء سامراء فأنه قد كتب في أشخاص الفعلة والبنائين وأصحاب المهن، وامر بجلب مواد البناء وحمل الساج وسائر الخشب والجذوع (366)، كما ذكرنا سابقاً لقد وجدت القطع الخشبية وبقاياها في جدران المدينة. وأيضاً تم العثور على قطع خشبية كاملة وقد كان استعمال هذه القطع الخشبية في الاماكن المبنية بالآجر والمبنية باللبن على حد سواء.

(363) شافعي، العمارة، ص417.

(364) الاعظمي، قصر ،ج1، ص171.

(365) الاعظمي، قصر ،ج1، مج38 ، ص171.

(366) اليعقوبي ، البلدان،ج1، ص24.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا فضلاً عن القطع الخشبية المزخرفة بطريقة الحفر أو بطريقة الألوان (367). وان توفر مادة الخشب قد ساعد على اقامة فتحات للمداخل والنوافذ ذات اشكال متنوعة قد تكون منها مستطيل او مربع او دائري الشكل دون اللجوء الى بناء العقود في اعلاها وهذه الطريقة توفر السرعة في العمل وتقلل من الجهد البشري وأيضاً تكون أقل كلفة أي إنها اقتصاداً في النفقات (368).

ولو بحثنا عن مواد الطلاء سوآءا طلاء الجدران أو الارضيات لوجدنا ان الجدران كانت مطلية بطبقة من الجبس بصورة عامة، وان جدران القاعات الكبيرة منقوشة بزخارف محفورة في طبقة الجبس وأيضاً كانت مادة (القير) تستخدم في عمل الجدران اذ انه لا يقتصر عملها على الارضيات والاسطح بل استخدمت في عمل الجدران أيضاً لمنع الرطوبة وقوة الجدار وزيادة صلابته (369). وأيضاً كانت المسامير المفخورة خلف الجدار تكون على شكل سلسلة وذلك لتثبيت والتصاق الزخارف الجصية التي صنعت من قوالب وتثبيتها على الجدار وعدم سقوطها وانفصالها عن بعضها (370). ونستنتج من هنا بان الزخارف هذه كانت تصنع من الجص وتعمل على قوالب خاصة أولاً، ثم يتم تثبيتها على الجدران وذلك حسب الحاجة التي تحتاجها او يحتاجها الجدار.

ومن خلال البحث لاحظنا الكثير من الزخارف المستعملة في تزيين جدران القصور والمباني من اوراق العنب والعناقيد بوجه عام. وتأخذ هذه الزخارف أشكالاً متنوعة، وبالضافة الى تنظيمها الهندسي الذي يضفي اليها اشكالاً جميلة. وغالباً ما تحاط المنطقة المزخرفة بالمادة الجبسية التي تكون من حلقات وضفائر مختلفة الأشكال (371).

---

(367) الاعظمي، قصر، ص172.

(368) الاعظمي ، قصر ، ص172.

(369) احمد، سامراء، ج1، ص86.

(370) احمد، سامراء، ج1، ص87.

(371) احمد، سامراء، ج1، ص87.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولو رجعنا الى مادة الآجر لوجدنا انواع عديدة من الآجر كانت تستخدم في مواد البناء. ومنها الآجر المشوي الذي استخدم في بناء المسجد الكبير لاسيما في بناء الاسوار، وذلك لتحمله الظروف المناخية والامطار، ويوجد نوع اخر من الآجر كان يستخدم في البناء الداخلي وهو الآجر الاحمر الفاتح يكون اقل قوة من الآجر المشوي (372).

وأيضاً هنالك نوع اخر من الآجر كان يحيط بالأبواب على شكل إطار بالإضافة إلى العوارض الخشبية التي كان يعلوها قوس حامل من الآجر. أما الآجر المصقول فكان عادة يكون بجانب المدخل للمباني ليعطي جمالية أكثر للمكان، وأيضاً كان للرخام دوراً بارزاً في مواد البناء. إذ انه كان على شكل اعمدة وتكون هذه الاعمدة الرخامية عادة في محراب المسجد، إذ يستخدم فيها الرخام الوردي الذي يتم جلبه من عينتاب (373)، وله قواعد وتيجان على أشكال جميلة (374).

فلو رجعنا الى الزخارف فنجد انها كانت مصنوعة من عدة مواد كالجص والآجر والرخام والمرمر والفسيفساء والخشب ويكون مزخرف بطريقة الالوان، ويكون اسلوب عمل الزخارف على هذه العناصر بالحفر وبعدها يطلى بالألوان الجميلة والمطعمة بالحجر والصدف. ولقد كانت اغلب الزخارف الجصية التي استخدمت في مباني سامراء هي من الطراز الثالث بالنسبة للطراز التي اشتهرت فيه سامراء (375)

(372) ك. كريزول، الاثار الاسلامية الاولى، ترجمة عبد الهادي عيلة، ط1، دار قتيبة، دمشق، 2000م، ص361. وسيشار اليه لاحقا ، كريزول ، الاثار .

(373) عينتاب، قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكيا وكانت تعرف بدُلوك، الحموي، معجم البلدان، ج4، ص176.

(374) ك. كريزول، اثار ، ص365.

(375) الاعظمي، مجلة سومر، ص173.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

. فلقد صنف علماء الأثار (376) الزخارف في سامراء الى ثلاثة اقسام استناداً الى طريقة صنعها وحفرها ومقومات عناصرها واشكالها وتسلسلها التاريخي. فقد كان أقدمها الأسلوب إذ يتميز هذا الاسلوب بطريقة الحفر العميق ووضوح الارضيات والدقة في محاكاة العناصر النباتية، اما الاسلوب الثاني إذ تطورت الزخرفة فيه فبدأت تبتعد عن الطبيعة شيئاً فشيئاً فأصبحت العناصر أكثر بساطة لكبر حجمها، وأيضاً لضيق القنوات فيها.

ويمتاز الاسلوب الثالث بطريقة الحفر المائل مما لا يدع مجال لظهور الأرضيات (377) (الخلفيات) واستغنى عن العناصر القديمة بعنصر جديد وهو المروحة النخيلية(378).

اما الرخام فق استعمل أكثر شيء في المساجد، إذ نرى ان المسجد الكبير في سامراء كان يضم في اركانه الكثير من الرخام إذ ان الرخام كان يحف اركانه الاربعة، وكان فيه العديد من الدعامات إذ بلغ عدد دعامات المسجد حوالي (456) دعامة (379). وكان للطابوق دوراً بارزاً في البناء، إذ انه استخدم لفرش الارضيات بالإضافة الى وظيفته الاساسية في البناء، حيث كان يستخدم في فرش الارضيات داخل الابنية ايضاً. وتزين الجدران من الخارج في سامراء من اعلاها بسلسلة من الدوائر المقعرة ومؤطرة بشكل مربع منخفض عن مستوى وجه الجدار ويبلغ قطر الدائرة الواحدة ما يقارب (1 متر)، وتتوسطها أحياناً قنوات مستطيلة لتصريف ماء المطر، وأيضاً يقع شريط زخرفي فوق فتحات النوافذ. ويرى بعض المؤرخون مثل (عيسى سلمان) بأن المعمار اتبع تقنية خاصة في الحصول على الاشكال المطلوبة

(376) شافعي، فريد، العمارة، ص417؛ حسن، محمد زكي، الفن الاسلامي في مصر ، ج1، ص28. وسيشار اليه لاحقا ، حسن ، الفن .

(377) الاعظمي، قصر ، ص173.

(378) أنظر الملحق رقم (4)

(379) عبده، العباسيون ، ص282.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبشكل مفرغ او غائر، وذلك بطريقة حف الطابوق في شكل انحداري او انسيابي الى الداخل فيحصل على الشكل المطلوب الذي لا يستطيع ان يحفر في طبقة من كساء الجص(380)، فهذا يحتاج ان يجعل هذا الكساء سميكاً جداً وقد لا يثبت على وجه الجدار، ومن المحتمل جداً ان لهذه الدوائر اهمية لتخفيف ضغط الرياح على تلك الجدران التي تكون طويلة ومرتفعة ويكون للرياح تأثير قوي جداً عليها فتكون وظيفة تلك الدوائر تخفيف الرياح على الجدار من خلال دخولها فيه(381).

ولو بحثنا في عمارة مسجد أبي دلف في الجعفرية او المتوكلة ولاحظنا مواد البناء التي استخدمت فيه لوجدناه انه كان يتكون من فنار كبير محاط بجدران محصنة من مادة الآجر الطيني (اللبن)، وان حالة مسجد ابي دلف الذي بني كمسجد للمدينة الجديدة (الجعفرية) هي على عكس حالة المسجد الكبير في سامراء، ففي الاخير لا تزال الاسوار والجدران قائمة، بينما الداخل خال، أما في مسجد ابي دلف فان الداخل في حالة جيدة في حين الجدران الخارجية المبينة من الآجر الطيني لم يبقى منها سوى جروف طويلة (382).

وكان نظام بناء الاقواس من الانظمة الشائعة في المباني إذ تكون الاقواس مبنية من الآجر المربع من الداخل اي في الحلقة الداخلية مرصوف يكون وجه الآجر إلى الخارج بينما آجرات الحلقة الخارجية مرصوفة رأسياً، ما عدا ان كل حلقة يتكون سمكها من (1.5) آجره بدلاً من آجرتين، ولكن هنا تكون أعمال الآجر اقل جودة من أعمال الآجر المستخدم في بناء مسجد سامراء الكبير، والآجر يتراوح في الحجم من (25 سم) إلى (29 سم) ولكن جميع الآجر الموجود في بناء سامراء يكون بسمك موحد وهو 7سم (383). وكان أكثر نوع من الأنواع الآجر المستخدم في المباني هو الآجر المشوي ربما لمتانة قوته. وكان يستخدم عادة للجدران الخارجية وأيضاً في السقوف وأخاديد لأنابيب مياه الامطار.

(380) عيسى ، العمارات، ج1، ص116، 118.

(381) عبده، العباسيون ، ص371.

(382) كريزول، الاثار ، ص371.

(383) كريزول، الاثار ، ص373.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويدخل الآجر أيضاً في صناعة بناء القباب إذ ان العديد من القباب كانت مبنية من الآجر المفخور، او المشوي، ويظهر الآجر في بناء الجدران بأنه كان يتم بناءه بطريقة رأسية إذ يظهر لنا فقط (سمك الآجر) ويبدو ان هذا الاسلوب يكسب البناء قوة ومتانة أكثر، وتشير بعض المراجع الى انه قد استخدمت في مثل هذه الطريقة سابقاً في باب بغداد في الرقة – قبل سامراء (384).

لقد كانت الدعامات التي من واجبها حمل السقف والارتكاز عليها وخصوصاً في المسجدين، سامراء وأبي دلف، إذ انها تكون على هيئة أكتاف قطاعها الافقي اما مربع او مستطيل، وشيدت هذه الدعامات بالبناء من مادة الآجر القوي لتحمل السقف كما هو في جامع أبي دلف (385).

وهذه البدنات أو الدعامات المشيدة قد اغنت بطبيعة الحال عن استخدام الاعمدة الاسطوانية التي كانت تؤخذ بعضها من العمائر القديمة، وخاصة المصنوعة من الرخام او من الجرانيت، وذلك لصعوبة استخراجها ونقلها وتشكيلها.

ويوجد هناك عنصر اخر من عناصر البناء وهو (المقرنصات(386) إذ يظهر هذا النوع من انواع البناء في مدينة سامراء واستخدم العقد المدبب ذو المراكز الاربعة، وقد استخدم هذا النوع من الانواع في باب العامة من قصر الجوسق الخاقاني.

---

(384) الاعظمي، قصر ، ص172.

(385) شافعي، المرجع السابق، ص403.

(386) المقرنصات هي الكلمة العربية الفصيحة للهوابط، وهي بنية آسرة بشكل وِحدة متكررة على طبقات، وكل وِحدة مدعمة من وِحدة آخرى أسفلها، والغاية الأولية لهذه البنية هو إنشاء انتقال معماري بين شكل القبة والبنية المكعبة الحاملة لها، الشهابي، قتيبة، زخارف العمارة الإسلامية في دمشق (مطبوعات وزارة الثقافة، 1996م، ص 83 ، وسيشار اليه الشهابي، زخارف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما استخدم لجميع عقود البائلكات(387) في جامع أبي دلف (388).

لقد كان لمادة الجص الدور الاكبر في بناء المدينة، وذلك بسبب كثرته وسهل صناعته، إذ نرى ان الكثير من الزخارف كانت جصية لأنه كان يسهل التنفيذ عليه، ويعتبر بداية مدرسة فنية كانت معروفة في فن الزخرفة الاسلامية، وأيضاً توجد في الجص ميزة بأنه كان يجف سريعاً، ونلاحظ إن اغلب مواد البناء كان محلياً، مثل الحصى والجص والآجر إذ لا يتطلب جهداً كبيراً في جلبهاً، ولا تتطلب نفقات مالية عالية في صناعتها، أما الطابوق فكان هناك نوع من انواعه وهو الاحمر الخفيف(389) الذي استخدم في بناء المسجد الجامع إذ غلف فيه المحراب بالإضافة الى التغليف الخشبي ذات الالواح الجميلة(390). وأيضاً تم دخول عنصر الصخور إذ كان في وسط الجامع حوضاً مكوناً من قالب صخري واحد (391).

اما الدعامات التي ذكرناها سابقاً فان احدى دعامات المسجد الجامع في سامراء تشير الى الاسلوب المعماري اليوناني وهذا يبرهن صحة الروايات التي تفيد بأن أحجار هذه الأعمدة قد جلب من أنطاكيا واللاذقية (392).

وفيما يخص الاعمدة وارتفاعها، فان نظام الأعمدة السقفية لا بد أن تكون مرتفعة، وهذا الارتفاع يكون من جذوع النخل، ونرى استخدامه بكثرة، وذلك لكثرة وفرته في العراق بصورة طبيعية (393).

---

(387) أصل الكلمة تركي عثماني، **بأيلك باللغة** العثمانية التركية القديمة تعني: محافظة / مقاطعة. الشهابي، زخارف، ص 89

(388) شافعي، العمارة ، ص415.

(389) العميد، العمارة ، ص153.

(390) العميد، العمارة ، ، ص133.

(391) العميد، العمارة ، ، ص154.

(392) اليعقوبي، البلدان، ص58؛ العميد، العمارة ، ص147.

(393) العميد، العمارة ، ص148.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولو أخذنا مثال على الابنية في سامراء وعظمة المواد الداخلة فيه، فنجد قصر بلكوارا الذي بني في القادسية بين سنتي (240-245هـ / 855-860م) (394)، فقد وصفه احمد سوسة على لسان كرزويل بأنه من أعظم المنشآت المعمارية وذلك لكبر حجمه ومساحته وكثرة الظواهر المعمارية فيه (395).

فقد كانت العناصر او مواد البناء الداخلة فيه اعداد كبيرة من الخشب ولا سيما في التسقيف، وأحياناً مسقف بالعقود وتكون غرفه الصغرى مسقفه بالعقود من مادة الطابوق مغطاة بالطين، ويكسو حمامه الرخام، وأيضاً تدخل الزخارف الجصية إلى داخله لتزين جدرانه (396). وهناك حديقة خارجية يحيط بها سور مغطى بالملاط وينتهي عند الشاطئ نفسه بسقفيات غنية بالزخارف وخارج الحديقة يوجد مرفأ (397).

وكانت هناك صور مائية لبعض غرف القصر مدهونة بالذهب، وكذلك السقفيات المطلة على النهر ترى فيه الزخارف الجصية، واما الواجهة للقصر فإنها كانت مزينة بالفسيفساء الزجاجية على أرضية مذهبة (398)، وأبواب هذ القصر تكون معمولة من الخشب الجيد والمزخرف أيضاً ومذهب ومزين بمسامير من النحاس الاصفر، والزجاج كان يكون على اشكال والوان مختلفة كانت تملأ الشبابيك، كالأزرق والأصفر والزجاج النقي (399).

(394) الشابشتي، الديارات، ص150؛ سوسة، ري سامراء، ج1، ص129.

(395) سوسة، ري سامراء، ج1، ص127؛ الشرقي، قصور ، ص317.

(396) الشرقي، قصور ، ص318، 319؛ سوسة، ري سامراء، ك 1، ص127.

(397) الشرقي، قصور ، ص318.

(398) الشرقي، قصور ، ص319.

(399) العميد، العمارة ، ص165، 168؛ الشرقي، قصور ، ص319.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا يدل بان مواد الخشب والطين والطابوق والرخام والجص والذهب والابواب الخشبية والزجاج مع مواد التجميل الاخرى كالجص والذهب والفسيفساء قد دخلت جميعها في مواد بناء هذا القصر.

وهناك مادة الرصاص التي استخدمت في دعامات المسجد الجامع في المتوكلة إذ ملأت ثقوبها بالرصاص بالإضافة إلى المرمر (400).

من خلال ما تقدم نستنتج بان الدولة العباسية في بناء مدينة سامراء قد اهتمت اهتماماً واضحاً بالمباني والعمارة إذ انها لم تبخل بأي جهد يصب في مصلحة البناء، واختيرت أفضل أنواع المواد كي تبني عمائرها، كي تظهر المدن والقصور بأروع وأجمل مظهر، وأيضاً ابراز المفاخر والعظمة بين الخلفاء، ومن أجل ذلك فقد اسرف بعض الخلفاء في البناء والزخرفة باستعمال الذهب والتكوين وفرش بعض القصور بالرخام والفسيفساء ويؤكد قول المعتصم بالله عن هذا الموضوع بأن العمران (فيه امور محمودة، فأولها عمران الارض التي يحيا بها العالم وعليها يزكوا الخراج وتكثر الاموال وتعيش البهائم وترخص الاسعار ويكثر الكسب ويتسع المعاش)(401).

(400) العميد، العمارة ، ص190، 191.

(401) المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص48.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث مصادر المياه والري في خطط سامراء

مصادر المياه والري في خطط سامراء
مشروعات الري في عهد المتوكل
النهر الجعفري
منشأ النهر وتاريخه وأهدافه
تخطيط مشروع النهر
موقع صدر النهر كما في الطبري وياقوت
حالة النهر وناظم مصرف الوشاش
عبارة النهر الجعفري على القاطول الكسروي
قنطرة العبور القديمة
عبارة النهر الجعفري فوق القنطرة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مصادر المياه والري في خطط سامراء

أن اختيار الخليفة المعتصم سامراء دون غيرها فيرجع إلى عدة عوامل عدة أهمها عاملان، عامل الري من خلال تأمين مصدر مياه وقنوات تسد حاجة المدينة الزراعية وعامل المياه الذي تقوم عليه احتياجات السكان المختلفة للمياه وهذا يعد من أسس تخطيط المدينة.

و اذا تتعبنا خطواته عندما خرج متحرياً عن موضع ملائم لعاصمته الجديدة نجد انه اختار عدة مواقع وقد أنشأ البناء في بعضها ثم عاد فعدل عنه حتى انتهى إلى موضع سامراء فاتخذه مقرا لعرش خلافته وعاصمة إمبراطوريته المترامية الأطراف والذي نراه إن قضية المياه كانت العامل الرئيسي بالنسبة إلى هذا التردد ولا شك أن الخبراء الذين كانوا برفقة المعتصم هم الذين أشاروا عليه بأن يتخذ موقع سامراء مقرا لعاصمته ، لان هذا الموقع يمتاز بالدرجة الأولى بميزاته الاستراتيجية لوقوعه في مكان تحيط به المياه من كل أطرافه فتشكل هذه المياه سورا دفاعيا يحيط بالمدينة من كل أطرافها.

فنهر دجلة يلازمها من جهة الغرب فيسير في حذائها من أقصى حدودها الشمالية إلى أقصى حدودها الجنوبية، وذلك يؤمن الاتصال بالمدينة نهرا وشحن البضائع التجارية والأموال والمؤن إليها عن طريق النهر سواء أكان ذلك من شمال العراق أو من جنوبه.

هذا وفي الوقت نفسه إن الأراضي التي تقع فيها مدينة سامراء تؤلف جرفا يرتفع عن سوية مياه النهر عدة مما يجعل المدينة في مأمن من خطر الغرق.

إن ما فعله المتوكل بعد إن أنشأ مدينة المتوكلية في أقصى الشمال إذ أقام سورا عند مدخل المدينة يمتد من ضفة نهر الرصاصي اليمنى إلى ضفة نهر دجلة اليسرى، وبذا تمكن من عزل المدينة تماما وتحويطها بالأسوار وبمجاري المياه من كل أطرافها (402).

(402) سوسة، ري سامراء ، ج2 ، ص 24

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شق الأنهار والجداول والبرك:

قام بحفر الأنهار كالإسحاقي وشق الترع والقنوات ، مما جعل الزراعة تؤدي دورا اقتصاديا كبيرا في رفد خزينة الخلافة بالمال(403) ، وأن اختياره لموقع سامراء قد هيأ له الظروف اللازمة لقيام العمارة وازدهار الزراعة ، فالمياه تحيط بها من كل جان , و مع هذا فأنه أمر عند بنائها بحفر نهر الإسحاقي وشق منه عدة قنوات لري الأراضي الواقعة على الجانب العربي من نهر دجلة , وجلب إلى هذه المدينة النخيل من بغداد و البصرة وسائر السواد , وأتى اليها بالغروس من الجزيرة و الشام والري(404) وخراسان(405) ,فأزدهر الجانب الشرقي من سامراء و كثرت بها الثمار والفواكه ,) (وكان إنتاج أراضي سامراء وفيرا حتى بلغت غلة الصادرات في القرى التي يرويها الإسحاقي وهي الأيتاحي والعمري , و العبد الملكي , ودالية أبن حماد , و المسروري , وسيف , والقرى السفلى , و عددها سبع , مبلغ مائة ألف دينار في السنة (وقد أزداد الاهتمام بمشاريع الري , إذ حفرت من دجلة قناتان شتوية و صيفية , تدخلان الجامع و تتخللان الشوارع لإرواء المواطنين في سامراء) (ونتيجة لأزدياد الحاجة إلى الموارد المائية بسبب زيادة عدد السكان مع زيادة المستوى المعاشي , كل ذلك كان وراء الاهتمام المتزايد بحفر القنوات والترع والأنهار , وكان ذلك واضحا بعد عصر المعتصم بالله ,إذ تم حفر نهر الجعفري في مدينة (الماحوزة) التي بناها وهي قرب سامراء(406) .

(403) أبو الفداء ، تقويم البلدان ، اعتناء ريفرد وماك كولوين . ، باريس ، 1241 م ، ص 211 ، وسيشار اليه لاحقا ، ابوالفداء ، تقويم .

(404) الري مدينة في شمال ايران بضاحية طهران ، فتحها العرب في صدر الأسلام وازدهرت في ، عهد العباسيين ، الحموي ، معجم البلدان ، ج 1.، ص 21

(405) خرسان ، بلاد واسعة ، أول حدودها مما يلي العراق وأخر حدودها مما يلي الهند وطخارستان وغزنه وسجستان وكرمان وتشتمل على أمهات من البلدان نيسابور الحموي ، معجم البلدان ، ج 3 ، ص 201

(406) اليعقوبي ، ، البلدان ، ج1 ، ص 18

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عني الخليفة المعتصم بالله عناية كبيرة بالزراعة بأعتبارها العمود الفقري لاقتصاد الخلافة العباسية وما تؤديه الزراعة من إثر مهم في زيادة إيرادات بيت المال مما يؤدي إلى تنشيط حركة البناء والعمران.

ويكون ذلك واضحا في شروطهم التي كانوا يراع ونها في اختيار موقع المدن، هو سعة المساحة الصالحة للزراعة، إذ تكون المدينة قد وفرت لنفسها الأمن الغذائي، لذا نجدهم قد أوجدوا نظاما دقيقا لشبكات الري من ترع وقنوات سقي كما استطاعوا مدها عبر نهري دجلة والفرا ت(407) لتشكل نظاما إروائيا جيدا.

و ازدادت أهمية الزراعة في عهد الخليفة المعتصم بالله , إذ إ نه في فطرته يحب العمارة ويرى فيها أمورا محمودة فأولها عمرا ن الأرض التي يحيا بها العالم , و عليها يؤخذ الخراج, وتكثر الأموال , وتعيش البهائم , وترخص الأسعار , ويتسع المعاش , وكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك بن الزيات (ت822 هـ / 1419م) اذا وجدت موضعا متى أنفقت فيه عشرة دراهم جاءني بعد سنة أحد عشر درهما فلا تؤامرني عليه وهذا دليل على مدى اهتمام الخلفية المعتصم بالله بالزراعة (408) تبرز أهمية الماء عند المعتصم لبناء مدينته ، من خلال الموقع الذي تحيط به الأنهار مما يشمل المواضع المناسبة لحفر الآبار وحفر قناة من نهر دجلة إلى سامراء ، وبعد جلب المهندسين أشار اليعقوبي بأن المعتصم (حفر الأنهار من دجلة وصير إلى كل قائد عمارة ناحية من النواحي)(409).

(407) المسعودي ، ، مروج الذهب، ج 4 ، بيروت ، 1525 م ص 42 ، وسيشار اليه لاحقا ، المسعودي ، مروج .

(408) المسعودي ، مروج الذهب ، ج 4 ، ص 42

(409) اليعقوبي ،البلدان، ص 64،المسعودي،مروج الذهب،ج 4،ص 54.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأنشأ المعتصم في سامراء العمارات والبساتين والأجنة، وحفر الأنهار من دجلة وصير إلى كل قائد عمارة ناحية من النواحي، وحمل النخل من بغداد والبصرة، وسائر السواد، وحملت الغروس من الجزيرة والشام والجبل والري وخراسان وسائر البلدان، فكثرت المياه في هذه العمارة في الجانب الشرقي من سامراء وصلح النخل وثبت الأشجار وحسنت الفواكه وحسن الريحان والبقل وزرع الناس، أصناف الزرع والرياحين والبقول والرطب (410).لقد اهتم المعتصم كثيرا بمدينته لذلك حفر الأنهار (411). وكثرت الأشجار والبساتين.

البركة الجعفرية:

هذه البركة التي أمام القصر، وهي البركة التي كان نهر نيزك ينتهي عندها والتي تبين من خلال دراسة احمد سوسة، أنها البركة الجعفرية التي وصفها البحتري في قصيدته المشهورة التي يقول في مطلعها " يا من رأى البركة الحسناء"، ويصفها بوجود الحدائق والبساتين حول البركة مثلا وكوجود نهر باسم "نهر نيزك" يتوسط تلك الحدائق وينتهي إلى البركة، ثم وجود الدكات في البركة والصحن في أسفلها والبهو في أعاليها، وكذلك وجود الدواليب على البركة وهي الدواليب التي كان يديرها النعام.

و اذا تتبعنا تفاصيل تصميم البركة من آثارها المتبقية ، نجد أنها تتكون من منخفض اصطناعي مربع الشكل ، يبلغ طول كل من أضلاعه زهاء مائتي متر ، وعمقه عن مستوى الأرض المجاورة ثلاثة أمتار على وجه التقريب ، ويحد المنخفض من الغرب والشرق تلان اصطناعيان مرتفعان يمتدان على طول الضلعين الجانبيتين بعرض يتراوح من(3 إلى 5) أمتار ، والظاهر أن أتربة هذين التلين حملت من حفريات البركة فتألف منها كتفان عاليان للمنخفض مما زاد في جمال منظر البركة وتنسيقها ،

---

(410) اليعقوبي، البلدان ،ص 64،الموسوي،العوامل ،ص 304.

(411) حفر المعتصم أحد الانهار الهامة لأهل الشاش وفر غانة بالقرب من تركستان وأنفق عليه الأموال الضخمة الزهراني، النفقات،ص 388،محمود العالم الاسلامي،ص 193.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويحد المنخفض من الجنوب القصر ، أما من جهة الشمال فيتوسط نهر نيزك الذي ينحدر من الشمال وينتهي عنده بعد أن يخترق حديقة الحيوانات من وسطها وفي داخل البركة أيضا دكات للجلوس تمتد على عرض البركة من الجانبين (الجانب الغربي والجانب الشرقي) عددها في الجانب الشرقي أربع وفي الجانب الغربي ستة ، وأخيرا الصحن الواسع في أسفل البركة إلى الجنوب(412).

ويشاهد في مدخل البركة من جهة الشمال نهر نيزك يتوسط البركة فيجري في وسطها والأحواض تتفرع من جانبيه حتى تنتهي إلى الصحن الأسفل ، كما تشاهد الدكتان المتقابلتان اللتان ذكرهما البحتري فيبلغ عرضهما (35)مترا وطول كل منهما تسعين مترا ، ويشاهد أيضا الصحن الواسع الذي في أسفل البركة ، وهو الصحن الذي أشار إليه البحتري ، متكونا من حفرة عميقة يبلغ عرضها(75) مترا وطولها مئة متر تقريبا ، كما يشاهد البهو الذي ذكره البحتري في أعالي الصحن من الجنوب ، وهو يقع أمام القصر بين البركة والقصر ، ويبلغ عرضه خمسين مترا وطوله (125) مترا على وجه التقريب ، وهناك أيضا آثار المقصورات التي نوه عنها البحتري ، وهي تقع على الحد الشمالي للبهو فتشرف على الصحن الأسفل للبركة ومن المهم أن نشير أخيرا إلى التنظيمات الخاصة بصرف المياه من البركة.

(412) سوسة ، ري سامراء ، ج2 ، ص 56

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهي التنظيمات التي كانت تحقق جريان المياه بالسرعة التي نوه عنها البحتري ، لأن مسيل المياه يمثل هذه السرعة لا يمكن أن يتم إلا إذا توفر مخرج ذو انحدار كبير يصرف مياه البركة إلى محل منخفض خارج حدود البركة ، وهذه التنظيمات كما نشاهد آثارها المتبقية ، تتكون من كهريزين(413) يخرجان من قعر البركة من حدها الجنوبي فيسير أحدهما بموازاة الجانب الغربي لساحة التل جنوبي القصر مخترقا قطيعة رجال حاشية القصر في تلك الجهة ثم ينصب في الضفة اليسرى من نهر القائم ، ويسير الثاني بموازاة الجانب الشرقي لساحة التل مخترقا القطيعة التي في ذلك الجانب ثم ينصب في نهر القائم أيضا ، ويمكن تتبع المجرى الذي تحت الأرض في الكهريز الأول لمسافة مائة متر تقريبا وذلك من جهة مصبه في نهر القائم حيث جرفت السيول بعض الأتربة من فوقه فانكشف معظمه في ذلك القسم وأخذت مياه السيول نفسها تجري فيه فتنصب في نهر القائم.

الفن الهندسي في تنسيق البركة:

و اذا تمعن المرء في تقسيمات هذه البركة وتنسيقها ، وتصور في مخيلته موقعها الجميل في وسط تلك الحدائق الغناء والمشتملات الأخرى ، كالدواليب التي يديرها النعام ، والأسماك الملونة في وسط مياه البركة ، والدكات ذات الأشجار المظللة والطواويس تتناجى فوقها ، والحديقة الواسعة ذات الأشجار المتشابكة بحيواناتها الوحشية على مختلف أنواعها ، بعضها سجين في الأقفاص والبعض الآخر حر طليق ، ثم يتصور نهر نيزك وهو يتوسط هذه البقعة الجميلة المحاطة بسورها الطويل إحاطة السوار بالمعصم ، تجلت له عظمة الفن الهندسي وانكشفت أمامه قابلية الإنسان في تذليل الصعاب واتضح له ما يستطيع أن ينتجه المرء من أعمال الإبداع والابتكار في تحقيق التمنيات(414).

---

(413) الكهاريز(جمع الكهريز) هي قنات جوفية (تحت الأرض) بعمق قليل عادة ،ذات ميل قليل1/1000-2/1000 تنشاو تحفر في المناطق التي فيها نسبة التساقط قليلة أو عديمة لنقل الماءمن الخزان المائي في المنطقة التي تكون منسوب المياه عالية إلى المناطق المسطحة والتي فيها منسوب المياه منخفضة وذلك لغرض الرى والسقى والزراعة ، سوسة ، ري ، ج1 ، ص 270

(414) سوسة، ري ، ج2 ، ص 86

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مشروعات الري في عهد المتوكل :

من أهم الإعمال التي تمت في عهد المتوكل المتصلة بالتنسيق والتخطيط المدينة سامراء وضواحيها مشروع القناة (قناة سامراء) الذي يؤمن سحب المياه من دجلة وإيصالها إلى مختلف المواقع في المدينة. ويشتمل هذا المشروع على قناة خفية تستمد مياهها من نهر دجلة في شمالي الدور "دور تكريت" فتسير مسافة حوالي أربعين كيلو مترا حتى تصل قلب العاصمة " سر من رأى "، وقد مدها المتوكل إلى الجنوب حتى جوار القادسية، وبفضل هذه القناة تمكن المتوكل من إنجاز مشاريعه الجبارة في قلب العاصمة والتوسع شرقي مدينة سامراء باتجاه منطقة الحير، ومن أهم هذه المشاريع مشروع إنشاء حلبة السباق في الحير " حلبة تل العليق " وهي الحلبة التي أمن وصول المياه اليها من دجلة، ثم مشروع إنشاء بركتي قصر الخليفة "دار الخليفة".

وهذه القناة هي التي مكنت المتوكل من تموين المسجد الجامع "جامع الملوية" الذي أنشأه في أول الحير بالمياه الدائمة فجعل فيه على حسب قول اليعقوبي " فوارة ماء لا ينقطع ماؤها ".

ولكي يؤمن المتوكل إيصال المياه إلى حير الحيوانات، الذي أنشأه جنوبي شرقي مدينة سامراء، والى البركة الجعفرية " بركة البحتري" التي في الحير المذكور قام بمشروع ري خاص لتحقيق ذلك ففتح نهرا يقال له "نهر نيزك" يستمد المياه من القاطول الأعلى الكسروي وينتهي إلى الحير والبركة. ولتموين النهر بالمياه الدائمة ورفع مستوى المياه في القاطول أنشأ ناظما قاطعا على القاطول فأمن بذلك تنظيم المياه في ذلك للسكان حسب المقتضى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكي يستطيع المتوكل الشروع في إنشاء المدينة الجديدة و إيصال المياه إلى أماكن العمل دون أن يضطر إلى الانتظار حتى ينتهي من مشروع النهر أمر بإنشاء كريز يأخذ المياه من أعالي نهر دجلة ويحملها إلى نواحي العمل في المدينة ، ويمكن تتبع آثار هذا الكهريز على طول المسافة من صدره حتى مدينة المتوكلية ، فهو يبدأ من نهر دجلة بالقرب من " تلول هطرة" (415) ، ثم يمتد بموازاة (قناة سامراء) "قناة المتوكل" فيخترق "الدور" ، ويتابع سيره إلى جانب كهريزي القناة المذكورة حتى إذا ما قطع مسافة حوالي أربعة كيلو مترات جنوبي "الدور" وصار أمام "قنطرة الرصاصي"(416) التي على القاطول الكسروي انحرف إلى الغرب واتجه نحو مدينة المتوكلية الواقعة على بعد حوالي أربعة كيلو مترات من نقطة الانحراف ويقطع الكهريز في طريقه الأخير "قناة سامراء" قرب انحرافه إلى الغرب ، كما أنه يقطع القاطول الكسروي عند "قنطرة الرصاصي"(417) .

ولا تزال شبكة الكهاريز الفرعية التي تتفرع من الكهريز المذكور مائلة يمكن مشاهدتها في عدة أمكنة داخل مدينة المتوكلية، ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن المعتصم كان قد أنشأ مثل هذا الكهريز في القادسية لإيصال مياه الشرب إلى مدينته الجديدة التي اعتزم إنشاءها في القادسية قبل أن ينتهي إلى سامراء.(418)

---

(415) أن "تلول هطرة" المذكورة تقع على الحدود الشرقية لحاوي البوعجيل الكائن على الضفة الشرقية لنهر دجلة، على بعد حوالي اثني عشر كيلو مترا من شمالي الدور. جهد الباحث ، زيارة مدينة سامراء ، و الاطلاع على أثارها من خلال كلية الآثار في جامعة سامراء ، تاريخ 5-5- 2017 م . سوسة ، ري سامراء ، ج2 ، ص 318 .

(416) أنظر الملحق رقم (5)

(417) سوسة ، ري سامراء ، ج2 ، ص 92

(418) سوسة، ري سامراء ، ج2 ، ص 342 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و أخيرا علينا أن نشير إلى مشروع "نهر الجعفري " وهو المشروع الذي أنشيء لإيصال المياه إلى مدينة المتوكلية سيحا(419) ، ويشتمل هذا المشروع على حفر جدول من ضفة دجلة اليسرى في نقطة تقع على بعد حوالي أربعين كيلو مترا من شمال تكريت فيسير جنوبا على محاذاة نهر دجلة مسافة حوالي ستين كيلو مترا حتى يصل المتوكلية ، وكان الجدول المذكر كان يمون بركة القصر الجعفري بالمياه وعلاوة على تموين مدينة المتوكلية بالمياه ، كان يمون السواقي التي على جانبي الشارع الأعظم الذي يمتد بين "المتوكلية " و "كرخ أشناس" كما كان يمون أيضا جامع أبي دلف بالمياه ، ولكي يستطيع المتوكل الشروع بإنشاء مدينة المتوكلية وإيصال المياه إلى أماكن العمل دون أن يضطر إلى الانتظار حتى ينتهي من مشروع النهر أنشأ قناة تسحب المياه من أعالي نهر دجلة وتحملها إلى نواحي العمل في المدينة وتبدأ هذه القناة "قناة المتوكلية" من ضفة دجلة اليسرى بالقرب من التلول المسماة "تلول هطرة" الواقعة شرقي حدود حاوي البو عجيل في نقطة تقع على بعد حوالي اثني عشر كيلو مترا من شمالي الدور "دور تكريت" وحوالي ثمانية كيلو مترات من جنوبي مدينة تكريت (420) ، ثم تمتد إلى قناة سامراء من شرقيها فتخترق الدور وتتابع سيرها إلى جانب قناة سامراء حتى اذا ما قطعت مسافة حوالي أربعة كيلو مترات جنوبي الدور انحرفت إلى الغرب و اتجهت نحو مدينة المتوكلية وتقطع القناة في طريقها الأخير قناة سامراء كما أنها تقطع القاطول الأعلى الكسروي في نقطة تقع على بعد حوالي سبعة كيلو مترات من الدور ولا تزال آثار شبكة الكهاريز الفرعية التي تتفرع من القناة المذكورة ماثلة للعيان يمكن مشاهدتها في مواضع عديدة داخل مدينة المتوكلية .

(419) السَّيْحُ : الماءُ الظاهر الجاري على وجه الأَرض ، وفي التهذيب : الماء الظاهر على وجه الأَرض ، وجمعُه سُيُوح ، وقد ساحَ يَسيح سَيْحاً وسَيَحاناً إِذا جرى على وجه الأَرض ، ابن منظور ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين لسان العرب ، الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ/ 1311م) ، دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - 1996م ، ج 2، ص121 ، وسيشار اليه ابن منظور ، لسان العرب

(420)ياقوت ، معجم البلدان ، معجم البلدان، ج4، ص438.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما كان المتوكل يفرغ من مشروع "قناة سامراء" ويتمم المنشئات به حتى وجه نشاط عمله إلى السهل الجميل، الذي يقع بين القاطول الأعلى الكسروي وبين نهر القائم شرقي سامراء وهو السهل الذي كان قد أنشأ الرشيد فيه قصره في موضع المشرحات(421) . وقد ارتأى المتوكل أن يستغل هذا السهل الواسع فينشئ فيه حديقة شاسعة للحيوانات لتكون من جملة منتزهات عاصمته ولما كان تحقيق مثل هذا المشروع يتوقف على توفر المياه السيحية حيث تساعد على نمو الأشجار والأزهار حاول بادئ الأمر أن يستغل "قناة سامراء" لإيصال المياه إلى الحير الذي اعتزم إنشاءه في منطقة القاطول فمد قناته هذه إلى "المطيرة" ومنها إلى الجنوب باتجاه موضع الحير ، وسار بها إلى مسافة بعضة كيلو مترات بموازاة الضفة اليسرى لنهر القائم ، إلا أنه عدل عن ذلك بعد أن تبينت له صعوبة إيصال المياه إلى هذا الموضع بواسطة القناة فأوقف العمل فيها ، ويمكن تتبع آثار القناة بكهريزيها ، وهي تمتد في الجانب الشرقي من نهر القائم إلى قرب القادسية ، حيث يشاهد الحد الذي توقفت فيه القناة هناك ونميل إلى الاعتقاد بأن الذي حمل المتوكل على توقفه عن إتمام هذا العمل هو أن موقع الحير فضلا عن وقوعه في مكان بعيد جدا عن صدر القناة الرئيسية ، الذي يستمد المياه من دجلة من فوق " الدور" مما يجعل تموين المياه الدائمة إلى الحير مشكوكا فيه ، أن مياه القناة لا تحقق إرواء كل أراضي الحير بل تقتصر على قسم قليل جدا منه ، وهو القسم الواقع في أقصى الجنوب قرب "المشرحات" .

(421) سوسة ، ري سامراء ،ج2 ، ص 285.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لذلك عمد إلى إعادة إحياء نهر القادسية القديم، الذي يتفرع من الضفة اليمنى للقاطول الأعلى الكسروي، عند الكيلو متر "30" منه وينتهي إلى "حصن القادسية" وهو النهر الذي يخترق السهل الذي اعتزم المتوكل على إنشاء الحير فيه، إلا أنه وجد صدر هذا النهر مندرسا كما ارتأى الخبراء بأن النهر لا يؤمن إرواء أراضي الحير كلها في موسم الصيد ما لم يقام ناظم قاطعي على القاطول الأعلى الكسروي، ليتسنى حجز المياه أمام الناظم ورفع مناسبيها لتسليطها على أكبر مساحة ممكنة من السهل موضوع البحث. ولا يخفى أن نهر القادسية الأصلي الذي كانت تقتصر مهمته على إيصال المياه إلى "حصن القادسية" لم يكن ليحتاج إلى هذا الناظم لان أراضي القادسية التي يقع فيها الحصن واطئة بالنسبة إلى السهل الشمالي الذي على الجانب الشرقي من نهر القائم، ونستدل أن المتوكل نفذ ما اقترحه عليه الخبراء في هذا الشأن وبذلك حقق مشروع الحير الذي كان يصبوا اليه.

أما المشروع الذي أنشأه المتوكل لتحقيق ما تقدم فيشتمل أولا على نهر يبدأ من القاطول الأعلى الكسروي فيسير جنوبا مخترقا السهل الذي يمتد بين القاطول الأعلى الكسروي وبين نهر القائم، وهو السهل الذي أنشئ فيه حير الوحوش، ثم ينتهي ب "المشرحات" (موضع قصر الرشيد القديم) في بركة جميلة تعد من إبداع أعمال المتوكل في سامراء لما تخللته من تنسيق فني، وتنظيم هندسي فكانت آية في الإبداع والابتكار هذه هي البركة المشهورة التي وصفها البحتري في قصيدته الغناء ومطلعها " يا من رأى البركة الحسناء رويتها ".

وقد أنشئ أمام البركة من الجنوب قصر ضخم يستدل من أنقاضه وبقايا سوره على أنه كان من جملة قصور المتوكل المهمة وقد اشتمل المشروع أيضا على إنشاء ناظم على مجرى القاطول الكسروي لتأمين رفع مناسيب المياه عند مدخل النهر، الذي يتفرع من أمام الناظم ويخترق أرض الحديقة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مشروع "نهر نيزك "

النهر الذي حفره المتوكل أمام الناظم لإرواء حديقة الحيوانات سمي باسم" نهر نيزك" وقد جاءت هذه التسمية في عدة مناسبات " حادثة مقتل بغا الشرابي(422) " فقال إنه لما بلغ بغا أن المعتز دبر أمر مقتله واتفق مع بايكباك وأهل الكرخ وأهل الدور خرج في غلمانه وهم خمسمائة ومثلهم من ولده وأصحابه وقواده وصار إلى "نهر نيزك " ثم تنقل إلى مواضع حتى قتل(423) .

ويتفرع نهر نيزك من ضفة مجرى القاطول الكسروي اليمنى في نقطة تقع على بعد ثلاثين كيلو مترا من صدره، فيسير أولا مسافة حوالي كيلو مترين موازيا الضفة اليمنى للقاطول الكسروي ثم ينحرف فيسير باتجاه الجنوب مسافة أحد عشر كيلو مترا تقريبا حتى يصل بئر العجم، وبعد أن يترك بئر العجم على يساره يستمر في الاتجاه الجنوبي مسافة ثلاثة كيلو مترات ونصف كيلو متر حتى ينتهي إلى "البركة الجعفرية" الواقعة شمالي القصر الذي في "المشرحات" ويسمى الأهلون اليوم آثار هذا النهر باسم "خيط عبد الصالح"(424) .

(422) بغا الشرابي ، أوتامش و باغرا ، وقد ظهرت شخصية انتهازية ظهور النباتات المتسلقة تلك هي شخصية رئيس الوزراء الجديد احمد بن الخصيب وقد بدا واضحاً أنه قد كسب ثقة الاتراك ، ابن العمراني ، محمد بن علي بن محمد المعروف، الإنباء في تاريخ الخلفاء ، (المتوفى: 580هـ / 1184م) ، قاسم السامرائي ، دار الآفاق العربية، القاهرة الطبعة: الأولى، 2001 م ، ص 121 ، وسيشار اليه ، ابن العمراني ، الانباء

(423) سوسة ، ري سامراء ج2 ، ص 289 .

(424) سوسة ، ري سامراء، ج2، ص 295 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إقامة السدود والقنوات:

وشجع المعتصم (425) رجال الدولة على شق الترع والإسهام في إنعاش الأشجار والزراعة وعمل على شق نهر الإسحاقي بسامراء، وأشار الجاحظ بأن المعتصم جلب من الصين عددا من مهندسي المياه لتولي عمليات التنفيذ الخاصة بحفر القنوات والأنهار وتقوية الضفاف وإقامة السدود والنوافير (426).

أما الجانب الصناعي فقام الخليفة بجلب أصحاب الحرف والمهن من كل مكان لتنهض الصناعة وتحتل مكانة رفيعة في تلك الحقبة.(427)

أما الموارد المالية الضريبية في عهد الخليفة المعتصم فتشكل بدورها موردا ماليا ضخما والتي أنعشت خزينة الخلافة العباسية بالواردات التي تسهم إلى حد كبير في بناء وتطوير مؤسسات الخلافة كالجيش مثلا، وبالتالي رفع القدرة الاقتصادية لتنفيذ مشاريعها،(428) وتنمي الحالة التجارية بين مدينة سامراء والمدن الأخرى، وهذا ما ساعد على انتشار الأسواق التجارية في هذه المدينة.

أما المنشآت التي أقامها المعتصم في هذه المنطقة قبل أن ينتهي إلى سامراء المدينة التي أنشأها المعتصم تقع على دجلة وعلى القاطول، وثانيهما بقايا الأبنية التي تشاهد في هذه المنطقة (429).

(425) وشق المعتصم نهرا لأهالي خراسان كان موقعه أقاصي خراسان، اليافعي أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت 1390هـ/1970مج 2،ص 124. وسيشار اليه لاحقا ، اليافعي ، مرآة .

(426) الجاحظ ، التبصر بالتجارة، ص 33، 34،اليعقوبي،البلدان،ج1 ، ص 64، الزهراني، النفقات، ص 380، 381.

(427) أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص 211

(428) سوسة ، ري سامراء ، ج2 ، ص 45

(429) اليعقوبي البلدان،ج1، ص 156، العميد، العمارة العباسية في سامراء ، ص 117 ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المدينة بما فيها القصر كانت على ضفتي نهر الصنم الأسفل، شرقي سور القادسية، وينطبق هذا المكان تماما على وصف المؤرخين للمنطقة التي أنشئت فيها المدينة، فان هذا الموضع كما ذكر المؤرخون ضيق لا مجال فيه للتوسع كما أن أراضيه مكونة من حصى وإفهار(430) لا تساعد على البناء.

وكل هذا يدلنا على أن المعتصم كان يحرص كل الحرص على أن يجعل مدينته تشرف على نهر دجلة وتتصل به على طول امتدادها ، بغية جعل بنايات السكن قريبة من ضفته مما يسهل نقل مياه الشرب اليها ، وهكذا فقد انحصرت المدينة في المنطقة الضيقة الواقعة بين الضفة اليمنى لمجرى القائم والضفة اليسرى لمجرى الصنم وفي منطقة الساحل الضيقة التي على دجلة وهي المنطقة الواقعة على الضفة اليمنى من نهر الصنم ، كل هذا حرصا على تحقيق رغبة جعل المدينة متصلة بدجلة أما الأبنية التي على ساحل دجلة الواقعة على الضفة اليمنى لنهر المعتصم فقد اكتسحها مجرى دجلة كما اكتسح مجرى الصنم نفسه بحيث لم يبق أي أثر يستدل به على هذا المكان و أما الأبنية التي على الضفة اليسرى من نهر الصنم فلا تزال آثارها مائلة للعيان يمكن مشاهدتها بين مجرى القائم ومجرى الصنم ، شرقي سور القادسية ، وهي مؤلفة من عمارات متقطعة مبنية باللبن والطين عدا القصر الذي في تل الاصيبعين " وهو القصر الذي بناه المعتصم على ما نعتقد" فهو مبني بالآجر ، ويستدل من آثاره على أنه قصرا واسعا أما حصن القادسية الذي يقع غربي أبنية المعتصم فالأرجح أن المعتصم استعمل ساحته لنصب الخيم ، ولعل الأبنية الطينية التي داخل الحصن أنشئت من قبله في ذلك الوقت أيضا لسكني قواد الجيش وعوائلهم(431) .

(430) الفِهْرُ الحجر قَدْرَ ما يُدَقُّ به الجَوْزُ ونحوه ، أُنْثى ؛ قال الليث : عامة العرب تؤنث الفِهْرَ ، وتصغيرها فُهَيْر . وقال الفراء : الفِهْرُ يذكر ويؤنث ، وقيل : هو حجر يملأ الكف ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج2 ، ص 134

(431) اليعقوبي البلدان، ج1 ، ص 159، العميد، العمارة العباسية في سامراء ،ص 127 ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منشآت المعتصم على القاطول و " أطلال الإصطبلات "

نستخلص مما تقدم إن حدود مدينة المعتصم لم تتعد حدود الضفة اليمنى لمجرى القائم لان المنطقة الشمالية التي على الضفة اليسرى لمجرى القائم ، أي منطقة "المشرحات" التي بني فيها الرشيد قصره منطقة واسعة جدا وفيها من الأراضي السهلة الخالية من الحصى ما يحقق التوسع المطلوب فيما لو رغب المعتصم أن يبتعد عن نهر دجلة ويتجه نحو تلك المنطقة ، وعلى هذا فإننا نعتقد أن المعتصم كان قد رسم في ذهنه خطة ترمي إلى بناء مدينته الجديدة على نهر دجلة وجعل التوسع على طول مجرى النهر على أن يستفاد من ضفتيه في هذا التوسع عند الضرورة ، وهي الخطة التي اتبعها بعد ذلك في تخطيط مدينة سامراء ، الأمر الذي يحملنا على الاعتقاد بأن بقايا أبنية "الإصطبلات" الواقعة أمام مدينة المعتصم والتي تمتد على طول الجانب الأيمن من دجلة هي من بقايا أبنية المعتصم ، وهي الثكنات التي بناها لجنوده والإصطبلات التي أنشأها لخيله ، وهناك ما يدل على أن هذه الثكنات بقيت مشغولة من قبل الجيش العباسي بعد انتقال المعتصم إلى سامراء ولعلها استعملت في عهد الخلفاء الذين قدموا من بعده أيضا ، أما العامل الذي حمله على بناء هذه الثكنات في الجانب الغربي من دجلة فهو نفس العامل الذي حمله بعد ذلك على عزل سكن الجيش عن سكن أهل المدينة في سامراء ، ولا يخفى أن هذا العامل هو العامل الأساسي الذي حمله على ترك مدينة بغداد و إنشاء مدينة جديدة ، بحيث يتسع له المجال فيها لفصل سكن الجيش عن الآهلين و عزل أقسام الجيش حسب عناصرهم الواحد عن الآخر ولا شك في أن المعتصم كان ينوي إقامة جسر هناك كما فعل بعد ذلك في سامراء(432) .

(432) العميد،العمارة العباسية في سامراء،ص 131 ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نظام الكهاريز في سامراء وقناة المتوكل

ويختلف نظام الكهاريز الذي كان متبعا في منطقة سامراء عن نظام الكهاريز الاعتيادي الذي تقدم وصفه في كون المصدر الذي كانت كهاريز سامراء تستقي منه المياه هو نهر دجلة وليس المياه الجوفية "العيون والينابيع" ، لذلك نجد أن الكهاريز المذكورة أقرب إلى الجداول منها إلى الكهاريز ، من حيث اختلاف مناسيب المياه في النهر الذي يستمد من الكهريز إيراده المائي في مختلف المواسم ، ومن حيث توفر الطمي والدهلة في موسم الفيضان ، وعلى هذا الأساس أنشأ قناته على شكل كهريزين أحدهما ، وهو الكهريز الأسفل يستعمل في موسم الفيضان عندما تكون المياه مرتفعة ومشحونة بالطمي و الأطيان الغرينية ، والآخر ، وهو الأعلى يستعمل في موسم الصيد حين يهبط منسوب المياه في النهر ، والتخلص من المياه الزائدة في موسم الفيضان بغية المحافظة على الكهريز الشتوي من الانهدام من جهة ، والوقاية ضد أخطار الغرق من الجهة الثانية ، أنشأ مصارف خاصة لهذا الغرض ، فان القسم الأعلى من الكهريز الذي كان يمر بموازاة القاطول الأعلى الكسروي كان يصرف المياه الزائدة في الضفة اليسرى من القاطول المذكور ، أما في القسم الجنوبي ، أي بعد أن يعبر الكهريز مجرى القاطول فان المياه الزائدة تصرف في الضفة اليسرى لنهر دجلة ، وللتخلص من الأطيان والدهلة أنشأ المتوكل أحواضا واسعة على نمط جدول كبير مكشوف بين مسافات معينة على طول الكهريز الشتوي بغية الحصر ترسب الدهلة فيها حيث يسهل رفعها من القصر إلى سطح الأرض ، وتعرف هذه الأحواض بصيادات الطمي ، أما في سامراء فيسمونها اليوم باسم "دحادير" مفردها دحدورة ، أي حفائر التي تنحدر اليها المياه ويمكن مشاهدة هذه الأحواض على طول القناة الشتوية وان الأتربة التي على أطرافها المتكونة من الحفريات الأصلية ومن تطهيرات الدهلة تؤلف تلولا عالية جدا مما يدل على كثرة الترسبات التي كانت ترفع منها بعد كل موسم من مواسم الفيضان(433).

(433) سوسة ، ري ، ج2 ، ص 89 ، العميد،العمارة العباسية في سامراء ،ص 92 ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتضح مما تقدم أن الطريقة التي اتبعت في أنشاء قناة المتوكل هي الطريقة المزدوجة، حيث اتبعت الطريقتان – طريقة الري المكشوف وطريقة الري الخفي- في إنجازها، على أن ذلك لا ينفي كون القناة أشبه بالجداول المكشوفة منها بالكهاريز الخفية على الرغم من أنها اعتبرت من المنشئات الجوفية وسميت بالقناة.

وتوجد هناك قناة قديمة من نوع قناة المتوكل في منطقة سامراء ذاتها إلا أنها تعود على ما نعتقد إلى عهد قديم جدا ولعلها ترجع إلى ما قبل عهد الفرس ، وهذه كانت تتفرع من نهر دجلة أيضا في نقطة تقع قرب "الفتحة" على بعد حوالي مائة كيلو متر من شمالي سامراء ، فتسير شرقي دجلة إلى مسافة طويلة على شكل كهريز حتى اذا ما اجتازت الأراضي المرتفعة ووصلت أمام قرية تكريت ظهرت على شكل جدول مكشوف قليلا ، ثم تعود فتجري على شكل كهريز تحت الأرض إلى مسافة طويلة في تلك المنطقة حتى تنتهي إلى تلك الأراضي السهلية المجاورة إلى الملح في الحد الغربي من بحيرة الشارع ، ويمكن تتبع آثار هذه القناة إلى مسافة طويلة على الرغم من أنها تختفي في كثير أقسامها وهذا ما يؤيد بأنها من أقدم الكهاريز التي أنشئت في هذه المنطقة .

ولا شك في أن مشروع قناة المتوكل يعد من أعظم مشاريع الري ، التي أنشئت على عهد العباسيين في منطقة سامراء ، أن لم يكن أعظمها ، ويكفي أن نشاهد سعة القناة وهي تمر في الأقسام التي تظهر به على سطح الأرض على شكل جدول مكشوف ليتسنى لنا أن نتصور جسامة هذا المشروع ، فان الجدول الذي يظهر على سطح الأرض الشمالي "الدور" وهو جزء من الكهريز الشتوي ، لا يقل حجمه عن حجم النهروان نفسه ، كما أن المصرف الذي يصرف مياه الفيضان من القناة إلى دجلة قرب " سور أشناس" لا يقل حجما عن حجم أي جدول واسع أما طول القناة التي تمتد به على شكلها المزدوج فيبلغ حوالي خمسين كيلو مترا (434).

(434) سوسة ، ري سامراء ، ج2، ص 114

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وصف قناة المتوكل بالاعتماد على دراسة أحمد سوسة

تبدأ قناة المتوكل على شكل كهريزين يتفرعان من الجانب الشرقي لنهر دجلة في نقطة تقع على بعد نحو أربعين كيلو مترا من شمالي سامراء ، ويسير هذان الكهريزان مسافة بضعة كيلو مترات موازيين إلى نهر دجلة ، ثم يظهر الكهريز الشتوي على شكل جدول واسع مكشوف مسافة كيلو مترين تقريبا حتى اذا ما اقترب من "الدور" عاد فاختفى واستمر في مجراه على شكل كهريز إلى جانب الكهريز الصيفي ، ويخترق الكهريزان بعد ذلك "قرية الدور" ثم يسيران جنوبا بموازاة ضفة القاطول الكسروي الشرقية جنوبا حتى اذا ما بلغا مسافة نحو عشرين كيلو مترا من جنوبي "الدور" ظهرا على سطح الأرض على شكل جدولين مكشوفين ، فيسيران على هذا الشكل بضعة كيلو مترات ثم ينعطفان إلى الغرب فيتحدان عند الكيلو متر"22" من القاطول الكسروي ، في نقطة تقع أمام سور أشناس من الشرق ويعبران في المكان المعروف ب"فكة مرير" أو "المفك" من فوق القاطول على عبارة موحدة تنتهي إلى حوض واسع على ضفة القاطول الغربية ، وفي هذا الحوض شعبة تقاسيم مهمة تبدأ منها تفرعات كثيرة أهمها القناة الرئيسية التي توصل المياه إلى سامراء وهذه تسير على شكل كهريزين أيضا حتى تنتهي إلى سامراء ويتفرع من هذا الحوض أيضا مصرف واسع يبلغ عرضه حوالي 20 مترا يعرف باسم نهر "مرير" فيصرف مياه القناة الزائدة إلى دجلة في موسم الفيضان ويسير هذا المصرف باتجاه الغرب فيترك " سور أشناس" إلى يمينه ثم ينتهي إلى نهر دجلة ، أما طول المصرف بين حوض التقسيم ودجلة فيبلغ حوالي ثلاثة كيلو مترات بين صدره عند حوض التقسيم و "سور أشناس" ويبلغ منسوب قعره في الصدر أي عند حوض التقسيم ، (60 و 71) مترا فوق سطح البحر ثم يهبط في نهايته عند سور أشناس إلى (68 و 70) مترا ويستدل من الآثار المتقدمة على أنه كان على صدر هذا المصرف ناظم تنظم بموجبه كمية المياه التي تصرف إلى دجلة حسب مقتضى الظروف ويظهر مما ورد في وصف البحتري أن المصرف المذكور كان يعرف ب "الخندق" (435).

(435) العميد،العمارة العباسية ،ص 117 ، سوسة ، ري سامراء ج2، ص122

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والاعتقاد السائد أن المصرف "مرير" هذا صدر من صدور النهروان أي أنه يتفرع من نهر دجلة ويصب في القاطول الكسروي ، في حين أن المناسيب تثبت لنا بأنه ينحدر من القاطول نحو دجلة بانحدار 1 في 3000 كما يتضح من المناسيب المذكورة ، ولعل السبب الذي أدى إلى هذا الاستنتاج هو أن المصرف يبلغ من السعة في الحجم والارتفاع في الضفاف ما يضاهي بهما جدول النهروان نفسه ، وفضلا عن ذلك أن صلة هذا المصرف بقناة المتوكل لم تخطر على البال ، والغريب أن الخرائط الإنكليزية سمت هذا المصرف "نهر حلوة" وقد نقلت خرائطنا العربية هذه التسمية أيضا في حين أنه لا يوجد مثل هذا الاسم في كل هذه المنطقة وتدل المستويات التي رصدناها في هذا المكان على أن منسوب قعر مجرى القاطول الكسروي في المكان الذي تعبر من فوقه عبارة القناة يبلغ(18 و 68) مترا فوق سطح البحر كما نستخلص من مناسيب قعر القناة في القسم الذي تظهر فيه على شكل جدولين مكشوفين قبل اجتيازها العبارة أن منسوب قعر العبارة التي كانت تعبر عليه القناة من فوق القاطول يبلغ حوالي (50 و 71 مترا إلى 72 مترا) فوق سطح البحر أي أن منسوب قعر العبارة كان أعلى من منسوب قعر القاطول بحوالي(50 و 3 و 4 أمتار) .

أما القناة التي كانت تتفرع من الحوض وتتجه نحو سامراء فكانت تمون مسجد الملوية بالمياه كما أنها كانت تمون حلبة السباق أو ساحة الفروسية في منطقة الحير بالمياه عن طريق الخندق الذي يحيط ب "تل العليق" وهو التل الاصطناعي المرتفع الواقع الشمالي سامراء والذي كان يشرف على الحلبة، وأخيرا كانت القناة تمون بركتي قصر الخليفة بالمياه أيضا، ولتحقيق هذه الأهداف شقت كهاريز فرعية من القناة الأصلية تتصل بكل من هذه الأماكن لإيصال المياه اليها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما الكهريز الفرعي الذي ينتمي إلى "تل العليق" فيتشعب من شرقي القناة الرئيسية في نقطة تقع على مسافة نحو ثلاثة كيلو مترات من جنوبي حوض التقسيم ويتجه إلى الجهة الجنوبية الشرقية حيي ينتهي إلى الجهة الشمالية الغربية من الخندق الذي يحيط ب " تل العليق" وهو التل الذي يقع في الجهة الشمالية من جامع الملوية والجبهة الشمالية الشرقية من بيت الخليفة ويشاهد كهريز فرعي آخر يخرج من الخندق الذي يحيط بالتل في الجهة الجنوبية الغربية منه فيسير باتجاه الجنوب الغربي حتى ينتهي إلى القناة الرئيسية ويظهر أن هذا الكهريز كان يعيد المياه الزائدة التي تتجمع في الخندق إلى القناة الرئيسية .

امتداد قناة المتوكل إلى الجنوب

والظاهر أن قناة المتوكل لم تقف عند حد قصر الخليفة لأن آثارها تدل على أنها كانت تسير نحو سامراء فتمون المسجد الجامع الكبير الذي يقع شرقيها، ومن ثم تمتد بكهريزيها المزدوجين إلى "المطيرة" جنوبا ومنها إلى جهة مجرى القائم إلى مسافة غير قليلة بموازاة الضفة اليسرى من ذلك المجرى.

ولا تزال الكهاريز التي كانت تمر من مدينة سامراء عامرة معظمها يقع تحت بيوت سامراء الحالية، ويستعمل أهالي سامراء بعض هذه الكهاريز لصرف مياه الأمطار فيها أو صرف بعض المياه القذرة في بعض الحالات.

ولعل القصد من تمديد القناة الأخير إيصال المياه إلى حير الحيوانات الذي اعتزم المتوكل إنشاءه بين القاطول الأعلى الكسروي ومجرى القائم ثم عدل عن ذلك بعد أن اتضح له إمكان إحياء نهر القادسية القديم الذي يتفرع من القاطول الأعلى الكسروي وإيصال المياه إلى هذه المنطقة سيحا، وهو النهر الذي قام بإحيائه فعلا فسمي " نهر نيزك".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النهر الجعفري

لا يسمع المرء ، وهو يستعرض ما قام به المتوكل من أعمال عمرانية في سامراء ، إلا أن ينتهي إلى أن المتوكل كان أكثر الخلفاء الذين أقاموا في سامراء طموحا ، من حيث الرغبة في إنجاز المشروعات الكبرى في العاصمة الجديدة ، ولا سيما مشروعات الري التي هي عماد توسع عمراني فما كان يكاد ينتهي من مشروع إلا ليبدأ بمشروع آخر ، وهكذا نجده مدة حكمه مجدا في طلب المزيد من هذه الناحية ، مواظبا في السعي على تحقيق فكرته الرامية إلى إنشاء أجمل وأعظم عاصمة في عالم ذلك الوقت مهما بلغت الكلفة أو تضخمت النفقات ، لذلك فان المشاريع التي أقامها أسلافه في سر من رأى لم تحقق رغباته المرتسمة في مخيلته وهي إنشاء مدينة جديدة يخترقها نهر واسع تنطلق منه المياه سيحا فتروي الحدائق الواسعة والمنتزهات الفسيحة وسواقي الأشجار على طول الشوارع ، و تمون برك قصوره المياه اللازمة فيستطيع أن يوجد جهوده ويجمع كل عمرانه في مكان واحد فلا يحتاج إلى أن يقطع المسافة الطويلة بين "سر من رأى" ومنطقة القاطول لقضاء أوقات أنسه وطربه وهي المنطقة الواقعة جنوبي سامراء حيث يتفرع مجرى النهروان الأسفل من نهر دجلة(436).

وقد ارتأى المتوكل أن يتجه شمالا ليحقق هناك خططه التي رسمها في مخيلته حيث تساعد مناسيب دجلة المرتفعة على مد النهر المطلوب إلى المدينة الجديدة ، ونستطيع أن نتصور مبلغ سروره حين أكتشف آثاره نهر قديم في تلك المنطقة يتفرع من نهر دجلة في نقطة تقع على مسافة حوالي تسعين كيلو مترا من شمالي سامراء وينتهي عند صدر القاطول الأعلى الكسروي جنوبي الدور ، فقرر في الحال إعادة إحيائه وإنشاء مدينة جديدة في منطقة الماحوزة الكائنة على بعد حوالي عشرين كيلو مترا من شمالي سامراء الحالية ، ولا سيما بعد أن أكد الخبراء أن النهر المذكور يضمن إيصال المياه إلى هذا الموضع سيحا ،

(436) العميد، العمارة العباسية في سامراء، ص 122 ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويحدثنا التاريخ كيف استجمع المتوكل كل نشاطه وهمته لتحقيق إنشاء هذه المدينة ونهرها في أقرب وقت ممكن حتى استطاع أن يتمها خلال مدة تقل عن السنتين وسماها باسمه "المتوكلية" كما سمي النهر باسمه أيضا أي "النهر الجعفري" ، ولكن المدينة ومعها النهر كانتا نذير شؤم عليه حيث لم يمض على انتقاله إليها بضعة أشهر حتى قتل فيها فهجرت بعد مقتله.

وفي الوقت الذي كان العمل على إنشاء المدينة جاريا على قدم وساق ، كان العمل على حفر النهر الذي اعتزم المتوكل على حفره لإيصال المياه به إلى مدينته الجديدة جاريا أيضا بنفس السرعة والاهتمام ، فيروي لنا الطبري أن المتوكل عهد أمر "النفقة عليه إلى دليل بن يعقوب النصراني كاتب بغا بعد أن شرع بالعمل في شهر ذي الحجة من سنة245هـ ، وألقي في حفر النهر اثني عشر ألف رجل يعملون" ويقول اليعقوبي أن كلفة المشروع قدرت بمليون ونصف مليون دينار ، وعلى الرغم من أن جسامة هذا المبلغ "طاب المتوكل نفسا بذلك ورضي به ، وابتدأ الحفر وأنفقت الأموال الجليلة على ذلك النهر"(437).

وقد لعب مشروع النهر دورا خطيرا في هجران المدينة، مثل دوره في نشوء فكرة الانتقال إليها وذلك بسبب فشل هذا المشروع وعجزه عن تأمين إيصال المياه إليها في موسم الصيف كما سنرى.

ونستدل مما كتبه المؤرخون أن النهر سمي باسم المتوكل "أي النهر الجعفري"(438) ، ويرجع أن فشل المشروع كان من جملة الأسباب التي لم تشجع على تخليد اسم النهر وترديد ذكره فظل مجهولا بين الناس، ومما يلفت النظر أن البحتري الذي رافق المتوكل طيلة مدة حكمه ووصف الكثير من مشروعاته، ومن جملتها مشروع إنشاء مدينة المتوكلية نفسها، لم يتطرق إلى ذكر النهر الجعفري، مع انه كان لهذا النهر علاقة مباشرة بالمتوكلية التي وصفها في إشعاره، ولعله كان متقصدا في تحاشي ذكره للسبب الذي ألمعنا إليه نفسه.

(437) العميد، العمارة العباسية ،ص 137 ،

(438) ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ج1 ، ص 207،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد بقي أمر هذا النهر مجهولا فلم يتصل أحد إلى تعيين آثاره وصلت إلى مخططات أثناء قيامي بدراسة مشاريع الري القديمة في سامراء، فاكتشفت أن النهر المعروف اليوم باسم "نهر نايفة" الواقع في تلك المنطقة والذي يتفرع من نهر دجلة في نقطة تقع شمالي مدينة المتوكلية حوالي ستين كيلومترا، ذلك النهر الذي أجمع كل من كتب عن هذه المنطقة من أثريين ومهندسين ومؤرخين أنه صدر من صدور النهروان العليا، ما هو إلا جدول له أية علاقة بالنهروان إلا بشيء واحد وهو أن ذنائبه تعبر من فوق مجرى القاطول العلى الكسروي(439).

منشأ النهر وتاريخه وأهدافه

وقد يكون من المفيد قبل أن نبحث في النهر الذي حفره المتوكل أن نتتبع منشأ المشروع وتاريخه القديم الذي يرجع إلى ما قبل عهد المتوكل ، ولكي يتسنى لنا أن نقف على ذلك علينا أن نستدل أولا إلى الروايات التاريخية ، ثم إلى الآثار والأطلال المتبقية والمناسيب وغير ذلك من المعلومات التي تطلعنا إلى حقيقة الوضع ، ومن الروايات التاريخية التي تؤيد رجوع المشروع إلى ما قبل عهد العرب ما كتبه اليعقوبي في هذا الصدد حيث قال: " وعزم المتوكل أن يبني مدينة ينتقل إليها وتنسب إليه ويكون له بها الذكر فأمر محمد بن موسى المنجم (440)ومن يحضر بابه من المهندسين أن يختاروا موضعا فوقع اختيارهم على موضع يقال له الماحوزة وقيل له أن المعتصم أراد أن يبني مدينة في الموضع الذي يقال له الماحوزة ويحفر نهرا قد كان في الدهر القديم فاعتزم على ذلك وابتدأ النظر فيه في سنة خمس وأربعين ومائتين ووجه في حفر ذلك النهر ليكون وسط المدينة"441 .

(439) جهد الباحث ، زيارة مدينة سامراء ، و الاطلاع على أثارها من خلال كلية الآثار في جامعة سامراء ، تاريخ 5-5- 2017 م .

(440) مُحَمّد بن موسى المنجم أحد خاصة المتوكل، قدم معه دمشق فيما قرأته بخط عبد الله بن [محمد] " الخطابي وكان قدمته إياها سنة ثلاث وأربعين ومائتين. ذكر أبو الحسن مُحَمَّد بن أخمد بن القواس الوراق قال: مات مُحَمَّد بن موسى المنجم بسرّ من رأى ، ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج 56 ، ص 82 .

441 اليعقوبي البلدان،ج1 ، ص 213

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلى هذا نجد أن هناك تسميات مختلفة أطلقت على مختلف أقسام النهر ولا تزال تعرف هذه الأقسام بهذه التسميات، كتسمية "النهر العتيق" للقسم الأعلى للنهر مثلا هذه وتسمية "الحفر" أي الحفر الجديد للقسم الآخر، أما التسمية العامة التي يعرف بها النهر اليوم فهي "نهر نايفة".

وبالنظر لما تقدم فإننا نميل إلى الاعتقاد بأن منشأ النهر يرجع إلى عهد الفرس أو إلى ما قبل ذلك، أي إلى زمن الكلدانيين أو الآشوريين، ثم جاء المتوكل فأعاد حفره .

والفرق الذي نلاحظه بين النهر القديم وبين جدول المتوكل ينحصر في الغاية التي أنشئ كل منهما من أجلها ، فان الغاية الأساسية التي كان يستهدف النهر القديم أرواء مساحة كبيرة من المزارع وهذه هي الأراضي السهلة الواقعة على ضفته اليسرى بين "بحيرة الشارع" و "نهر دجلة" أي المنطقة الواسعة المعروفة ب"حويجة سامراء" والأراضي الزراعية الواقعة على ضفته اليمنى ، بينه وبين نهر دجلة ، على حين أن الغاية من إنشاء جدول المتوكل الذي اتبع نفس اتجاه النهر القديم هي إيصال المياه إلى مدينة المتوكل سيحا بأي ثمن كان وبغض النظر عن مساحة الأراضي الزراعية التي يمكن إرواءها من الجدول وهذا إذا اختلف الاثنان في المرمى الذي يحققانه فأنهما يتفقان في طريقة تصميم الجدول وذلك من حيث سحب المياه من نهر دجلة إلى صدر الجدول ، ففي كلا العهدين(العهد القديم وعهد المتوكل) ، كان الجدول قد صمم على أساس سحب المياه من النهر من دون قناطر أو سد على نهر دجلة لرفع مناسيب المياه من النهر في موسم الصيد ، والذي كان يساعد على ذلك هو أن صدر الجدول يقع على مسافة بعيدة من شمالي حدود الدلتا ، وبذا كان يسحب المياه من أعالي النهر حيث تكون المناسيب مرتفعة ، ويكون النهر في تلك الأقسام أكثر ثباتا من حيث تطور المناسيب ومن حيث تحول المجرى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولما قام الملك بتقسيم ملكه إلى ابنتيه وقعت حصة الأميرة نايفة في القسم الجنوبي الذي يبدأ في جبل حمرين ويمتد إلى الجنوب، أما الأميرة فاخرة فكانت حصتها في شمالي جبل حمرين، وتقول هذه الروايات أيضا أن أطلال هطرة كانت مدينة الملك هطرون كما كان التل المعروف ب "تل مهيجير "التي يقع على الضفة اليمنى لنهر دجلة أمام قصر الجعفري مكان قصر أخيه هجرون(442) .

تخطيط مشروع النهر:

يتفرع النهر الجعفري من الضفة اليسرى لنهر دجلة في نقطة تقع على بعد خمسة كيلو مترات تقريبا من جنوبي قرية "بيجي" وحوالي 38 كيلو مترا من شمالي تكريت و 63 كيلو مترا من شمالي صدر القاطول الكسروي الذي يتفرع من نهر دجلة عند الدور ، وذلك من منتهى سفوح سلسلة جبل حمرين التي تقطع مجرى دجلة بالقرب من بيجي فتؤلف هناك مضيق الفتحة المعروف ويسير الجدول من الشمال إلى الجنوب محاذيا الضفة اليسرى لنهر دجلة من جهة الغرب ، موازيا المنطقة الجبلية المرتفعة من جهة الشرق ، وبعد أن يقطع مسافة عشرين كيلو مترا تقريبا في هذا الاتجاه ، ينحرف إلى الشرق قليلا فيحاذي سفوح المنطقة المرتفعة ، مبتعدا عن نهر دجلة إلى مسافات تتراوح من خمسة كيلو مترات إلى ستة فيكون أمام تكريت عند الكيلو متر (37) من الصدر ومقابل الدور (دور تكريت) عند الكيلو متر (54,5) من الصدر وبعد أن يجتاز النهر الدور ويسير إلى مسافة كيلو متر ونصف كيلو متر في جنوبيها يصل إلى تل اصطناعي مرتفع الصدور الأصلية للجدول في وسط مجرى دجلة فلم تترك لها أي أثر ، هذا بدليل أن مجرى الصدر الأخير من الجنوب يسير مسافة خمسين مترا فقط ثم يتصل بمجرى الصدر الثالث الذي يتقدمه شمالا ، الأمر الذي يحمل على الاعتقاد بأن المجرى هذا كان يمتد غربا إلى مسافة أخرى لا تقل عن مائتي متر ، وهذه المسافة أصبحت في وسط نهر دجلة بعد أن تحول مجراه من جهة الغرب إلى الجهة الشرقية(443).

(442) سوسة، ري ،ص 319.

(443) سوسة ، ري سامراء ، ج2 ، ص 311

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والظاهر أن أحدث هذه الصدور هو الصدر الثالث من الجنوب ، وهو صدر المجرى الذي حفره المتوكل ، ويبلغ عرض قعر هذا المجرى حوالي(25مترا) ، ومعدل ارتفاع ضفافه زهاء أربعة أمتار ، أما الصدران الآخران اللذان يتقدمان مجرى المتوكل هذا إلى الشمال فيسير مجرياهما بموازاة مجرى المتوكل وأن أطوالهما هو بموازاة مجرى المتوكل ثم ينتهي عنده ، ويمتد المجرى الثاني مسافة نصف كيلو متر تقريبا وذلك بين مجرى المتوكل (المجرى الثالث) والمجرى الأول من الشمال ثم ينتهي عند المجرى الأول ، ويبلغ منسوب قعر الصدر الثاني هذا (108,22 مترا) ، وأما المجرى الرابع الأخير فقصير جدا والأرجح أنه كان صدرا ثانيا لمجرى المتوكل يستعمل في موسم الفيضان ، ويبدأ هذا المجرى بمنسوب (109,10 مترا) ، وبعد أن يسير مسافة خمسين مترا بموازاة مجرى المتوكل من جهة الغرب ينتهي عنده.(444)

ويبلغ منسوب قعر صدر جدول المتوكل (الصدر الثالث)(105,56 مترا) فوق سطح البحر ، وبذلك يكون أوطأ الصدور الأخرى ولما كان معدل منسوب المياه في نهر دجلة أمام هذا الصدر يبلغ في الوقت الحاضر حوالي(104,5 مترا) في موسم الفيضان وزهاء(100 متر) في موسم الصيد ، فان قعر صدر الجدول يكون أعلى من معدل منسوب مياه فيضان النهر في موقع هذا الصدر حوالي نصف متر فقط وأعلى من معدل منسوب مياه الصيد في نهر دجلة في ذلك المكان زهاء خمسة أمتار ، وقد دلت نتائج دراستنا للمنطقة التي يقع فيها صدر الجدول أن مياه دجلة دخلت إلى النهر وسارت فيه إلى مسافة بضعة كيلومترات (445)، وذلك عندما سجلت مياه دجلة أعلى منسوب في شهر شباط من سنة 1941 حيث ارتفع منسوب مياه الفيضان أمام صدر مجرى المتوكل إلى حوالي 106 أمتار فوق سطح البحر (446).

(444) إن تعدد الفوهات في صدور الأنهر القديمة كان أمرا مألوفا لدى الأقدمين حيث كانوا يصممون جداولهم على أساس جعل فوهتين للجدول أحداهما تستعمل في الشتاء والآخر في الصيف كما كانوا يفتحون جداولهم دون أن ينشئوا نواظم بنائية في فوهاتها،ومع أنهم كانوا يكبدون مشقات كثيرة في ضبط فوهات جداولهم في الفيضان،إلا أنه كان لديهم مجال لتبديل مواقع فوهات الجداول بين حين وآخر كلما اندرست أحداهما وتراكمت فيها الأتربة والأحجار مما يحول دون دخول المياه إليها ، سوسة ، ري سامراء ،ج2 318.

(445) جهد الباحث ، زيارة مدينة سامراء ، و الاطلاع على أثارها من خلال كلية الآثار في جامعة سامراء ، تاريخ 5-5- 2017 م .

(446) سوسة ، ري سامراء ،ج2 ص 322

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما ارتفاع قعر صدر الجدول عن منسوب مياه نهر دجلة الحالي ، فترجع عوامله أولا إلى الهبوط القليل الذي حصل في مستوى مياه نهر دجلة في ذلك المكان وذلك بعد تحول مجرى دجلة في جنوبي سامراء حوالي أواخر القرن الثاني عشر الميلادي وهو التحول الذي أدى إلى هبوط منسوب مياه النهر هناك إلى ما لا يقل عن تسعة أمتار ، ثم إلى انطمار الصدد بالأتربة بعد اندراس الجدول ومما ذكره في هذا الصدد هو أن جدول المتوكل يقع على بعد حوالي 140 كيلومترا من شمالي الموقع الذي حصل فيه تحول مجرى دجلة ، و إذا كان قد هبط منسوب مياه دجلة في مكان التحول قرب "بلد" حوالي عشرة أمتار فتعتقد أن هبط الذي حصل أمام صدر جدول المتوكل بتأثير هذا التحول لم يتجاوز الثلاثة أمتار ، وبذلك قد يصح لنا أن نقول أن منسوب المياه الصيفي في نهر دجلة كان في الزمن الذي أنشئ فيه جدول المتوكل حوالي(103 أمتار) ، وعلى هذا الأساس يجوز لنا أن نقول أيضا أن قعر صدر جدول المتوكل في النقطة التي يتفرع فيها من نهر دجلة كان قد صمم بمنسوب حوالي (101 مترا) ، بدليل أن منسوب قعر الجدول الأصلي عند الكيلو متر(5,600) من الصدر يبلغ(99,80) مترا وهو منسوب أرضية الناظم المنشأ في ذلك المكان لصرف المياه الزائدة إلى دجلة ، هذا إذا اعتبرنا أن عمق الماء في الجدول في موسم صيد يبلغ حد المترين ، كل ذلك يدل على أن صدر جدول المتوكل كان فيه من التبسط ما يمكنه من سحب المياه في أوطأ مناسيب المياه الطبيعية في نهر دجلة دون لزوم إنشاء سد على (447) .

(447) سوسة ، ري سامراء ،ج2 ، ص 244

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

موقع صدر النهر كما في الطبري وياقوت:

ومما قاله الطبري بصدد موقع صدر النهر الجعفري أنه يتفرع من نقطة تقع على بعد خمسة فراسخ (أي حوالي 25 كيلو مترا) فوق الماحوزة (المتوكلية) في مكان يقال له (كرمى) و إن المتوكل أمر باستملاك هذا المكان ومعه القرى والأراضي المجاورة وذلك لتكون من ضمن أملاك الخليفة التابعة للنهر ، واليك ما كتبه في هذا الصدد قال : "وأمر (المتوكل) بحفر نهر يأخذ رأسه خمسة فراسخ فوق الماحوزة من موضع يقال له كرمى يكون شربا لما حولها من قوة النهر إليها وأمر بأخذ جبلتا والخصاصة العليا والسفلى و كرمى وحمل أهلها على بيع منازلهم فأجبروا على ذلك حتى تكون الأرض والمنازل في تلك القرى كلها له ويخرجهم عنها "(448).

ياقوت وابن عبد الحق كانا قريبين جدا من الواقع في تقديرهما لهذه المسافة حيث ذكرا أن فوهة النهر تقع على مسافة عشرة فراسخ من الجعفري (حوالي 50 كيلومترا)، وهذه قرية جدا من المسافة الحقيقية وقد أضافا إلى ذلك قولهما إن مكان فوهة النهر كان يعرف باسم" جبة دجلة". واليك ما كتبه ابن عبد الحق في مادة "الجعفري" قال: "الجعفري اسم قصر بناه المتوكل قرب سر من رأى بموضع يسمى الماحوزة واستحدث عنده مدينة وانتقل إليها واقطع قواده بها قطائع فصارت أكبر من سر من رأى وشق إليها نهرا من دجلة على عشرة فراسخ يعرف بجبة دجلة ".

(448) الطبري ، تاريخ ، ج 9، ص 143.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فرع الحديد وأهدافه:

ويشاهد على الضفة اليسرى للنهر الجعفري فرع كبير في نقطة تقع على بعد (39/750) كيلومترا من الصدر يسمى "نهر الحديد" ، فيمتد هذا الفرع في الاتجاه الجنوبي الشرقي على خط مستقيم ، وبعد أن يقطع حوالي واحد وعشرين كيلومترا في هذا الاتجاه ينحرف بزاوية قائمة فيسير غربا على خط مستقيم أيضا(449) ، وبعد أن يقطع مسافة أحد عشر كيلومترا تقريبا في الاتجاه الأخير ينتهي في الضفة اليسرى لنهر القاطول الكسروي في نقطة تقع أمام "جامع أبي دلف" الذي في الجانب الأيمن لنهر القاطول ، وذلك عن بداية السور الخارجي لمدينة المتوكلية الذي يمتد بين نهر القاطول ودجلة جنوبي المتوكلية(450).

ويكون هذا الفرع شبه مثلث قائم الزاوية شرقي النهر الجعفري تبلغ مساحته حوالي مائة كيلومتر مربع (40,000) مشارة، ولا شك في أن وراء تهيئة مثل هذه الساحة وإحاطتها بمياه النهر من كل أطرافها مشروع جسيم كان ينوي المتوكل إنشاءه فيها، والأرجح أن المتوكل كان ينوي إنشاء حلبة سباق فيها على أن يكون "تل البنات" الموقع المرتفع الذي يشرف منه عليها.

ويلاحظ أن الفرع المذكور هو أشبه بالسور منه إلى النهر سيما إذا ما لاحظنا الزاوية القائمة التي يشكلها في انحرافه وهي طريقة غير مألوفة في إنشاء الأنهر، لذلك فقد اعتبرته أكثر الخرائط سورا أو جدارا.

وتشاهد على الضفة الشرقية للقاطول الكسروي عند نهاية الفرع المذكور آثار بنايتين تبعد حوالي خمسين مترا من الضفة ويخترقها "فرع الحديد" فيسير في وسطها قبل أن ينتهي إلى القاطول والثانية تقع على حافة القاطول تماما.

(449) سوسة ، ري سامراء ،ج2 ، ص 256

(450) اليعقوبي البلدان،ج1، ص 187، العميد، العمارة العباسية في سامراء، ص 211 ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونعتقد أن لهاتين البنايتين صلة بالسور الخارجي لمدينة المتوكلية وهو السور الواقع على الضفة اليمنى من القاطول حيث يبدأ هذا السور من أمام البنايتين المذكورتين ومن المحتمل أن "نهر الحديد" كان يعبر فوق القاطول في هذا المكان فيمون الخندق الذي يسير بموازاة السور شمالا بالمياه ثم ينتهي إلى دجلة عند نهاية السور، بدليل قعر الحديد يعلو عن قعر القاطول عند ملتقاه بالقاطول حوالي خمسة أمتار مما يدل على أنه كان هناك عبارة على القاطول في دجلة عند نهاية السور.

أما الغاية التي أنشئ من أجلها "فرع الحديد" فنميل إلى الاعتقاد بأن أهم ما كان يستهدفه هذا الفرع هو تموين حلبة السباق الذي كان ينوي المتوكل إنشاءها هناك بالمياه على إن يكون الفرع في الوقت نفسه حدا لساحة السباق من جهة الشرق ، ولعل تسمية الحديد التي يراد بها الإشارة إلى الحدود ترجع إن "تل البنات" يقع أمام الزاوية القائمة لمثلث الساحة تماما مما يدل على أنه أنشئ لغرض التفرج من فوقه على ساحة السباق التي كانت النية متجهة إلى جعلها على شكل مثلث أو مربع ، لذلك نجد أن أبعد مسافة على عرض الساحة التي بين النهر الجعفري وبين الزاوية التي على " فرع الحديد" حيث تبلغ هذه المسافة حوالي أحد عشر كيلو مترا .

وهناك آثار بنايتين على مجرى الحديد من المحتمل أنهما ناظمان قاطعان كان يراد بهما حجز المياه ورفع مستواه لتحويلها إلى الأراضي المجاورة، ذلك يدل على أنه كانت النية متجهة إلى إنشاء بساتين وحدائق في السهل المجاور إلى فرع نهر الحديد، أما موقعا البنايتين فأن الأولى تقع عند الكيلومتر (14/250) من صدر مجرى الحديد والثانية عند الكيلو مترا (75/750) من صدره.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويشاهد على الضفة اليمنى لنهر الجعفري فرع آخر يتفرع من أمام مأخذ فرع الحديد تماما فيمتد هذا الفرع غربا في حاويي البوعجيل حتى ينتهي إلى دجلة ، وتوجد آثار بناء في صدر هذا الفرع مما يدل على أنه كان هناك ناظم لضبط المياه التي تدخل إليه ، كما توجد آثار بناء مقابل هذا الناظم على الضفة اليسرى لمجرى نهر الجعفري يسمى مكانه "تل رحيات" ، ويقع هذا البناء في الزاوية التي في نقطة تفرع "نهر الحديد" ولعله كان قد أنشئ لتحقيق نفس الغاية التي كان يرمي إليها البناء الذي أنشئ في ذنائب فرع الحديد أمام بداية السور الخارجي لمدينة المتوكلية.

وهكذا فقد أصبحت مدينة المتوكلية ومشتملاتها – وهي المدينة التي كان يحلم بها المتوكل بإنشائها- محاطة بمياه وأسوار خارجية من كل أطرافها، فكان نهر دجلة يحاذيها من جهة الغرب، أما من الجهات الأخرى فان فرع حاوي البوعجيل الذي يأخذ المياه من الضفة الغربية لنهر الجعفري ويصب في دجلة، كان يؤلف الحد الشمالي بين دجلة والنهر الجعفري ثم يليه فرع الحديد الذي يبدأ من النهر الجعفري وينتهي إلى دجلة فيحد المدينة من الشرق والجنوب.

الفروع الأخرى للنهر

وكان هناك فروع أخرى تأخذ المياه من الضفة اليمنى للنهر الجعفري فتسقي الحويان (جمع حاوي وهو السهل الرسوبي على ضفة النهر) التي على الضفة الشرقية لنهر دجلة.(451)

ونميل إلى الاعتقاد بأن هذه الفروع فتحها زراع هذه المنطقة بعد أن هجر نهر المتوكل وصار يستغل في موسم الفيضان لإرواء أراضيهم الواطئة التي بين نهر دجلة والنهر الجعفري، واليك أسماء هذه الفروع بالتسلسل من الشمال إلى الجنوب:

(451) تمتد هذه الحويان من الشمال الى الجنوب على طول النهر الجعفري بينه وبين دجلة واسماؤهم الحالية بالتسلسل من الشمال الى الجنوب هي حاوي البو علي، حاوي الربيضة، حاوي سمرة، حاوي الخرجة، حاوي رأس السوق،حاوي تكريت. جهد الباحث ، من خلال البحث الميداني في ضواحي مدينة سامراء ، العراق ، 4-5-2017م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جدول رقم (1) فروع نهر الجعفري

اسم الفرع	مكان تفرغه من النهر الجعفري
نهر الربيضة	عند الكيلومتر 24,500 من الصدر
نهر سمرة	عند الكيلومتر 22,400 من الصدر
نهر الخرجة	عند الكيلومتر 30,500 من الصدر
نهر البوعجيل	عند الكيلومتر 39,750 من الصدر

التلول الأثرية على جانب النهر الجعفري :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويظهر أن أكثر القرى على النهر الجعفري كانت تقع على الضفة اليمنى، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى إن الأراضي التي على تلك الضفة بين النهر الجعفري ونهر دجلة منخفضة مما يساعد على إروائها سيحا من النهر الجعفري.

وقد حاولنا أن نتحرى أماكن القرى التي ذكرها الطبري والتي عين مواقعها قرب صدر النهر الجعفري وهي "جبلتا" و " الخصاصة العليا والسفلى" و "كرمى"(452) ولكن لم نعثر على أمكنة هناك تسمى بهذه الأسماء أو ما يقرب منها. وقد رأينا أن ندرج أسماء الأماكن الأثرية التي عثرنا عليها في دراستنا للمنطقة التي يمر منها النهر الجعفري معينين مواقعها بالنسبة إلى النهر وهذه الأماكن هي:

جدول رقم (2) التلال التي يمر منها نهر الجعفري

اسم التل	الضفة التي يقع عليها	موقع التل حسب بالنسبة إلى نهر الجعفري
تل هرو	الضفة اليمنى	الكيلومتر (6/500)
تل الربيضة	الضفة اليمنى	الكيلومتر (11/500)
تلال الرمامين	الضفة اليمنى	الكيلومتر (16/250)
تل خزامية	الضفة اليمنى	الكيلومتر (16/500)
تل الناعور	الضفة اليمنى	الكيلومتر (21/250)
تل علوشة	الضفة اليمنى	الكيل ومتر24/250)
تل السوق	الضفة اليمنى	الكيلومتر (31/250)
تل كنيسة	الضفة اليمنى	الكيلومتر (32/750)

(452) سوسة ، ري سامراء ،ج2 ،، ص 329 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تل رحيات الضفة اليسرى الكيلومتر (39/750)

تل هطرة الضفة اليمنى الكيلومتر (41/500)

تل البنات وسط النهر الكيلومتر (56/500)

حالة النهر وناظم مصرف الوشاش

أما حالة جدول المتوكل فهي جيدة على العموم وذلك عدا التخريبات التي أحدثتها السيول في القسم الأعلى من مجراه – وهي السيول المنحدرة من أعالي سلسلة جبل حمرين في جهة الشرق – حيث تقطع هذه السيول الجدول في عدة أماكن ثم تنصب في دجلة في الجانب الغربي للجدول ، وأول هذه الأدوية من الشمال هو "وادي بزيخة" الذي يقطع جدول المتوكل عند الكيلومتر(1/600) والكيلومتر(1/800) من صدره ، ثم يليه " وادي الوشاش" الذي يقطع الجدول عند الكيلومتر (5/600) و "وادي الطويل "عند الكيلو متر(13/500)و "وادي المويلح" عند الكيلو متر(18/500) "وادي المحتلة" عند الكيلو متر (23) و " وادي الشرجة" عند الكيلو متر (26/500) ، وكانت مياه هذه الأودية تنصب في الجدول من ضفته الشرقية ، أما المياه الزائدة التي تدخل إلى الجدول في موسم الفيضان فكانت هناك مصارف تتفرع من الضفة الغربية للجدول فتأخذها إلى نهر دجلة الذي يسير بموازاة الجدول في تلك الجهة. (453)

(453) سوسة ، ري سامراء ،ج2 ، ص 318

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتوجد في النقطة التي يتقاطع فيها الجدول مع وادي الوشاش آثار بناء قديم على الضفة اليمنى من الجدول يرجح لأنه كان ناظما في صدر المصرف الذي يصرف المياه الزائدة في الجدول إلى نهر دجلة، ويستدل من آثار البناء المتبقي أن أرضية الناظم مبنية من خرسانة الحصى والنورة والرماد بسمك 13 سنتمترا تقريبا، أما جناحا الناظم من الجهتين فمبنيان بالآجر بحجم (30*30*10 سنتيمترا)(454) .

ويبلغ القسم المتبقي من سمك بناء الجناح الأيسر للناظم حوالي 9,5 مترا ومن ارتفاع الجناح فوق الأرضية حوالي 1,10 أمتار، أما منسوب سطح الأرضية فيبلغ 99,80 مترا فوق سطح البحر والأرجح أن المنسوب المذكور كان منسوب قعر الجدول نفسه في هذا المكان.

ويلاحظ أن قسما من الضفة اليمنى للجدول قد جرفته مياه نهر دجلة مسافة نصف كيلومتر تقريبا وذلك بين الكيلومتر (800/-) والكيلو متر (1/350) من صدر الجدول ويظهر أن هذا الأكل حصل بسبب تحول مجرى دجلة إلى قرب الضفة الغربية للجدول، أما الآن فقد رجع النهر إلى مجراه القديم غرب(455)ا.

عبارة النهر الجعفري على القاطول الكسروي:

ولعل أهم ما كان من منشآت على النهر الجعفري العبارة التي أنشئت على القاطول عند قنطرة الرصاصي لعبور مجرى النهر من فوق القاطول فقد ذهب الكتاب والمؤرخون والمهندسون مذاهب شتى في أمر هذا البناء ، فمنهم من قال أنه قنطرة عبور ، ومنهم من تصور أنه ناظم أنشئ في صدر النهروان ، وهناك من ظنه سدا حاجزا لرفع مناسيب المياه في النهر(ومن بين الفريق الأخير السير ويليم ويلكوكس الذي لم يتح له دراسة هذا المشروع دراسة وافية) أما حقيقة الأمر فهي أن البناء كان بالأصل قنطرة عبور ثم حور في زمن المتوكل ليكون عبارة (aqueduel) يمرر فيها مياه النهر الجعفري من فوق مجرى القاطول ،

(454) العميد ، العمارة ، ص 93

(455) العميد ، العمارة ، ص 96

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أضاف إلى القنطرة الأصلية ما يلزم من بناء لتحقيق هذه الغاية ، ونبحث الآن في أمر هذا البناء من الناحية الفنية في ضوء المعلومات التي حصلنا عليها فيما يختص بتصميم القنطرة ومناسيبها ، ولنبحث أولا في البناء القديم الذي كان يحقق غرض العبور على مجرى القاطول في هذا الموضع ، وهو البناء الذي أنشئ في نفس الوقت الذي أنشئ فيه القاطول الكسروي على عهد . (456)

قنطرة العبور القديمة:

قلنا بمناسبة ذكر القاطول الكسروي أن القاطول المذكور يسمى نهر الرصاصي أيضا، أما منشأ هذه التسمية الأخيرة فيرجع على الأرجح إلى استعمال الرصاص في بناء هذه القنطرة التي سميت باسم "قنطرة الرصاصي" للسبب نفسه.

أما كيفية استعمال الرصاص في البناء فأمر اختلف فيه العلماء والمؤرخون، فمنهم من قال إن الرصاص استعمل ليحل محل مونه النورة أو مونه الخرسانة في الفجوات التي بين صفوف الآجر أو الحجر وذلك بعد تذويب الرصاص على النار، ومنهم من تصور أن هناك قيودا حديدية كانت تربط الأحجار بعضها ببعض ثم يصب الرصاص بينها، ويلاحظ إن المؤرخون والكتاب الإفرنج نقوا الواحد عن الآخر هذه الآراء على الرغم من بعدها عن الحقيقة كل البعد.

أما حقيقة الأمر فهي أن القنطرة الأصلية التي أنشئت على عهد كسرى أنوشروان بنيت بالأحجار النارية السوداء المعروفة بالأحجار البركانية وهذه ولا شك نقلت من أماكن جبلية والأرجح جبال إيران ، ومن خواص هذا النوع من الحجر الثقل في الوزن والمقاومة في الماء ، والظاهر أن قطعا كبيرة من هذه الأحجار نحتت على شكل مستطيل ولبست الواحدة بالأخرى وذلك بقلع نصف سمك الجانبين من كل قطعة لبعد معين ، أي بقلع نصف سمك القسم الأعلى من الجانب الواحد ونصف سمك القسم الأسفل من الجانب الآخر ، وتلبيس الحجارة الواحدة بالأخرى من كل جانب ،

(456) سوسة ، ري سامراء ،ج2 ، ص 256

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ثقب كل جانب في وسط القسم الذي قلع نصف سمكه ، وبعد تلبيس الحجر الواحدة بالأخرى ملئت الثقوب الراكبة الواحد على الآخر بالرصاص بحيث ربط الجانب الأعلى من كل قطعة بالجانب الأسفل من القطعة الأخرى متعذرا ، وكذلك ثقبت كل حجارة من وسطها ليتصل الثقب الوسطي بالثقوب التي فوقه وتحته وهكذا حتى تم البناء كله على هذا الشكل ، هذا مع العلم بأن هذا الترتيب كان مضافا إلى استعمال المونة الاعتيادية بين الأحجار (457).

والرصاص خاصية لا توجد في بقية المعادن فهو ثقيل لا يعتريه الصدأ ويمتاز بخصائص القوة الضاغطة وقد استعمله الأقدمون في منشآت الري منذ أقدم الأزمنة، فقد ذكر هيرودوتس وديودورس الصقلي أن سمير أميس لما قامت بإنشاء جسر ثابت على نهر الفرات في بابل مكنته بالحديد والرصاص، ذلك يدل على أن طريقة استعمال الرصاص في مثل هذه المنشآت ترجع إلى عهود قديمة جدا وأن الفرس اقتبسوها من أسلافهم القدماء (458).

أما الرصاص الذي استعمل في بناء القنطرة التي نحن بصددها فلم يبق له أي أثر حيث حفر الأهلون الأنقاض إلى حد الأساسات وكسروا قطع الأحجار لاستخراج الرصاص واستعماله أو بيعة، لذلك ل نجد من الحجر الناري إلا قطعا صغيرة من بقايا القطع الأصلية التي كسرها الأهلون لاستخراج الرصاص من جوف ثقوبها، الأمر الذي جعل الوقوف على حجم الثقوب الأصلية متعذرا والأرجح أن الثقوب كانت واسعة حيث أن الغاية من إنشائها إملاؤها بأكبر كمية ممكنة من الرصاص للاستفادة من ثقلها في ترسيخ البناء وتأمين مقاومته للضغوط التحتية(459).

(457) العميد ، العمارة، ص 79

(458) سوسة .، ري سامراء ،ج2 ، ص 14.

(459) العميد ، العمارة ، ص 112

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان للفرس خبرة في استعمال الأحجار في مشروعاتهم الإنشائية الضخمة، فهذا مشروع السد الحجري على نهر العظيم والسد الحجر على نهر ديالي في جبل حمرين وأمثالهما من مشاريع الري القديمة في العراق تدلنا على خبرتهم وإتقانهم بناء الأحجار، ولا عجب فأن الذين قاموا بهذه المشاريع جبليون تتوفر في جبالهم الأحجار على مختلف أنواعها، وهي المادة الأساسية لمنشئاتهم الكبيرة ومشروعاتهم الضخمة.

----عبارة النهر الجعفري فوق القنطرة:

أما البناء الإضافي الذي أقيم في زمن المتوكل لتحوير قنطرة العبور إلى النورة والرماد ، ولدينا أدلة كافية على هذا البناء الإضافي أنشئ في الوقت الذي أنشئ فيه "النهر الجعفري " إذ نجد أن ناظم المصرف الذي أنشئ في صدر النهر أمام وادي الوشاش لتصريف المياه الزائدة إلى دجلة مبني من نفس الآجر ونفس المونة حتى ليخال لك أن بناء هذا الناظم هو نفس بناء العبارة على القاطول لولا تغير المكان الذي يقع فيه ، ونستدل من آثار هذا البناء على الإضافي ومن مناسيب قعر مجرى الجعفري الذي يعبر فوق نهر القاطول على أن مستوى سطح العبارة ، أي منسوب قعر النهر الذي يمر فيها ، كان يعلو سطح القنطرة الأصلية خمسة أمتار على الأقل (460) ، الأمر الذي حدا بمهندسي المتوكل أن يبنوا بناء جديدا فوق أعمدة القنطرة القديمة وطاقين جديدين فوق طاقي القنطرة الأصلية لإبلاغ جانبي القنطرة لوصل الجدول برقبتي العبارة على ضفتي مجرى القاطول حتى بلغ مجموع طول العبارة حوالي 120 مترا ، فقد ممد البناء من الجانب الغربي زهاء (52,5) مترا ومن الجانب الشرقي(38,5) مترا ، وتدل آثار الدعامات التي لا يزال بعض أساسها ظاهرا على إن البناء الإضافي في الجانب الغربي بتألف من ثلاث فتحات وأربع دعامات منها دعامة واحدة ملاصقة للدعامة الغربية للقنطرة الأصلية لحمل الطوق فوق الفتحات الجديدة ، وأن البناء في الجانب الشرقي يتكون من فتحتين وثلاث دعامات منها دعامة واحدة ملاصقة للدعامة الشرقية للقنطرة الأصلية على نفس الترتيب في الجانب الغربي(461).

(460) سوسة ، ري سامراء ،ج2 ،، ص 245

(461) سوسة ، ري سامراء ،ج2 ،، ص 102

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأرجح أن حوض النهر الذي يمتد فوق العبارة كسي بطبقة من الرصاص للحيلولة دون نفوذ المياه إلى داخل البناء.

وقد بنيت العبارة على نمط العبارات التي ترجع هندستها إلى العهد العربي، فهي مؤلفة من طوق راسية مبينة بالآجر والنورة، وقد ألف العرب إنشاء مثل هذه العبارات على الأنهر، ويمكن مشاهدة أحسن نموذج لها قرب محطة سميكة حيث توجد هناك عبارة من هذا النمط كانت تجري فيها مياه أحد فروع "نهر دجيل" التي تعود إلى العهد العربي فوق أحد تشعبات مجرى دجلة القديم، وتسمى هذه العبارة اليوم" قنطرة جويت" وتقع على مسافة قريبة من "الأمام محمد أبي الحس" وهي لا تزال عامرة ولم يدرس منها إلا جوانب الجدول الذي فوقها(462).

ونميل إلى الاعتقاد بأن العبارة أنشئت ليس لتعبير مياه "النهر الجعفري " إلى الضفة اليمنى من مجرى القاطول حسب وإنما أنشئت على شكل يؤمن استعمالها كجسر لعبور الآهلين والحيوانات أيضا، ونعتقد أن "النهر الجعفري" كان يسير في وسط العبارة، وكان ممران على ضفتي الجدول فوق العبارة لعبور الناس والحيوانات.

والأرجح أن العبارة بقيت على وضعها لاستعمالها كجسر عبور فقد بعد أن هجرت المتوكلية وهجر النهر الجعفري معها(463) .

هذا فيما يختص بعبارة الرصاصي، أما العبارة الأخرى التي كان يعبر فيها الفرع الشمالي للنهر الجعفري فوق القاطول فتقع على بعد حوالي 120 مترا شمالا، ولما كانت هذه العبارة الشمالية صغيرة الحجم بالنسبة إلى عبارة قنطرة الرصاصي فلم يبق من آثارها سوى أطلال بناء جناحها الأيمن من جهة حوض تجمع المياه الذي يقع أمامها تماما على الجانب الأيمن من القاطول.

(462) العميد ، العمارة ، ص 167

(463) سوسة ، ري سامراء ،ج2 ،، ص 108

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع نفقات مشاريع إعمار سامراء

نفقات مشاريع إعمار سامراء
مواد البناء والعمال
الصناع
أهل السوق
أسواق محلية
اثمان أجور نقل المواد من الأقاليم المختلفة براً ونهراً
أجور العمال
السياسة الاقتصادية وعلاقتها بالسياسة العمرانية للدولة العباسية
سياسة جمع الأيدي العاملة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نفقات مشاريع إعمار سامراء

بعد الحديث عن سامراء وأسباب بنائها ومدى الاهتمام بها من قبل الخليفة المعتصم يجدر بنا الحديث عن نفقات مشاريع إعمار المدينة، بما أن فترة المعتصم عرف عنها الرخاء والازدهار والبذخ في مظاهر الحياة الذي انعكست إثاره الإيجابية على البناء وفن العمارة وما ارتبط بها باعتبارها أساس للرخاء والازدهار كما سنشير لاحقا.

أما الإعمال التي أنجزت في زمن المعتصم فهي تأسيس المدينة وتنظيمها فقسم المعتصم المدينة إلى أحياء وقطائع أسكن في كل حي صنفا من جيشه وعني بعزل الجيش ودواوين الحكومة عن الآهلين، ويدل تخطيط المدينة على براعة فائقة في هندسة وتخطيط المدن كما أن فيه كثيرا من الابتكار كما يتجلى ذلك في تنظيم الشوارع والمساكن وتنسيق الأبنية العامة والأسواق والمتاجر والمساجد والأرصفة وغيرها.

وقد أقطع الخليفة المعتصم قوما آخرين فوق الكرخ وسماه "الدور" كما اقطع الأفشين الاسروسنى في آخر البناء جنوبا وسمي الموضع "المطيرة" فأقطع أصحاب الاسروشنية وغيرهم من المضمومين إليه حول داره وبنى سويقة فيها حوانيت للتجار فيما لا بد منه ومساجد وحمامات، وبعد إن قتل الأفشين اقطع الخليفة هارون الواثق داره التي في المطيرة إلى وصيف وانتقل وصيف عن داره القديمة إليها(464).

وذكر البلاذري " أن الخليفة المعتصم بالله أنزل أشناس مولاه فيمن ضم اليه من القواد كرخ فيروز، وأنزل بعض قواده الدور المعروفة بالعربائي "(465).

(464) اليعقوبي، البلدان، ج1 ، ص26.

(465) البلاذري، فتوح البلدان، ص 234

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما بالنسبة لمدينة سامراء فان الخليفة المعتصم أنجزها عن طريق استدعاء العمال وإحضار المهندسين والفنيين من الأقاليم والبلدان التابعة للدولة العباسية وفعل الخليفة كل هذا بعد أن دفع ثمن موضع الأرض (ثم احضر المهندسين فقال اختاروا أصلح هذه المواضع، فاختاروا عدة مواضع للقصور...ثم خط القطائع للقواد والكتاب والناس وخط المسجد الجامع واختلط الأسواق

حول المسجد الجامع....)(466).

انفق المعتصم المبالغ الطائلة على بناء سامراء وقصورها لان الخليفة صير إلى كل رجل من أصحابه بناء قصر وخط القطائع لقواده وكتابه والناس وخط المسجد الجامع والأسواق ، فقد شيد لجنده مما تتسع (000 ، 250) جندي وإسطبلات تتسع(000 ، 160) حصان ، والأراضي التي وزعها على أصحاب الحرف والقواد وسائر أفراد الشعب وأعطاهم النفقات على بنائها(467) وانفق على جامعها فقط خمسمائة ألف دينار(468) ويعتقد بعض الباحثين المحدثين بأن المعتصم انفق على جامع سامراء مائة ألف دينار(469) واشترى الخليفة المعتصم هذه الأرض (سامراء) من أصحاب الدير من النصارى ودفع اليهم ثمنها أربعة آلاف دينار (470) ، ويجدر بنا هنا إلى الإشارة للتناقض الكبير بالأرقام التي تبينها المصادر و الدراسات و هذا مؤشر على عدم الدقة في التعامل مع الأمور المالية في الفترة العباسية و ضعف الأخبار التي تتناولها .

(466) اليعقوبي، البلدان، ج1 ، ص 57، 58 ، المسعودي، مروج، ج 4 ، ص 10 ، حسن، النظم ، ج 2 ، ص 381 ، سوسة، ري سامراء، ج 1 ، ص 50.

(467) اليعقوبي، البلدان،ج1 ، ص 58 ، القزويني، أثار البلاد، ص 285.

(468) الزهراني، النفقات، ص 404.

(469) الأعظمي والكبيسي، دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الإسلامي دار الحرية للطباعة ، 1985 ، ص 195. وسيشار اليه لاحقا ، الاعظمي ، دراسات

(470) اليعقوبي، البلدان،ج1 ، ص 57 ، المسعودي، مروج الذهب، ج4 ، ص 54.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هناك فئة من الباحثين المحدثين يذكرون أن المعتصم اشترى موضع سامراء وبستانا بجواره بعشرة آلاف دينار، كما ابتاع بعض الأراضي المجاورة لذلك الموضع (471).

ولم يشر المؤرخون إلى المبالغ التي أنفقها المعتصم على بناء سامراء وقصورها وجوامعها وأسواقها، لكنها كانت أموالا طائلة لان المواد التي جلبوها من خارج سامراء سوآءا كان من الشام أم اللاذقية أم البصرة ومصر وأنطاكية كانت كبيرة ومكلفة (472).

وكان المعتصم في فطرته يحب العمارة وهو يرى بأن في العمارة أمورا محمودة فأولها عمران الأرض التي يحيا بها العالم وعليها يزكو الخراج، إلا أن المعتصم والواثق لم يبتدعان شيئا جديدا الأمور الاقتصادية بل سارا على سياسة من سبقهم من الخلفاء العباسيين في الأمور الاقتصادية (473).

وصفه ياقوت قصر الحير بقوله " اسم قصر كان بسامراء أنفق على عمارته المتوكل أربعة آلاف ألف درهم ثم وهب المستعين أنقاضه لوزيره أحمد بن الخصيب فيما وهبه له " قد سمي بهذه التسمية لطرز بنائه الحيري.474

---

(471) الزهراني، النفقات، ص 405 ، حسن، نظم ، ج 2 ، ص 381.

(472) اليعقوبي، البلدان،ج1، ص 58.

(473) المسعودي، مروج الذهب، ج 4 ، ص 48 ، الزهراني، النفقات، ص 35 ، علي، محمد كرد، الإسلام والحضارة الإسلامية، الكتب المصرية، القاهرة ، 1352هـ/1934م ص 237. وسيشار اليه لاحقا ، علي ، الاسلام

474 ياقوت ، معجم البلدان ، ج3 ، ص 234

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مواد البناء والعمال

إن أول مستلزمات بناء المدينة هو توافر المواد الأولية وتوافر الأيدي العاملة للقيام بالبناء. ولا ريب في أن أرض سامرّاء توفّر المادة لصنع اللّبن والجص والطابوق ، وهذه تؤمن البناء البسيط كالذي كانت عليه الكوفة والبصرة في السنوات الأولى من تشييدهما ، وهي تؤمّن بناء البيوت البسيطة لعامة الناس كما أنها أساسية لبناء حتى القصور. غير أن المعتصم استهدف إنشاء مدينة متقدمة في العمران لا تقلّ في مستواها عما كانت عليه بغداد في زمنه ، أي بعد مرور أكثر من سبعين سنة على تأسيسها ، وكان هذا يتطلب استيراد بعض المواد الضرورية لتحقيق هذا المستوى العمراني ، وفي هذا يقول اليعقوبي إن المعتصم «كتب في حمل الساج وسائر الخشب والجذوع من البصرة وما ولاها وسائر السواد ، ومن أنطاكية وسائر سواحل الشام وفي حمل عملية الرخام وفرش الرخام ، فأقيمت باللاذقية وغيرها دور صناعة الرخام (475)» ، ولابدّ أن هذا بعض وليس كل ما يحتاجه تشييد هذه المدينة من مواد وأن كثيرا منها تم استيراده من مناطق وجودها كالأخشاب اللينة في المناطق الجبلية شمال العراق ، ومعادن الحديد والنحاس ومصنوعاتها. ولابدّ أن استمرار نموّ سامرّاء جعل استيراد هذه المواد مستمرا ليتابع نموّها الذي يمكن القول بأنه استمر إلى آخر زمن المتوكل وقد أسهم في نشاط التجارة والعمل وفي ما يطلبانه من عمال وصنّاع.

وامتد الاستيراد إلى الغروس والمزروعات فحمل النخل من بغداد والبصرة وسائر السواد وحملت الغروس من الجزيرة والشام والجبل والري وخراسان وسائر البلدان (476) ، ولم تذكر المصادر أنواع هذه الغروسات التي لابدّ أن كثيرا منها من نباتات الزينة والنباتات الطبية ، وأنها زوّدت القصور بهذه النباتات.

[475] اليعقوبي ، البلدان ، ج1 ، ص 258.

[476] المصدر نفسه ، ج1 ، 263.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصناع :

يذكر اليعقوبي أن المعتصم «كتب في أشخاص الفعلة والبنائين وأهل المهن من الحدادين والنجارين وسائر الصناعات» ، ويذكر أيضا أنه أقدم من كل بلد من يعمل عملا من الأعمال أو يعالج مهنة من مهن العمارة والزرع والنخل وهندسة الماء ووزنه واستنباطه والعلم بمواضعه من الأرض. وحمل من مصر من يعمل القراطيس وغيرها. وحمل من البصرة من يعمل الزجاج والخزف والحصر ، وحمل من الكوفة من يعمل الخزف ومن يعمل الأدهان ومن سائر البلدان من أهل كل مهنة وصناعة فأنزلوها في هذه المواضع ، وأقطعوا فيها ، وجعل لهم هناك أسواقا لأهل المهن بالمدينة (477).

اشتهرت كلّ من المدن الثلاث التي ذكرها اليعقوبي ، وهي مصر والكوفة والبصرة ، بإنتاج سلع عرفت بها ، فجلب صنّاع الخزف من البصرة والكوفة ، ولعل منتوجات أخرى جلب صنّاعها من أكثر من مدينة ، ولابدّ أنه حرص على

إقامة الصناعات المتميزة الراقية ، وقامت بجانبها صناعات تسد الحاجات «الشعبية» للعدد الكبير من السكان ، غير أن إنتاج هذه الصناعات في سامرّاء كان لسدّ حاجاتها ، وليس لتصديرها ، فلم يرد في المصادر ما ينص على أن سامرّاء أصبحت مركزا لإنتاج مصنوعات تصدّر إلى مدن أخرى.

ويذكر أن المعتصم استورد أهل كل مهنة وصناعة ، مع عيالهم إلى هذه المواضع وأقطعوا فيها ، وجعل هناك أسواقا لأهل المهن بالمدينة (478). يتبين من هذا النص أن الذي أورده اليعقوبي وهو معروف بسعة اطلاعه أن المعتصم ألزم الصنّاع الأحرار بالمجيء إلى مدينته الجديدة ، مع عيالاتهم للإقامة الدائمة فيها.

[477] اليعقوبي ، البلدان ، 264.

[478] اليعقوبي ، البلدان ، ج1 264.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تتابعت هجرة العمال والكسبة إلى سامرّاء بعد تأسيسها لأن الإعمار تتابع ، والنمو استمر ، وتدفّق الأموال لم ينقطع ، وكان انتقاء هؤلاء العمال والصناع حرّا غير مقيد وانحصر عملهم بحرفهم فلم يسهموا في الأحداث السياسية ولم يخلقوا مشاكل أمنية ، نظرا لازدهار الحياة الاقتصادية والمعاشية وقوة الخليفة القائمة على مكانة الخلافة المثبتة وعلى الجيش الموالي والذي لم تكن له صلة قوية بالكسبة والصناع من العناصر المدنية التي جاءت من بغداد والمناطق المجاورة لسامرّاء.

أسواق سامرّاء :

أدرك المعتصم أهمية السوق فحدّد في تخطيطه الأول لسامرّاء مكانا لها ، وفي هذا يقول اليعقوبي : إن المعتصم «خطّ المسجد الجامع واختط الأسواق حول المسجد الجامع وذكر في مكان آخر ووسعت صفوف الأسواق ، وجعلت كل تجارة منفردة ، وكل قوم على حدتهم على مثل ما رسمت عليه أسواق بغداد» (479).

وفي كلامه عن شارع السريجة ، وهو الشارع الأعظم ، ذكر مواقع الرطابين وسوق الرقيق في مربعة فيها طرق متشعبة فيها الحجر والغرف والحوانيت للرقيق ، ثم مجلس الشرطة والحبس الكبير ومنازل الناس. والأسواق في هذا الشارع يمنة ويسرة مثل سائر البياعات والصناعات ، ويتّصل ذلك بخشبة بابك ، ثم السوق العظمى لا تختلط بها المنازل ، كل تجارة منفردة ، وكل أهل مهنة لا يختلطون بغيرهم ، ثم الجامع الكبير الذي لم يزل يجمع فيه إلى أيام المتوكل ، والأسواق من أحد الجانبين ، ومن الجانب الآخر القطائع والمنازل وأسواق أصحاب البياعات الدنيّة مثل أصحاب الفقاع والهرائس (480).

[479] اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، 258.

[480] اليعقوبي ، البلدان ،ج1، 260.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتبين من النص الأول أن تحديد مواقع الأسواق واختطاطها جرى منذ أول إنشاء سامرّاء ، وأن مواقعها جعلت حول المسجد الجامع ، أما النص الثاني فيظهر أن هذه الأسواق كانت في منطقة واحدة من شارع السريجة ، وهو الشارع الأعظم وعلى طرفيه ، ويوحي هذا النص أنه كان في سامرّاء «السوق العظمى» وهي متميزة عن بقية الأسواق ، ولكنها ليست بعيدة عنها ، يفصلهما مجلس الشرطة والحبس ، وهي ممتدة إلى خشبة بابك. أما السوق العظمى فتمتد إلى جامع المعتصم ، وفي آخره أسواق أصحاب الصناعات والبياعات الدنيّة.

وجاء في النص الأول أن الأسواق وسّعت صفوفها ، وجعلت فيها كلّ تجارة منفردة ، وكل أهل مهنة لا يختلطون بغيرهم. ولم يذكر اليعقوبي من هذه

الأسواق الفرعية غير سوقي الرطابين والرقيق وكانتا في أوله ، وأسواق أصحاب البياعات الدنيّة مثل أصحاب الفقاع والهرائس.

نظّم المعتصم أسواق سامرّاء على غرار أسواق الكرخ في بغداد حيث قال إنه أفرد كل تجارة في سوق ضمن السوق العظمى «على مثل ما رسمت عليه أسواق بغداد» ، وقد تحاشى المعتصم ما غاب عن أبي جعفر المنصور في تخطيطه الأول للمدينة المدوّرة وأطرافها في بغداد فسببت له بعض المشاكل الأمنية وحملته على أن ينقل في سنة 157 الأسواق وفي ناحية الكرخ وباب الشعير ، ويجعلها صفوفا وبيوتا لكل صنف ويعرفها الناس (481). ولكل تاجر وتجارة شارع معلوم وصفوف في تلك الشوارع ، وحوانيت وليس يختلط قوم بقوم ولا تجارة بتجارة ، ولا يباع صنف مع غير صنفه ، ولا يختلط أصحاب المهن من سائر الصناعات بغيرهم ، وكل سوق مفردة ، وكل أهل منفردون بتجارتهم ، وكل أهل مهنة معتزلون عن غير طبعتهم وقد وضع على أسواق بغداد خراج (482).

[481] الطبري ، تاريخ ، ج 9 ص 433.

[482] اليعقوبي ، البلدان ، 246 ، البغدادي ، تاريخ بغداد ج1 ص 123.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم نمت سوق على شاطئ دجلة كانت فيها «الفرض والسفن والتجارات التي ترد من بغداد وواسط وكسكر وسائر السواد من البصرة والأبلة والأهواز وما اتصل بذلك ، ومن الموصل وعربايا وديار ربيعة وما اتصل بذلك» (483).

أقيمت أسواق سامرّاء في موضعها الذي اختطّه لها المعتصم ، وأدى ازدهارها ونمو الحياة الحضرية فيها إلى ازدحامها ، فلما ولي الواثق الخلافة «زاد في الأسواق وعظمت الفرض التي تردها السفن من بغداد وواسط والبصرة والموصل» (484) ، ولم تذكر المصادر المناطق التي زيدت فيها الأسواق ، ولعل الامتداد إلى خشبة بابك ترجع إلى زيادة الواثق.

ولما ولي المتوكل الخلافة وبنى الجامع الجديد «جعل الطريق إليه من ثلاثة صفوف واسعة عظيمة من الشارع الذي يأخذ من وادي إبراهيم بن رباح ، في كل صف حوانيت فيها أصناف التجارات والصناعات والبياعات ، عرض كل صفّ مائة ذراع بالذراع السوداء ، لئلا يضيق عليه الدخول إلى المسجد في الجمع في جيوشه وجموع خيله ورجاله ، ومن كل صف إلى الصف الذي تليه دروب وسكك فيها قطائع جماعة من عامة الناس فاتسعت على الناس المنازل والدور ، واتسع أهل الأسواق والمهن والصناعات في تلك الحوانيت التي هي في صفوف الجامع» (485).

483 اليعقوبي ، البلدان ، ج1 263.

484 المصدر نفسه ،ج1 265.

485 المصدر نفسه ،ج1 260.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي سنة 245 شيّد المتوكل في الماحوزة على بعد ميلين من الكرخ مدينة الجعفرية ضمّت قصوره وإقطاعات ولاة عهوده وسائر أولاده وقوّاده وكتّابه وجنده والناس كافة وربطها مع الكرخ بشارع عرضه مائتا ذراع ، أقطع الناس على جانبيه ، وجدّ الناس في البناء الذي امتد واتصل من الدور والكرخ فسامرّاء وإلى بلكوارا في القادسية (ليس بين شيء من ذلك فضاء ولا فرج ولا موضع لا عمارة فيه فكان مقدار ذلك سبعة فراسخ) (486) ونقل إلى الجعفرية الدواوين.

شيّد المتوكل في الجعفرية أسواقا جعلت في موضع معتزل وجعل في كل مربعة وناحية سوقا ، وبنى المسجد الجامع ، (487) أي إن الجعفرية لم تقتصر على سوق واحدة ، وإنما على عدة أسواق منها الرئيسية في موضع معتزل ، ومنها المتفرقة في المربعات والنواحي ، ولا بدّ أن هذه الأسواق كانت واسعة فيها سلع متعددة لسدّ حاجة هذه المدينة الكبيرة ، ولعل معظم أهلها والعاملين فيها انتقلوا من أسواق سامرّاء التي ضعفت بهذا الإعمار الجديد الذي لم يطل أمده لأن المتوكل لم يقم فيها إلا تسعة أشهر ثم قتل وولّي ابنه المنتصر الخلافة فعاد إلى سامرّاء وأمر الناس جميعا بالانتقال من الماحوزة ، وأن يهدموا المنازل ويحملوا النقض إلى سرّ من رأى ، فانتقل الناس وحملوا نقض المنازل إلى سرّ من رأى ،

وخربت قصور الجعفري ومنازله ومساكنه وأسواقه في أسرع مدة ، وصار موضعها موحشا لا أنيس فيه ولا سكن ، والديار بلاقع كأنها لم تعمّر ولم تسكن (488).

486 اليعقوبي ، البلدان ،ج1 266 .

487 اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، 266 .

488 اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، 267.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهل السوق :

كان قوام السوق الحوانيت التي تعرض السلع المستوردة أو المصنّعة في سامرّاء والعاملين في ذلك. فتنظيم السوق وثيق الصلة بتنظيم أهلها والعاملين فيها. وأنشئت سامرّاء في منطقة سكانها قليلون. ولكن ، بالتعاون مع الجند الذين تقرّرت إقامتهم فيها صارت عملية تشييدها في غنى عن العمال غير الماهرين. ولابدّ أن استمرار نموّها أبقى الحاجة لهؤلاء العمال الذين استقر كثير منهم فيها وتحوّلوا من العمل في الأرض إلى العمل في المدينة ، ولعلهم كانوا أعظم من سمّاهم اليعقوبي «الناس» ونصّ على سكناهم في الشارع الأعظم ، وشارع أبي أحمد ، وشارع الحير ثم في الجعفرية وبالقرب من جامع المتوكل ، ومنع الأتراك من الاختلاط بهم.

ولابدّ أن هذه السوق الجديدة كانت تحتوي على أكثر أصناف السلع في السوق الأولى التي أقامها المعتصم ، وأن تشييد هذه السوق خفف الازدحام وآثاره في سوق المعتصم والتي من الأرجح أنها ظلت قائمة ، ولكن خفّ النشاط فيها ، كما أن كثيرا من الساكنين قربها من أهل الحرف نقلوا مساكنهم إلى أماكن قريبة من السوق الجديدة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جدول يبين أجور العمال فترة بناء مدينة سامراء:

جدول رقم (3) أجور العمال التي انفقت في بناء القصور			
أجور العمال			
القصر	تكلفة البناء بالدرهم	القصر	تكلفة البناء بالدرهم
العروس	ثلاثين ألف ألف درهم		
المختار	خمسة آلاف ألف درهم	المليح	وخمسة آلاف ألف درهم
الشيدان	عشرة آلاف ألف درهم	التل علوه وسفلى	خمسة آلاف ألف درهم
البرج	عشرة آلاف ألف درهم	الجوسق في ميدان الصخر	خمسمائة ألف درهم
الصبيح	خمسة آلاف ألف درهم	المسجد الجامع	خمسة عشر ألف ألف درهم
القلائد	خمسين ألف دينار	بركوان	عشرين ألف ألف درهم
أبنية متفرقة	مائة ألف دينار	الغرد في دجلة	ألف ألف درهم
القصر بالمتوكلية	خمسين ألف ألف درهم	البهو	خمسة وعشرين ألف ألف درهم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللؤلؤة	خمسة آلاف ألف درهم	جامع سامراء (جامع المتوكل)	خمسة عشرة ألف ألف درهم
المجموع	مائتا ألف ألف وأربع وتسعون ألف ألف درهم (27916666.6 دينار عباسي)(1)		

ومما ذكره ياقوت في معجمه عن الحركة العمرانية في عهد المتوكل قال : " ولم يبن أحد من الخلفاء في سر من رأى من الأبنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل في ذلك القصر المعروف بالعروس انفق عليه ثلاثين ألف الف درهم والقصر المختار خمسة آلاف ألف درهم والشيدان عشرة آلاف ألف درهم والبرج عشرة آلاف ألف درهم والصبيح خمسة آلاف ألف درهم والمليح خمسة آلاف ألف درهم والتل علوه وسفله خمسة آلاف ألف درهم و الجوسق في ميدان الصخر خمسمائة ألف درهم والمسجد الجامع خمسة عشر ألف الف درهم وبركوان "بركوارا" للمعتز عشرين ألف الف درهم والقلائد خمسين ألف دينار وجعل فيها أبنية بمائة ألف دينار و الغرد في دجلة ألف الف درهم والقصر بالمتوكلية وهو الذي يقال لم الماحوزة خمسين ألف الف درهم والبهو خمسة وعشرين ألف الف درهم واللؤلؤة خمسة آلاف ألف درهم فذلك الجميع مائتا ألف الف وأربع وتسعون ألف الف درهم"(2).

(1) قيمة الدينار في العصر العباسي تعادل 15 درهما وفي عصر المعتصم ارتفعت الى 25 درهما ، أوراق النقود ونصاب الورق النقدي، مجلة البحوث الإسلامية ، الباب الأول معرفة المقادير ، العدد التاسع والثلاثون - ربيع الأول إلى جمادى الثانية لسنة 1414هـ .

(2) ياقوت، معجم البلدان ، ج3 ،ص 231

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويستدل مما تقدم أن مجموع ما أنفقه المتوكل على قصوره بلغ ثلاثمائة مليون درهم أي حوالي اثني عشر مليون دينار باعتبار أن الدراهم كانت في أيام المتوكل كل خمسة وعشرين درهما بدينار، ويؤيد المسعودي باهظة النفقات التي بذلها المتوكل في سبيل مشروعاته العمرانية في سر من رأى إذ يقول " وقد قيل إنه لم تكن النفقات في عصر من الإعصار ولا وقت من الأوقات مثلها في أيام المتوكل "(3).

أنفق المتوكل المبالغ العظيمة على الأبنية في سامراء، ذكر ياقوت الحموي بأن المتوكل اتفق على جامع سامراء (جامع المتوكل) خمسة عشرة ألف ألف درهم (4).

وكان المتوكل أنفق على سامراء سبعمائة ألف دينار وأشار الياقوت الحموي لذلك كما أشرنا سابقا، فجميع ذلك مائتا ألف ألف وأربعة وتسعون ألف ألف درهم(5) ، (294,000 ، 000) مليون درهم، وذكر المسعودي النفقات الباهظة للمتوكل على العمران بقوله (انه لم تكن النفقات في عصر من العصور ولا وقت من الأوقات مثلها في أيام المتوكل) (6) ، وأشار الجاحظ بأن المعتصم جلب من الصين عددا من مهندسي المياه عند إنشاء مدينة سامراء (7).

---

(3) سوسة، ري سامراء، ج2 ، ص 121

(4) الحموي، معجم البلدان، ج 3 ، ص 175.

(5) الحموي، معجم البلدان ، ج 3 ، ص 157 ، ول ديو رانت، قصة الحضارة، م 4 ، ج 2 ، ص 97 ، مصطفى، المدن في الإسلام، ج 1 ، ص 221 .

(6) مروج الذهب، ج 4 ، ص 185 ، الموسوي، العوامل ، ص 150.

(7) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص 33، 34.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما أوسع ما ورد عن نفقات القصور التي نجمت عن تكاليف القصور التي بنيت في سامراء في عهد المتوكل الذي كان مولعا بالبناء، أنفق على جامع سامراء الكبير خمسة عشرة ألف ألف درهم(8) ، أي بلغت 15 مليون درهم، وقد حولها أحمد سوسة إلى دنانير وقال إنها تعادل ((600,000)دينار وسعر الدينار يساوي 25 درهم)(9).

وفي عام 245هـ/860م ترك المتوكل سامراء وبحث عن مكان آخر لكي يبني مدينة أخرى لينتقل إليها، ويروي اليعقوبي أن المتوكل: (عزم أن يبني مدينة لينتقل إليها، وتنسب إليه، ويكون له بها الذكر فأمر محمد بن موسى المنجم ومن يحضر بابه من المهندسين أن يختاروا موضعا، فوقع اختيارهم على موضع يقال له الماحوزة)(10).

مجموع نفقات المتوكل على بناء المدن والقصور والمساجد والمشاريع الأخرى في سامراء والمتوكلية بلغت000، 294 مليون درهم(11) ، وهذه المصروفات الهائلة للمتوكل بالرغم أنه لم يخرج غازيات كما فعل أسلافه تعود إلى كثرة أنفاقها من الأموال على العمارة وخاصة في سامراء(12)ومن ضمنها العمال وخاصة المهرة من أجل بناء أجمل القصور و الحير والمتنزهات ، أما المصادر لم تشر إلى مقدارها ، ومن أجل إحضار الماء لمدينة المتوكلية مثلا حفر نهرا وشارك فيه اثني عشر ألف 000 ، 12 عامل

---

(8) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 3 ، ص 175 ، زيدان، تاريخ ، مج 2 ، ج 5 ، ص 624 ، مصطفى، المدن في الإسلام، ج 1 ، ص 380، 381.

(9) ري سامراء، ج 1 ، ص 112 ، الزهراني، النفقات، ص 400.

(10) البلدان، ص:67 ، السامرائي، تاريخ مدينة سامراء، ج:1 ، ص:95.

(11) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 3 ، ص 175 ، مصطفى، المدن في الإسلام، ج 1 ، ص 221.

(12) الزهراني، النفقات، ص 168.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و أنفق عليها مائتي ألف دينار ويصرف من أجل إكمالها المال بعد المال(13) وأشار اليعقوبي إلى ذلك بأن المتوكل (أنفق الأموال الجليلة على ذلك النهر فقدر النفقة على ألف الف وخمسمائة ألف دينار) (14).

أما المصادر والمراجع الحديثة فلم تتطرق إلى أجرة العمال ومقدار النفقة عليهم من الأجرة والطعام، أما ما قاله اليعقوبي بأنه عندما (انتقل المتوكل إلى قصور هذه المدينة المتوكلية أول يوم من المحرم سنة سبع وأربعين ومائتين، فلما جلس أجاز الناس بالجوائز السنية ووصلهم، وأعطى جميع القواد والكتاب ومن تولى عملا من الأعمال) (15).

ولا بد أن تكاليف القصور في بغداد في عهد أبي جعفر المنصور وأولاده كانت أقل من التكاليف الهائلة لقصور المتوكل لان الأسعار كانت أرخص، ولان المتوكل كان مشهورا بقلة تدقيقه وبذخه وكثرة الإنفاق على الصلات والجوائز للمشاركين في بناء المدن والعمائر (16).

وكذلك قام الخليفة المتوكل بعدة أمور محمودة في مجال الإصلاح الاقتصادي من أجل تنمية الموارد المالية ومنها أمره بأن لا يجبي الخراج في يوم النيروز الفارسي (21 آذار) بل يكون الموعد بعده هو يوم السابع عشر من حزيران لأنه الوقت المناسب لنضوج الغلات(17)

---

(13) الطبري، المصدر السابق، ج 9 ، ص 212.

(14) اليعقوبي ، البلدان،ج1 ، ص 267.

(15) ياقوت، البلدان، ج3 ، ص 68.

(16) العلي، معالم بغداد الإدارية، ص 21.

(17) هو جعفر بن محمد بن هارون ولقب بالمنتصر بالله ثم لقبه أحمد ابن أبي داود المتوكل على الله ويكنى بأبي الفضل، ولد في شوال سنة ست ومائتين للهجرة وبويع له يوم وفاة أخيه الواثق في 24 ذي الحجة عام 232هـ / 846م ، السيد، فؤاد، معجم ألقاب السياسيين في التاريخ العربي والإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1979 ، ص 620، وسيشار اليه لاحقا . السيد ، معجم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اثمان أجور نقل المواد من الأقاليم المختلفة براً ونهراً

اعتمد المعتصم في جلب المواد الأولية للبناء على الأقاليم التابعة للدولة العباسية ، ثم البلدان الأخرى (18) ، وبعد تأمين المياه أحضر المعتصم الساج و الخشب و جذوع النخل من البصرة ، ومناطق بغداد و السواد ، ومن انطاكية و سواحل الشام ، و حمل الرخام من مدينة اللاذقية (19)و من البصرة احضر من يعمل بالزجاج و الخزف و الحصر ، ومن الكوفة من يعمل بالدهان (20)و استخدم الطابوق المربع في جدران المدينة و قصورها ، و القبة بنيت من الحجارة الصغيرة و كان بناء سامراء معظمه من اللبن المجلى و بعضها بني بالطابوق مثل جامع المتوكل (21) .

في عهد المعتصم اتبع سياسة ظهر بها حبه للعمارة وأن فيه أمورا محمودة، ففي عمران الأرض، كثرة الأموال ورخص الأسعار والرفاهية (22) ، المصادر لم تحدد مقدار ما كان من خراج في عهد المعتصم، وعندما توفي المعتصم قدرة تركته ب ثمانية الأف ألف دينار (23).

---

(18) اليعقوبي، البلدان،ج1 ص 64

(19) اليعقوبي، البلدان، ج1 ص 58

(20) اليعقوبي، البلدان،ج1 ص 65 ، الشرقي، قصور العراق، ص 257

(21) سوسة، ري سامراء، ج1 ، ص5 ، الشرقي قصور العراق، ص 265

(22) الطبري، تاريخ ، ج9 ، ص 608

(23) ابن الطقطقي، الفخري، ص209

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كانت الدولة العباسية تأخذ أجورا على الأسواق حسب المساحة، حيث قدرت غلات سامراء وأسواقها بـ عشرة ملايين درهم سنويا، في عهد المعتصم (24) ، وبلغة واردات العمارات في سامراء أربعمائة ألف دينار سنويا (25) ، ووارد الطواحين قدر ب خمسين ألف دينار سنويا (26) .

أجور العمال:

أنفق المعتصم مبالغ طائلة على بناء سامراء، فقد شيد ما يتسع ل 260000 جندي و160000 ألف حصان ووزع الأراضي على العامة وأعطاهم نفقات لبنائها (27) ، وقدرت نفقات بناء سامراء بـ خمسمائة ألف دينار (28) وأنفق المعتصم على بناء جامع سامراء مائة ألف دينار (29) ، وقدرت نفقات الأرض التي اشتراها المعتصم لبناء المدينة بعشرة الأف دينار (30) ، ويذكر اليعقوبي أن المعتصم دفع ثمن الأرض ب أربعة الأف دينار (31) .

ومن الملاحظ أن الدراسات الحديثة تبين أن المصادر التي تناولت فترة المتوكل لم تبين بدقة أجور العمال، حيث أشارت للتكلفة ككل دون تقسيم، وهذا يجعل من توضيح ذلك في فترة المتوكل أمر يحتاج لدراسات متخصصة.

---

(24) اليعقوبي، البلدان،ج1 ص 64

(25) اليعقوبي، البلدان، ج1ص 64

(26) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 198

(27) اليعقوبي، البلدان،ج1 ص 158 ، القزويني، ص 285

(28) الزهراني، النفقات، ص 405

(29) المرجع نفسه ، ص 404

(30) المرجع نفسه ، ص 405

(31) اليعقوبي، البلدان، ص57

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السياسة الاقتصادية وعلاقتها بالسياسة العمرانية للدولة العباسية:

إن اختيار بعض مدن العراق كعواصم للخلافة العباسية جاء لأن الخلفاء كانوا مقتنعين بأن العراق هو الإقليم الأنسب ليكون مركزا لهم ولأنصارهم ومواليهم لدوافع سياسية واقتصادية.

والمعتصم اخذ بمنهج المنصور في بناء بغداد لكن المصادر لم تزودنا بمعلومات دقيقة عن أجور العمال حيث تشير المصادر إلى أن الدافع الاقتصادي لبناء مدينة بغداد حسب ما ذكر الطبري " فلا شك في أن المنصور اشتهر في التاريخ بنظريته الاقتصادية ذات الطابع المركزي.(32)

ونلاحظ تشابه للغاية في الأعمار بين المعتصم والمنصور حيث اهتما بمصلحة الرعية والعامة على مصالحه، لذلك لم يوافق على اختيار منطقة بارما حتى لا يحمل أتباعه من الجند والجماعات والرعية والعامة، وهو لم يعتمد على وصف هؤلاء بل خرج بنفسه ووضع عدة شروط لاختيار موضع عاصمته الجديدة المتمثلة بتوفير الغذاء الكامل لا غل به وبأقل الأثمان والتكاليف، وهذه الرغبة التي لا يمكن للخليفة أن يخفضها في منطقة جافة وضيقة وقليلة الخصوبة بعيدة عن المياه والأنهار.

(32) الطبري تاريخ ، ج 7 ، ص619 ، العميد، بغداد، ص 140، 141.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأشار اليعقوبي بأن المعتصم بعد حصوله على العمال عن طريق استدعائهم من الأقاليم التابعة للدولة العباسية ومن كل البلدان ومن أهل كل مهنة وصناعة فأنزل المعتصم العمال مع عوائلهم بهذه المواضع واقطعهم فيها(33) ، وأعطاهم النفقات لبنائها(34) ولم تشر المصادر إلى جلب العمال وإجبارهم على العمل بالسخرة، ويبدو بأن العمال بعد استدعائهم وإسكانهم في سامراء أصبحوا مواطنين في المدينة بدليل حصولهم على الإقطاع وتحديد الأسواق لأهل المهن بالمدينة وكان العمال المجلوبون من ضمن أصحاب المهن (35).

أنفق المتوكل مبالغ طائلة على سامراء إذ يذكر ياقوت الحموي أن المتوكل أنفق على جامع المتوكل في سامراء خمسة عشر عشر ألف درهم (36) .

وحاول المتوكل أن ينافس مدينة سامراء لذلك بني جامع المتوكلية أو الجعفرية وهو على طراز جامع سامراء من حيث الشكل والمئذنة، ومن أشهر القصور التي بناها المتوكل هو قصر الجعفري الذي بناه في أقصى الشمال من سامراء وشق إليه نهرا من دجلة وعند قرية كرمي وأنفق عليه أموالا هائلة ليكون وسط المدينة ليسقيها فقدر نفقاتها بألف ألف وخمسمائة ألف دينار (37).

(33) العميد، بغداد، ص:65 ، العميد، العمارة ، ص:63.

(34) الزهراني، النفقات، ص:405.

(35) رفاه السامرائي، المدرسة ، ص: 13-14.

(36) اليعقوبي، معجم البلدان، ج1 ، ص 175

(37) اليعقوبي، البلدان، ج1 ،ص:67 ، الشرقي، قصور ، ص:328.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما أن الدافع الاقتصادي له لمسة واضحة في اختيار موضع الأسواق في منطقة الكرخ، أنه يقع في منطقة طسوج بأدوريا الزراعية، وهناك روايات تاريخية ترجح وجود الاسواق (38) في منطقة الكرخ ويرتاده التجار الصينيون ببضائعهم وتجاراتهم.

وجه المتوكل في حفر نهر من دجلة ليجري وسط مدينة المتوكلية للسرب وبل الطين ولوازم البناء وإرواء الحدائق(39) ، وشيدت قوات النهر بالآجر، ثم اختلط موضع قصره ومنازله، وهذا يدل بأن إحضار المياه من المستلزمات الضرورية للبناء وبدونه تتوقف السياسة العمرانية.

ثم أمر المتوكل بنقض القصر المختار والبديع وحمل ساجها إلى الجعفري(40) ، هذه هي سياسة الخلفاء ومنهم المتوكل عندما اختار موضع الماحوزة هدم قصرين من قصوره في سامراء من أجل استعمال إنقاضهما في مدينته الجديدة، وهذا يدل على صعوبة الحصول على بعض المواد الإنشائية أو غلاء ثمنها وأراد ببعض موادها أن يبني المتوكلية لتقليل النفقة رغم شغفه في النفقات على بناء القصور،

---

(38) كانت بغداد في أيام مملكة العجم قرية يجتمع فيها رأس كل سنة التجار، ويقوم بها للفرس هذه السوق العظيمة، فلما توجه المسلمون إلى العراق أغار عليه المثنى بن حارثة الشيباني قبل فتح العراق على يد القائد سعد بن أبي وقاص ، البغدادي، تاريخ ، مج ، 1 ، ص 25، 26.

(39) اليعقوبي، البلدان،ج1 ص:67 ، الطبري، تاريخ ، ج:9 ، ص:212.

(40) الطبري، تاريخ ، ج:7 ، ص:212.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وذكر العميد بأن مادة بناء المتوكلية على الأغلب طابوقا من اللبن مع كميات قليلة من الطابوق المفخور (41). ولمدينة المتوكلية سور ضخم وبني السور من اللبن، ويبدو أن المتوكل ليس لديه المال الكافي كما كان لديه سابقا لذلك بناه من اللبن برغم أهمية السور العسكرية (42) ، وتقدر كل هذه النفقات التي صرفها المتوكل على الأبنية ب 000 ،525، 13دينار. (43)

أما المسعودي فيقول: (أنه لم تكن النفقات في عصر الإعصار ولا وقت من الأوقات مثلما في أيام المتوكل، وأنه أنفق على الهاروني والجوسق والجعفري مائة ألف ألف درهم(44) أي نحو مائة مليون درهم.

لقد قدرت أموال الجباية في عهد المتوكل نحو 299 مليون درهم وهذا المبلغ لا يكفي لسد نفقات الدولة إلا بالالتجاء إلى مصدر آخر لتمويل الخزانة وهو الصادرات لذلك فان أعظم مصادرات المتوكل لا يمكن تفسيرها الأعلى هذا الأساس، بل أن المتوكل كان كلما يبدأ ببناء قصر رافق ذلك حملة من المصادرات (45).

ومن المعروف أن الذين صادر الخليفة المتوكل أموالهم من الوزراء والكتاب وكبار موظفي الدولة لكونهم استغلوا مناصبهم وأثروا ثراءاً فاحشا ولم يصادر أموال العامة.

---

(41) العميد، العمارة العباسية في سامراء، ص:176.

(42) العميد، العمارة ، ص:175.

(43) العميد، العمارة ، طبعة بغداد، ص:159-160.

(44) المسعودي ، مروج الذهب، ج:4 ، ص:116.

(45) ابن خرداذبة، المسالك ، ص:249 ، المسعودي، مروج الذهب، ج:4 ، ص:116 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الأمثلة على مصادرات المتوكل بحق اتباعه ما يذكره الطبري الذي أفادنا بأنه في سنة(233هـ/847م) : أخذ المتوكل من إبراهيم بن الجنيد النصراني بسبعين ألف دينار، وصادر كاتبه أبا الوزير على ستين ألف دينار ومعها دور دراهم وحلي وأخذ له من متاع مصر اثنين وستين سفطا وصادر أحد كتابه على أربعين ألف دينار واثنين آخرين على نيف وثلاثين ألف دينار وصادر عمر فرج على عشرة آلاف ألف درهم) (46).

وفي سنة(237هـ/851م)غضب المتوكل على أحمد بن علي بن أبي داود فأخذ من ابنه 120 الف دينار وجواهر بقيمة 20 الف دينار وصولح بعد ذلك على (16) مليون درهم وشهد عليهم جميعا(الآخرة) ببيع كل ضيعة لهم)(47) .

يبدو من هذه النصوص بأن تطبيق قانون الصادرات جاء من أجل الحصول على الموارد الاقتصادية. ومما يؤكد أن مشاريع البناء في عهد المتوكل كانت من أهم أسباب المصادرات، ما ذكره الطبري الذي قال: (فلما عزم المتوكل على بناء الجعفري، قال له نجاح(48) وكان في الندماء يا أمير المؤمنين اسمي لك قوما تدفعهم إلى حتى استخرج لك منهم أموالا تبني بها مدينتك فانه يلزمك من الأموال ما يعظم قدره، فقال له سمهم، فرفع رقعة يذكر فيها موسى بن عبد الملك (على ديوان الخراج) والحسن بن مخلد على ديوان الضياع ... وجعفر المعلوف مستخرج ديوان الخراج وغيرهم نحوا من عشرين رجلا ... فوقع ذلك من المتوكل موقعا أعجبه (49).

---

(46) اليعقوبي، البلدان، ج1 ، ص:161-162.

(47) اليعقوبي، البلدان، ج1، ص: 162 ، الدوري، العصر العباسي الأول، ص:280.

(48) نجاح: هو نجاح بن سلمة كان على ديوان التوقيع للعمال ايام الخليفة المتوكل. اليعقوبي، البلدان، ، ج:1 ، ص:214.

(49) اليعقوبي، البلدان، ، ج:1 ، ص:215-216.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونظرا لتوسع المتوكل في نفقات القصور والعمران صادر كثيرا من مال الجماعات بسبب إظهارهم معالم الغنى والبذخ في المناسبات، كما فعل المتوكل بطبيبه بختيشوع عندما أحضر مأدبة للمتوكل ولم يمضي أيام حتى نكب، بختيشوع وصادر أمواله(50) لأسباب مالية لا غيرها.

وأن كل الذين شملتهم المصادرات كانوا من موظفي الدولة من الوزراء والكتاب والعمال، لذلك لم يكن لهذه المصادرات إضرار على بقية قطاعات المجتمع كالزراع والصناع وأصحاب المهن وعامة الناس(51) ويتضح هذا من وصف المسعودي لأيام المتوكل عندما قال: (كانت أيام المتوكل في حسنها ونظارتها ورفاهية العيش بها وحمد الخاص والعام لها ورضاهم عنها أيام سراء لا ضراء، وقال آخرون كانت خلافة المتوكل أحسن من أمن السبيل ورخص السعر وأماني الحب وأيام الشباب) (52).

ويبدو أن المتوكل يعرف جيدا من هم الذين استغلوا المناصب والظروف الخاصة ثم أفسدوا الإدارة بأخذ مال الدولة وصرفها من أجل المصالح الخاصة، ولذلك أراد المتوكل والواثق من قبله أن يسترجع هذه الأموال إلى الخزينة عن طريق الصادرات أما عامة الناس من الفقراء فقد استفادوا من التوسع في النشاط العمراني لإشراكهم في بناء قصور المتوكل أي أن القصور سبب مباشرا لتشغيل الناس فيهم من أجل الحصول على الأجور اليومية.

---

(50) علي ، موجز تأريخ، ص:451.

(51) علي ، موجز تاريخ ، ص:76.

(52) المسعودي ، مروج الذهب، ج:4 ، ص:115.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما أن الدافع الاقتصادي له لمسة واضحة في اختيار موضع الأسواق في منطقة الكرخ، أنه يقع في منطقة طسوج بأدوريا الزراعية، وهناك روايات تاريخية ترجح وجود السوق في منطقة الكرخ إلى زمن الملك الساساني سابور الثاني الذي حكم بين سنتي(309 -379م) ويرتاده التجار الصينيون ببضائعهم وتجاراتهم.

أما الدافع الاقتصادي فعلاقته قوية بالسياسة العمرانية لمدينة سامراء، فكان أحد أسباب ترك المعتصم مدينة بغداد هو تعرضها لأخطار الفيضانات لنهر دجلة وأدى ذلك إلى غرق وتهديم المنازل وأحداث الخراب فيها، وغمرت المياه ظهور البيوت وتقطعت الجسور بمدينة السلام، فخلق ذلك صعوبة على السلطة، بسبب الأضرار المادية التي لحقت بالسكان فضلا عن الخوف والهلع الذي أصاب عامة الناس.

ومن المعلوم ومن دون أدنى شك أن وراء كل الفيضانات كوارث يتعرض لها الناس وتؤثر على حياتهم اليومية لأن الغرق سيشمل المطاحن وهكذا يرتفع في الأسواق سعر الطحين ومثال ذلك ارتفاع سعر طحن الكارة (53) في بغداد إلى ثلاثة دنانير، فأثارت هذه الظاهرة الاضطرابات والقلق والفوضى في مدينة بغداد العاصمة (54).

بنى المعتصم عدة قصور قبيل انتقاله إلى سامراء كان موقعه في الميدان في الجانب الشرقي فأقام فيه حتى سنة(221 هـ/836م)(55).

(53) الكارة هي وحدة قياس معلومة توضع فيها الحنطة ويوزع الكارة من الثياب وغيرها، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4 ، ص 429.

(54) الجوزي، المنتظم ، ج7 ، ص 87 .

(55) سوسه، ري سامراء، ج 2 ، ص 367.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذلك بنى المعتصم عدة قصور في سامراء منها قصر الفوقاني على ضفة نهر الإسحاقي، وربما بناه الخليفة للنزهة والتفرج يصعد اليه – الخليفة من قصره الأصلي (قصر الجص) (56).

يبدو أن المعتصم من خلال تشييد هذه القصور الضخمة في سامراء كأنه أراد أن ينافس بغداد وقصورها وإبراز شخصيته وعاصمته من خلال هذه العمارات الشاهقة ولتخليد ذكراه على مر السنين، وأراد أن ينافس ويقابل بغداد المنصور المدورة من حيث العظمة والعمارات لذلك قال القزويني في رواية عن سامراء بأنه (أعظم بلاد الله وأهلا) (57).ويمكن فيه مبالغة.

إذا الهدف من إنشاء سامراء فضلا عن ترابطه بما حدث من تطور في تشكيل وحياة البلاط والإدارة وفي الوقت ذاته ليعظم الحكم والحاكم بعد ما استقرت الدعائم العباسية (58).

كان المتوكل من الخلفاء البارزين الذين اهتموا بالبناء فشيد ما لا يقل عن خمسة عشر قصرا في سامراء، وتميز عصره بعدد كبير من الجوامع والمساجد في سامراء وشيد له مئذنة عالية(الملوية)، وكان الناس يرونها من بعيد، وهو أكبر مسجد جامع في الدولة الإسلامية آنذاك، والى الوقت الحاضر ومن القصور التي بناها المتوكل في سامراء قصري السندان والبديع والبرج والغريب، والعروس والصبيح واللؤلؤ والممتاز والمحمدية(59).

---

(56) الشرقي، قصور ، ص 273.

(57) الشرقي، قصور ، ص 385.

(58) عثمان، المدينة الإسلامية ، ص 76.

(59) اليعقوبي، البلدان،ج1 ص 266 ، الطبري، تاريخ ، ج 9 ، ص 175، 176 ، حميد، تخطيط المدن، ج 9 ، ص 42، 43 ، شلبي، الموسوعة، ج 3 ، ص 231.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول ياقوت الحموي :(لم يبن أحد من الخلفاء بسر من رأى من الأبنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل)(60).

وفي عام(245هـ/860م)ترك المتوكل سامراء وبحث عن مكان آخر لكي يبني مدينة أخرى لينتقل اليها، ويروي اليعقوبي أن المتوكل: (.... عزم أن يبني مدينة لينتقل اليها، وتنسب اليه، ويكون له بها الذكر فأمر محمد بن موسى المنجم ومن يحضر بابه من المهندسين أن يختاروا موضعا، فوقع اختيارهم على موضع يقال له الماحوزة) (61).

وبعد أن شيدت المدينة وبنيت القصور والدور وحفر النهر لتأمين الماء لها سمى المتوكل هذه المدينة الجعفرية منسوبة إلى اسمه الأصلي، أو المتوكلية نسبه إلى لقبه، ثم انتقل اليها في محرم (247هـ/861م)، فلما جلس أجاز الناس بالجوائز السنية وأعطى جميع القواد والكتاب وكل الذين شاركوا الأعمال، وهو مسرور جدا وقال: (الآن علمت أني إذ بنيت لنفسي مدينة سكنتها) (62).

وحاول المتوكل أن ينافس مدينة سامراء لذلك بنى جامع المتوكلية أو الجعفرية وهو على طراز جامع سامراء من حيث الشكل والمئذنة، ومن أشهر القصور التي بناها المتوكل هو قصر الجعفري الذي بناه في أقصى الشمال من مدينة سامراء وشق اليه نهرا من دجلة وعند قرية كرمي وأنفق عليه أموالا هائلة ليكون وسط المدينة ليسقيها فقدر نفقاتها بألف أف وخمسمائة ألف دينار (63).

(60) ياقوت ، معجم البلدان، ج 3 ، ص 267.

(61) ياقوت ،معجم البلدان، ج3 ،ص67 ، السامرائي، تاريخ مدينة سامراء، ج 1 ، ص 95.

(62) اليعقوبي، البلدان، ج1 ص 67، 68 ، الموسوي، العوامل ، ص 150.

(63) اليعقوبي، البلدان،ج1 ص 67 ، الشرقي، قصور ، ص 328.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما يدل على عظمة قصر الجعفري ما ذكره أبو العيناء (محمد بن قاسم بن خلاد الاهوازي البصري عند دخوله على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة(246هـ/860م)حيث قال له المتوكل: (ما تقول في دارنا هذه؟ فقال: ان الناس بنوا الدور في الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك) (64).

وهنالك بركة واسعة التي يشرف عليها قصر الحير، وشيد المتوكل هذه البركة قرب قصره من أجل التمتع ببرودة الهواء والماء في صيف سامراء الحار (65).

وهنالك حديقة الحيوانات (الحير) التي شيدها المتوكل خارج مدينة سامراء ، وكانت تضم عددا كبيرا من الحيوانات المفترسة والوحوش الضارية، مثل النمور والأفاعي والعقارب والضبية، وكانت هذه الضراري في الأقفاص وضمن الجدران الداخلية وأما القسم الأكبر منها فكانت طليقة في وسط الحير الواسع، وكانت مساحة الحير من السعة بحيث يسهل معها الصيد والقنص وهو فضلا عن موضع لتنزهات الخليفة (66).

من المعروف بأن هذه الحديقة الخاصة بالحيوانات بأنواعها والبركة المائية لتم بنائها للنزهة والأنس أي أن الدافع الشخصي عامل مؤثر في بنائها، وهناك في الحديقة وحتى في القصور الكباش التي كان يناطح بها بين يدي الخلفاء والديوك أيضا (67).

---

(64) الشرقي، قصور ، ص 329.

(65) سوسه، ري سامراء، ج 2 ، ص 301.

(66) سوسه، ري سامراء ، ج2 ، ص 298.

(67) رفاه السامرائي، مدرسة ، ص 13.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سياسة جمع الأيدي العاملة

للطبقة العاملة وخاصة الحرفيين وأرباب الصنائع والمهرة من البنائين من ذي الحنكة أهمية عظيمة في تنفيذ السياسة العمرانية من بناء العمائر وتشييد المدن وهم بمثابة حجر الزاوية في كل عمران وبناء.

ومما ذكره المستشرق بروكلمان بأن المنصور شيد بغداد عن طريق حملة واسعة من العمل الإلزامي قصورا لنفسه ولحاشيته ومساجد، ودورا للحكومة مجتذبا التجار إلى مدينته بشروط تساعدهم على الأنشاء والتعمير جالبا معهم مواد بناء من الدرجة الأولى إلى بغداد (68).

يبدو أن الخلفاء العباسيين وفروا جوا ملائما للعمل والعمال واستخدام مواهبهم في الأبداع والاختراع وفضلوهم على الآخرين وأقاموا لهم الأجرة والأرزاق.

وعندما نبحث في هذا الجانب من تراث المسلمين المعماري لا بد أن نشير بشيء من الأسف والحسرة لان المصادر العربية لا تتحدث عن هذا الجانب وخاصة المهندسين الذين باشروا تنفيذ المشاريع العمرانية المهمة وأسهموا في الأشراف على إقامتها، بل تشير إلى قسم منهم وهم قسم ضئيل إذا ما قيس بالأعداد الكبيرة التي ظهرت على مسرح الحياة العمرانية والهندسية في العالم الإسلامي (69).لان المصادر في الأغلب تركز على الجوانب السياسية والعسكرية في حين لا تبحث في الجوانب الحضارية.

أما بالنسبة لاشتراك العلماء والفقهاء في بناء العاصمة فيبدو أن المنصور أراد أن يصبغ العمل بصبغة شرعية ويشارك فيه الأجناس المختلفة كما تبين لنا الدراسات السابقة.

---

(68) بروكلمان ، تاريخ ، ج 2 ، ص 8.

(69) العميد، بغداد مدينة المنصور، ص 167، 168.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا يعني أن المنصور لم يبدأ بالبناء إلا بعد أن تكامل شروط البناء وخاصة العمال ومن بينهم قوم من أهل الفضل والعلم والفقه والمعرفة بالهندسة ثم أمر بخط المدينة فرسموا مخططها لشكلها من بعض آراء أبي جعفر ورغباته (70)، وهذا يدل بأن صورة المشروع حاضرة في ذهن المنصور ثم أراد المنصور أن يطبقها على أرض الواقع بالاعتماد على الخبراء من المهندسين لذلك: (أمر أن يخط بالرماد وأن ينظر اليها عينا ففهمها وعرف رسمها وأمر أن يحفر أساس ذلك الرسم) (71).

ويبدو أن الجانب الشرقي بحاجة إلى العمال والحرفيين لمواجهة التوسع الكبير والسريع في إعمار المدينة، وأن عددا من هؤلاء الحرفيين كانوا يقيمون في الجانب الشرقي الذي يعملون فيه، غير أن هذا لا ينفي احتمال الحاجة إلى صناع وحرفيين يوميين أو موسميين من الجانب الغربي الأمر الذي يساهم في نشاط التنقل بين الجانبين (72).

وأول وحدة عمرانية شيدت في الرصافة كانت قصر المهدي المعروف بقصر الوضاح لان المنصور عهد إلى المهندس والمشرف وضاح بالأشراف والإنفاق على بنائه عام(151هـ/768م)، وظل قائما حتى وقوع الحرب بين الأمين والمأمون (73).

---

(70) الجومرد، داهية العرب أبو جعفر المنصور، ص 200.

(71) الطبري، تاريخ ج 7 ، ص 618 ، ابن الجوزي، مناقب، ص 8.

(72) الطبري، تاريخ ج 7 ، ص 279.

(73) الطبري، تاريخ، ج 8 ، ص 474 ، 544 ، الخطيب البغدادي، تاريخ ، مج 1 ، ص 80، 81.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما بالنسبة لدور العمال والمهندسين في تخطيط وبناء الكرخ عندما قرر المنصور إبعاد الأسواق وأصحاب التجارات والحرف من المدينة المدورة اليها بعد أن وجه كلا من إبراهيم بن حبيش الكوفي ومولاه جواس بن المسيب اليماني عام(157هـ/773م)، فأمر الخليفة إبراهيم الكوفي ببناء الأسواق في الكرخ شريطة أن يجعلها منظمة وموزعة حسب الأصناف والتجارات والمهن وقد قامت بتوزيع هذه الأسواق والبيوت على الناس الذين انتقلوا اليها من بغداد مجانا، والعمال الذين شغلوا الأسواق مجانا لأن هؤلاء أنبتوا نحلاتهم من أموالهم الخاصة (74). يبدو أن إبراهيم الكوفي كان مهندسا وبناءً ومشرفا على بناء أسواق الكرخ. أما بالنسبة لمدينة سامراء فقد عزم المعتصم بالله على أن ينزل موضع سامراء و أمر أحمد بن خالد الكاتب بأن يشتري له موضعا من سر من رأى فاشتراه بخمسة آلاف دينار ليبني فيه مدينته(75).وبعد ذلك أحضر المهندسين ليختاروا أصلح هذه المواضع فاختاروا عدة مواضع للقصور ، وصير إلى كل رجل من أصحابه بناء قصر أمثال الفتح بن خاقان الذي بنى قصر الجوسق الخاقاني ، و إلى عمر بن فرج بناء القصر المعروف بالعمري و إلى أبي الوزير بناء القصر المعروف بالوزيري ثم خط القطائع للقادة والكتاب والناس وخط المسجد الجامع ، ثم خط القطائع للقواد والكتاب والناس .

وأشار المسعودي إلى دور ومهمة وخبرة المهندسين في رسم معالم مدينة سامراء (76) ، وأكد اليعقوبي أن المعتصم جلب أمهر الخبراء والفنيين لتطبيق سياسته وأقطع كل شخص من الأتراك ارض لبناء قصر وإرضاءه (77) .

(74) ناجي، دراسات في تاريخ المدن، ص 301.

(75) اليعقوبي، البلدان،ج1، ص 57.

(76) المسعودي، مروج الذهب، ج4 ، ص 54، 55

(77) اليعقوبي، البلدان،ج1 ص 58 ، مصطفى، تاريخ المدن، ج1 ، ص 377

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جلب المعتصم العمال والفنيين بعد أن اختار الأرض ودفع ثمنها(78) ، لم تشر المصادر والمراجع الحديثة إلى أجرة العمال، ويعود ذلك بسبب الرخاء الاقتصادي في عصر سامراء، واستعان المعتصم بالغلمان الأتراك والعبيد الذين اشتراهم بهدف بناء سامراء حيث يشير اليعقوبي إلى ذلك بقوله " فصير إلى خافقان أبي الفتح بن خاقان ببناء الجوسق الخاقاني، والى عمر بن فراج في بناء القصر المعروف بالعمري " (79).

ويشير اليعقوبي إلى أن المعتصم بعد أن جلب العمال وعائلاتهم أنزلهم في الارض التابعة لسامراء وأقطعهم بها . (80)

أبرز المصادر والمراجع تشير إلى نفقات المتوكل ففي بناء القصور في عهد المتوكل، حيث أنفق على بناء جامع سامراء خمسة عشر عشر ألف درهم، (81) ، ومجموع نفقاته في بناء المدن والقصور والمساجد والمرافق الأخرى، في سامراء والمتوكلية بلغت 294 مليون درهم، ومن أجل إحضار الماء إلى المدينة بني نهرا استدعى من أجله 12 ألف عامل وأنفق عليه مائتي ألف دينار، وأشار اليعقوبي إلى ذلك، حيث يقول " أنفق الأموال الجلية على ذلك النهر فقدر نفقته على ألف ألف وخمسمائة ألف دينار " (82)

ولم نجد إشارات دقيقة لأجور العمال ومقدار النفقة عليهم من الأجر والطعام، ونجد إشارة عن اليعقوبي يبين من خلالها أن " انتقل المتوكل إلى قصور هذه المدينة أول يوم من محرم سنه سبع وأربعين ومائتين، فلما جلس أجاز الناس بالجوائز السنية ووصلهم وأعطى جميع القواد والكتاب ومن تولا عملا من الأعمال " (83)

(78) المصدر نفسه ، ،ص 58

(79) المصدر نفسه ،ص58

(80) المصدر نفسه ،ص 65

(81) ياقوت الحموي معجم البلدان، ج3 ، ص 175 ، مصطفى، المدن في الإسلام، ج1 ، ص 380

(82) الطبري، تاريخ الطبري، ج9 ، ص 212 ، اليعقوبي، البلدان، ص 67

(83) اليعقوبي، البلدان، ص 68

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فبنى المعتصم لهم مدينة سامراء لتكون عاصمة لهم، ومقراً لجيوشه التركية من المماليك والأحرار(84) ، كان أنشاء سامراء من أسباب ذلك الخلاف، الذي حدث بين أجناس العرب والفرس والترك في بغداد ومن ثمة فان هذا النظام القبلي لخطط المدينة الإسلامية في عهدها المبكر اتسم بالديناميكية التي لم تسمح بأنشاء أكثر من خطة للقبيلة الكبيرة، وتجمع القبائل الصغيرة والأفراد في خطة واحدة في إطار يهدف إلى سهولة إدارة المدينة، واستنفار الجيوش ويمنع تفتت الوحدة الاجتماعية (85)

ومما تقدم نجد أن العامل الاجتماعي وهو عدم التكيف الاجتماعي ، كان له دور مهم في نشأة مدينة سامراء من الملفت للنظر ، أن المدن الإسلامية عندما تضيق عليها أسوارها تضطر إلى التوسع خارج أسوارها ، أن الجديد الذي أتت به المدينة الإسلامية هو المرونة في التوسع، والذي يمكن التعبير عنه على شكل نقطة في الفراغ العمراني تتحرك لتنتج العنصر الخطي ، وهو ما نسميه بالمخطط الإيقاعي وبفضله اصبح من المستطاع استيعاب النمو والتغير كظواهر بشرية طبيعية ، تشكل المدينة بمرور الزمن من دون الأخلال بتناغم عناصرها وترتيبها (86) وتعكس لنا مدينة سامراء ما يطلق عليه بالظهور ، ويعني التوجه بالعمارة نحو الخارج ، ويتخذ من الزمن والعوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية سبباً له وتبقى سامراء المثل الأكثر وضوحاً على مفهوم الظهور في بناء المدن الإسلامية ، وهناك جملة من المعطيات ، تجعل من سامراء مدينة الظهور ، لقد بنيت المدينة على الضفة الشرقية لنهر دجلة ، بطول يصل إلى 32 كم وعرض 5 كم وهي هنا تأتي كاستجابة طبيعية للنهر ، هذا الاتجاه الطولي للمدينة يجعلها تختلف تماما عن مدن الاحتواء التقليدية في العالم الإسلامي ،

(84) العبادي ، أحمد مختار ، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ، دار ود ، بيروت ، 1989م ، صـ12.

(85) عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية دار الأفاق العربية، بلا، ص 62

(86) الرباط، ناصر، ثقافة البناء وبناء الثقافة، بحوث ومقالات في نقد وتاريخ العمارة 1985، 2000 ، رياض الريس للكتب والنشر، ط1 ، 2002 ، ص 52، 53 ، الرباط، ثقافة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وترتب على بناء سامراء بشكلها الطولي كثرة هياكل المدينة وساحاتها والأطوال المفرطة لهذه الهياكل والساحات ، ومدينة سامراء مدينة مفتوحة بلا سور يحيط بها في اختلاف جذري عن بقية المدن في تلك الفترة ، وباختفاء السور تختفي منظومة العناصر المرتبطة به ودلالاتها المكانية ، كالبوابات والأبراج (87).

وعهد بأمر الصرف والأنفاق عليه إلى دليل بن يعقوب النصراني كاتب بغداد (228هـ \ 842 م) انفق في حفر النهر(11011111 درهم) (88) (وقيل مائتي ألف دينا)وجدير بالذكر أن تلك الجهود أثمرت في اتساع زراعة الحنطة و الشعير في سامراء و السمسم في تكريت , وهي من أعمال سامراء ,(89) وقد جلب المعتصم بالله إلى سامرا ء بعد بنائها ، أشجار النخيل , و بذلك أصبحت من بين بلاد العراق التي اشتهرت بإنتاج التمور وليس هذا فحسب , بل اشتهرت سامراء بالتين الوزيري , نسبة إلى موضع الزرع , وهو أجود الأنواع و أرقها قشرا و أصغرها حبا لا يشابه تين الشام و لا تين حلوان كما اشتهرت سامراء بالكروم (90)وكذلك بها سوق كبير يطلق عليه(دار البطيخ) تباع فيه كل أنواع الفواكه و الأزهار .

(87) الرباط، ناصر، ثقافة ر، ط1 ،ص 131

(88) لحموي، معجم البلدان، ج 2 ، ص 12

(89) اليعقوبي، البلدان، ص 10

(90) المقدسي ، أحسن التقاسيم ،ص.110

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

تعد دراسة نفقات العمران في المدن ظاهرة حضارية متقدمة اهتمت بها الدول المتقدمة منذ وقت مبكر ودراسة نفقات بناء سامراء تؤكد لنا إن هذه المدينة تعد من الحواضر العربية الإسلامية التي دعت الحاجة اليها الظروف السياسية و الأحوال الاقتصادية في تلك الفترة ، حيث كان لها دور بارز في مظاهر الحياة الاقتصادية في العصر العباسي واهم ما توصل اليه الباحث ما يأتي:-

- فرضت طبيعة الموضوع إن نبين النواحي السياسية و الجغرافية وأثرها في النشاط الاقتصادي الذي مهد لنشأة المدينة مدللاً بذلك على إن البيئة الجغرافية في سامراء بما تتصف به من ملاءمة المناخ وخصوبة التربة وكثرة المياه عن طريق نهر دجلة كان عامل تشجيع لاختيار موقع سامراء ذي الأهمية الاقتصادية.

- تبين من خلال البحث إن ازدياد قوة العباسيين الاقتصادية في عصر الخليفة المعتصم دفعته إلى اختيار موقع جديد له مواصفات مميزة فوقع اختياره على منطقة بناء سامراء لتكون مركز لاستقرار الأتراك .

- جاء في البحث إن الخليفة المعتصم أنفق الأموال الطائلة على سامراء من خلال جلب المواد اللازمة للبناء و استخدام فنون العمارة الإسلامية و شق الأنهار و الجداول التي تخدم المدينة بهدف وضع أساس متكامل لاستقرار العنصر التركي و عدم حاجته للاختلاط بفئات المجتمع الأخرى .

- بين البحث إن موقع مدينة سامراء أعطاها أهمية اقتصادية حيث تقع هذه المدينة على طريقي المواصلات النهري والبري الذين يربطان سامراء بمن حولها.

- ساهمت الدراسة بشكل فعال في تبيان أهمية (اختيار الموقع و الدوافع السياسية) في فاعلية اختيار المكان الذي بنيت عليه مدينة سامراء .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- تبين الدراسة استخدام للكثير من الأدوات التي كانت تستعمل في رفع المياه ولا زال بعضها شائع الاستخدام إلى يومنا هذا وهذا يؤكد حقيقة تواصل الحضارة العراقية عبر الحقب الزمنية المتعاقبة .

- تعد الدراسات الاقتصادية من الدراسات التي تفتقر للبيانات المالية التاريخية مما يعيق تلك الدراسات و يحد من البحث فيها.

- تبين الدراسة مدى اسراف المعتصم و المتوكل في نفقات بناء سامراء و المتوكلية و ما تبعها من انهار و قصور و برك.

- تبرز الدراسة دور سامراء في تأسيس المتوكلية و تبين التطور الذي احدثه المتوكل في عملية البناء و التعامل مع توفير المياه من خلال الأنهار كالنهر الجعفري و ما عليه من تفرعات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الملاحق

الملحق رقم (1) خارطة مدينة المتوكلية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملحق رقم (٢)

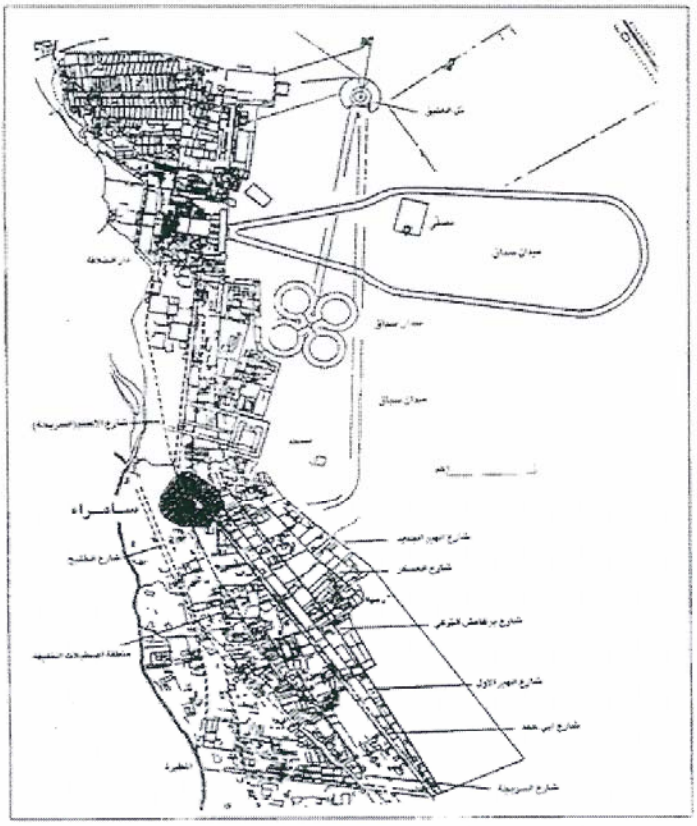

المعالم العمرانية في سامرّاء وشوارعها

العلي ، صالح احمد ، سامراء دراسة في النشأة و البنية السكانية ، دار المطبوعات للنشر و التوزيع ، د ت ، د ط ، ص ٩٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

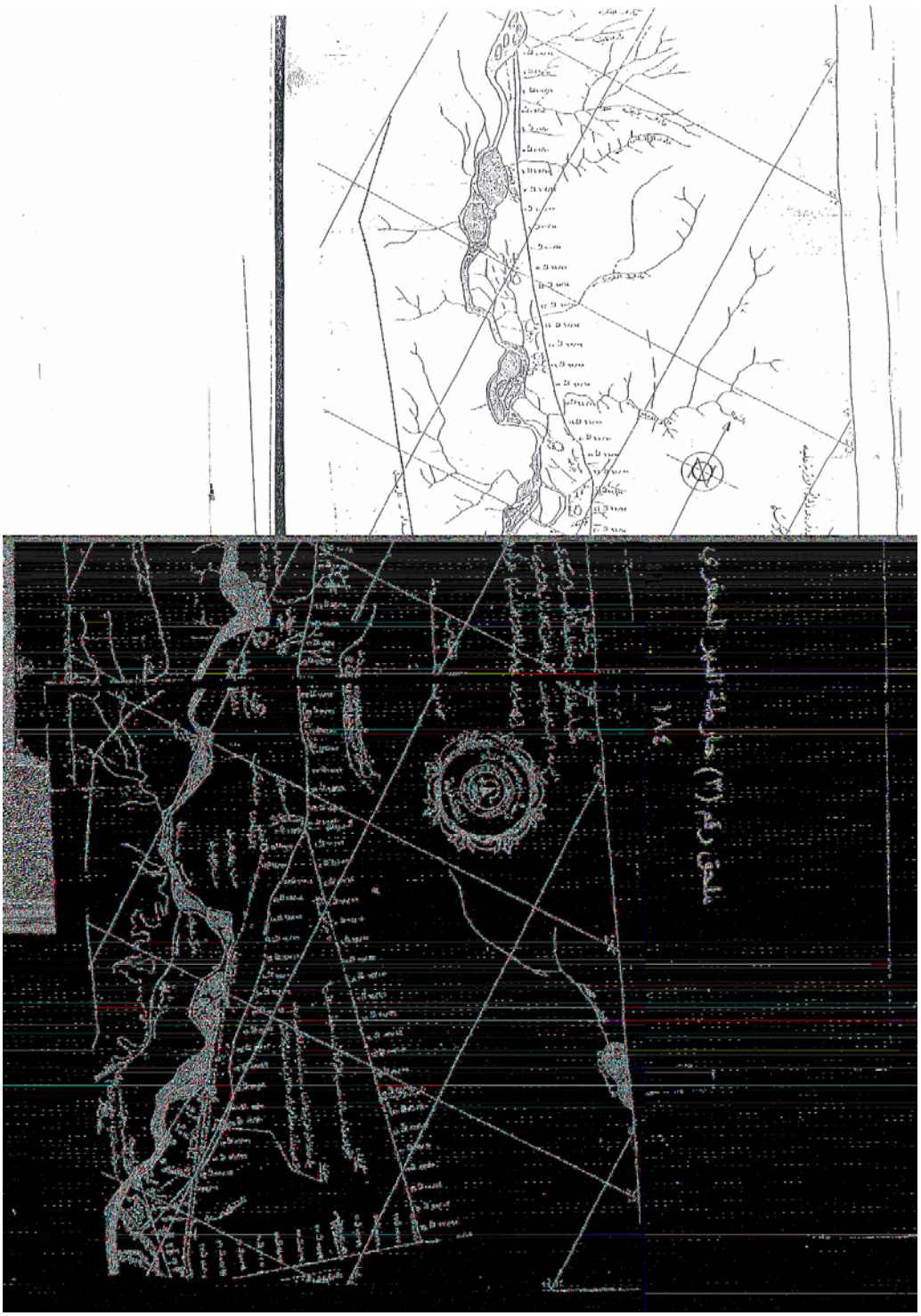

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملحق رقم (٤)

المروحة النخيلية

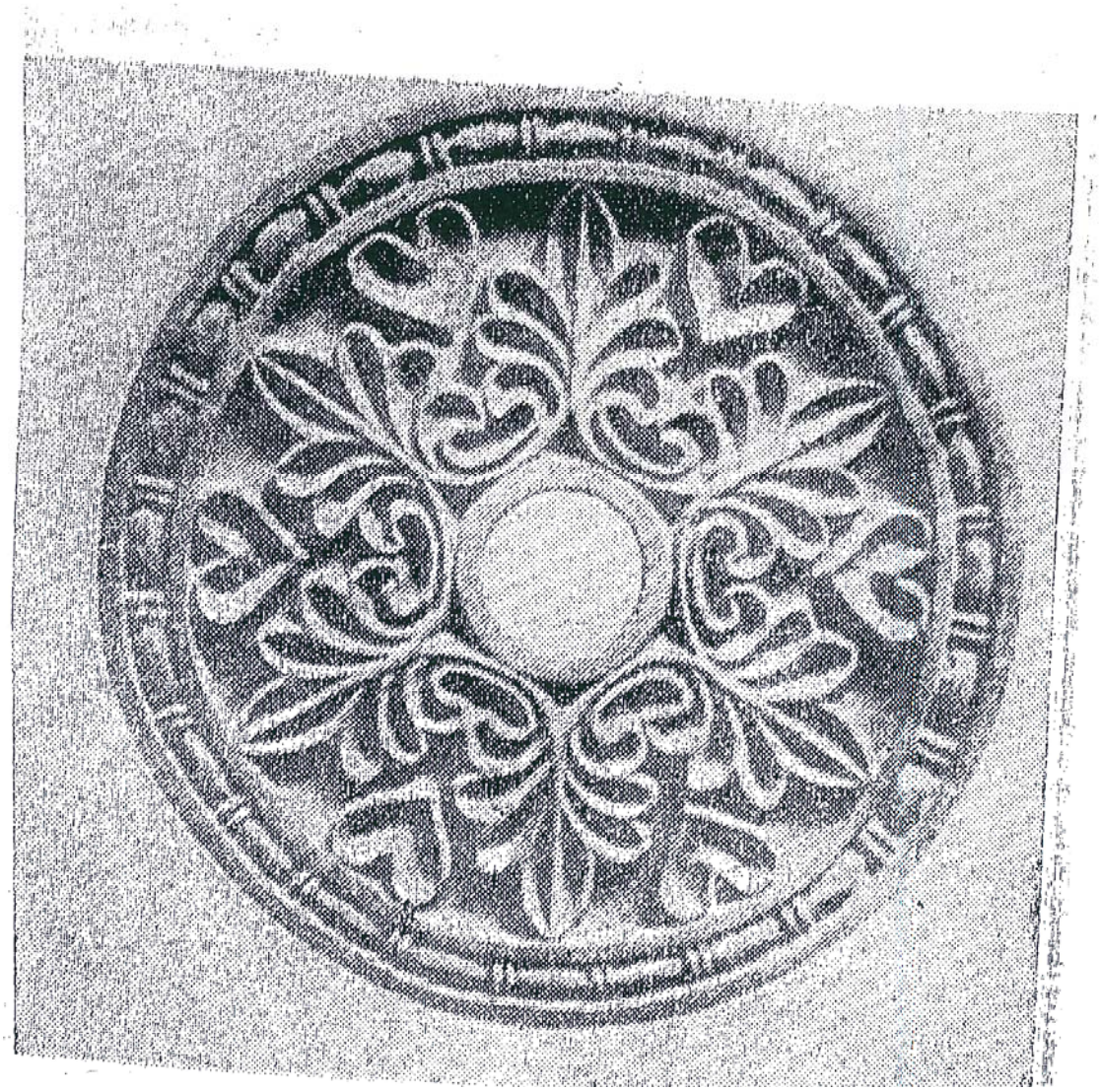

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

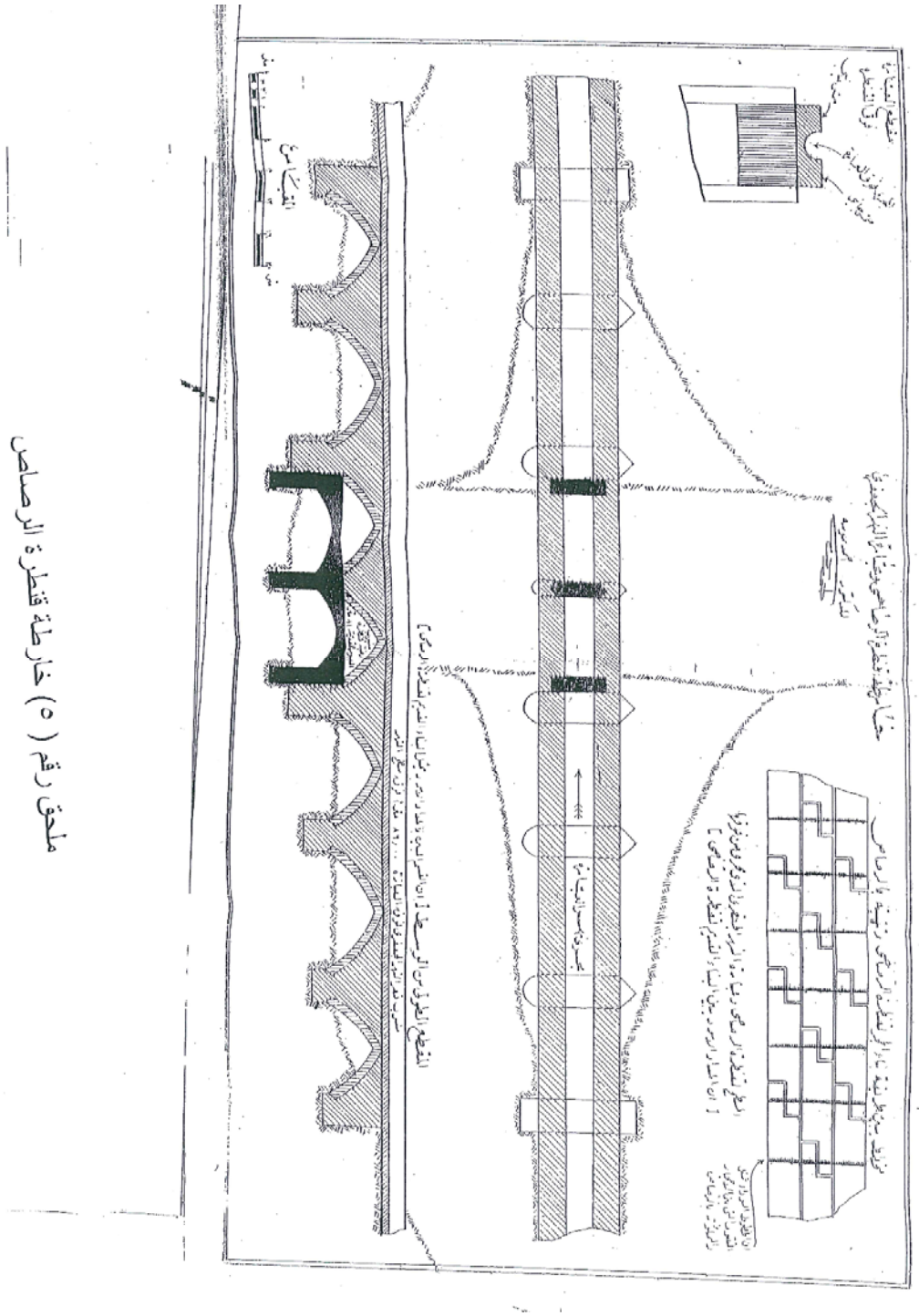

ملحق رقم (٥) خارطة قطاعية للرصافة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المراجع

قائمة المصادر و المراجع :

المصادر :

القرآن الكريم .

ادم ، يحيى بن ادم (ت. 203 هـ) ، الخراج ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، بيروت ، دار المعرفة ، 1979

الاربلي ، عبد الرحمن سنبط ، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك، بيروت: مطبعة جاورجيوس 1885 .

الازدي ، يزيد بن محمد بن بن إياس بن القاسم الأزدي (ت 334هـ)، تاريخ الموصل ، تحقيق علي حبيبة ، القاهرة 1967 م

الازدي ، زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن قاسم (ت334 هـ) ، ، تاريخ الموصل ، تحقيق علي حبيبه ، دار التحرير للطبع والتحرير ، القاهرة1387هـ ، 1967م.

أصيبعة ، أحمد بن القاسم بن خليفة (ت: 668هـ) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،نزار رضا الناشر: دار مكتبة الحياة - بيروت

الأندلسي ، عبد ربه (ت. 328 هـ)، العقد الفريد ، مفيد محمد قميحة ، ج3 ، ص 370. دار الكتب العلمية ، 1983م

الأندلسي ، عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري (المتوفى: 487هـ) ، المسالك والممالك ، دار الغرب الإسلامي ، عام النشر: 1992 م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البحتري عبادة الوليد عبيد (284 هـ)، ديوان البحتري ، دار صادر، بيروت، د.ت مج 2

ابن بطوطة، عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي ت، 779هـ/ 1377م، تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، اكاديمية المملكة الرباط 1996م

البغدادي ، احمد بن علي الخطيب بغداد مدينة السلام ، دار المدى سنة النشر ، و سيشار اليه ، البغدادي ، بغداد. 2005

البغدادي، بكر أحمد بن علي الخطيب (ت463هـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام - دار الفكر - بيروت - د.ت

ابن تغري بردي ، المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الاتاكي (ت 874 هـ ، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ، ط1 ، القاهرة ، 1349هـ ، 1930م

الثعالبي ، منصور عبد الملك النيسري (429 هـ) ، لطائف المعارف ، تحقيق ابراهيم الاري و وآخرون ، القاهرة ، 1380هـ ، 1960م

الجاحظ ، عثمان عمرو بن بحر (255 هـ)، رسالة مناقب الترك، في: رسائل الجاحظ الرسائل السياسية.

الجاحظ، عثمان عمرو بن بحر الكناني البصري، التبصر بالتجارة، المطبعة الرحمانية، بيروت، 1357هـ / 1935م

ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الهند ، 1357هـ ، 1959م

الحموي ، ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي شهاب الدين عبد الله ، معجم البلدان ، ج3 (ط. صادر)؛ الناشر: دار صادر؛ سنة النشر: 1397 – 1993

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحموي ، ياقوت ، معجم الادباء ، دار احياء التراث العربي بيروت ، 1352هـ ، 1936م

الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت. 900 هـ) ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، طبع دار القلم ، بيروت ، 1985م

خرداذبة ، القاسم عبيد الله بن عبد الله(ت 280 هـ) ، المسالك والممالك ، تحقيق دي ج ، خوية ، مكتبة المثنى ببغداد ، بالاوفيست عن الطبعة الاصلية من مطبعة بريل ليدن ، 1309هـ ، 1889م

الرازي ، محمد بن بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، ط1 ، بيروت 1399هـ ، 1979م

ابن الربيع ، شهاب الدين أحمد بن محمد ، سلوك المالك في تدبير الممالك ، تحقيق ، سامي النشار، بغداد 1397هـ ، 1977م

الريحان محمد بن احمد البيروني (440هـ) ، الأثار الباقة عن القرون الخالية ، تحقيق أدوارد ساخو ، لبيزك ، د . ن ، 1878م

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن بكر (ت 911 هـ) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، د.م.د.ت

الصولي ، بكر ، أخبار تمام ، أخبار تمام ، خليل عساكر - محمد عزام - نظير الهندي ، الناشر : دار الافاق الجديدة – بيروت

الطبري ، جعفر محمد بن جرير ، (ت 211 هـ)، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق مصطفى . السيد وطارق سالم ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ب ت ج7

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطبري ، جعفر محمد بن جرير ، (ت 211 هـ / 826م) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق مصطفى . السيد وطارق سالم ، ، ، ب ت ج3 المكتبة التوفيقية القاهرة

ابن الطقطقي، محمد بن علي طبطابا ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، القاهرة: شركة طبع الكتب العربية ، 1317هـ\1899م

ابن طيفور الفضل احمد بن طاهر(ت 280 هـ)، ، تاريخ بغداد تصحيح وتعليق محمد حسن زاهد ، وراجعه و وقف على طبعه عزت العطار الحسيني ، بغداد1367هـ ، 1949م

ابن عساكر ، ثقة الدين القاسم (ت 5714هـ) التاريخ الكبير ، تحقيق عبد القادر بدران ، مطبعة روظة الشام 1329هـ

العمراني ، محمد بن علي بن محمد المعروف، الإنباء في تاريخ الخلفاء ، (المتوفى: 580هـ) ، قاسم السامرائي ، دار الآفاق العربية، القاهرة الطبعة: الأولى، 2001 م

الغزولي ، علاء الدين بن عبد الله (ت 815هـ)، مطالع البدور في منازل السرور ، ج 1 ، مج 2 القاهرة ، 1299هـ ، 1978

أبو الفداء ، إسماعيل بن عماد الدين ، (ت 825 هـ)، تقويم البلدان ، اعتناء ريفرد وماك كولوين . ، باريس ، 1241 م .

، المختصر في أخبار البشر 4 ج ، الطبعة: الأولى، المطبعة الحسينية المصرية

البواقيت والضرب في تاريخ حلب ،محمد كامل وفالح البكور ، دار القلم العربي بحلب ،ط1 ، 1410هـ - 1989م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفراهيدي، عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عمرو البصري ت 170هـ / 786م، كتاب العين، تحقيق إبراهيم السامرائي، مهدي المشرومي، دار ومكتبة الهلال بيروت، د.ن

الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، بولاق ،،ج4 ،القاهرة،289هـ/1872م.

قدامة ، بن جعفر بن قدامة ، الفرج (المتوفى: 337هـ) ، الخراج وصناعة الكتابة ، دار الرشيد للنشر، بغداد ، الطبعة: الأولى، 1981 م

الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب (ت450 هـ) الأحكام السلطاني والولايات الدينية ، بيروت ، 1978

الماوردي ، الحسن علي بن محمد الماوردي ، الأحكام السلطانية ، القاهرة : مطبعة الب الحلبي ،1966م

مجهول ت، ب عد372هـ/982م حدود العالم من المشرق الى المغرب، تحقيق وترجمة عن الفارسية السيد يوسف الهادي، دار الثقافة والنشر القاهرة 2002م

المسعودي ، الحسن على بن الحسين بن على (المتوفى: 346هـ)، التنبيه والإشراف ، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي ، الناشر: دار الصاوي - القاهرة

، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق: أسعد داغر ،عدد الأجزاء: 4، ج3 ، دار الهجرة - قم: 1409هـ

ابن منظور ، محمد بن مكرم بن على، الفضل، جمال الدين(ت: 711هـ) ، لسان العرب ، الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ ، دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - 1996م

اليافعي، محمد عبد الله بن أسعد بن علي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت 1390هـ/1970م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اليعقوبي ، أحمد بن يعقوب ، تاريخ اليعقوبي ، تحقيق : عبد الأمير مهنا الطبعة الأولى ، ، ج3 ،شركة الأعلمي للمطبوعات - بيروت2010

_ ، البلدان ،تحقيق دي غويه بريل ، ج3 ، مطبعة ليدن ، 1251 م

قائمة المراجع :

إبراهيم ، محمد عبد العال ، العمارة والعمران في العالم العربي ، ط3 ، دار الراتب الجامعية ، بيروت .

بشير ، فرنسيس ، وآخرون، جامع أبي دلف في سامراء ، مجلة سومر ، بغداد ، 1365هـ ، ج 1، 1947م.

البستاني ، عبد الله ، فاكهة البستان ، د.ط ، المطبعة الامريكية ، بيروت ، لبنان ، 1930م

التكريتي ، علي ، حدائق الحيوانات ، ، في مجلة المورد ، العدد 4 ، مج 8 ، ص 18.

جمال، حمدان ، جغرافية المدن ، ، ط2 ، مطبعة عالم الكتب ، القاهرة ، 1977

حسن، إبراهيم و آخرون ، النظم الإسلامية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ، 1939 .

_ ، الجيش والبحرية في العصر العباسي الأول مجلة الرسالة - العدد 196 ، بغداد 1937م .

حسن، محمد زكي، الفن الاسلامي في مصر ، ج1، مجلة الرسالة - العدد 196.

حسين ،عبد الرزاق عباس ، نشأة مدن العراق وتطورها ، المطبعة الفنية الحديثة،بغداد، 1973م

حمدى ،عبدالمنعم حسين، الدوله العباسيه ، دار المعرفه الجامعيه ، 2006م،

حمودي، خالد خليل، قصر الخليفة المعتصم في سامراء، مج38 ، مجلة سومر بغداد، 1402هـ/ 1982م.

خزف سامراء الاسلامي، مجلة سومر، مج30 ، بغداد 1975م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

آدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، نقله إلى العربية محمد بن عبدالهادي أبو ريده . 2ج(القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1940-1941م

حميد، عيسى سلمان، الزخارف على الاثار المنقولة في حضارة العراق،. 2003م

الخازن ، وليم ، الحضاره العباسيه ، دار المشرق ، بيروت ، 2009م

الدوري ، عبد العزيز ، التكوين التاريخي للأمة العربية، نشر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1983

، النظم الإسلامية :الخلافة ، بيت الحكمة، بغداد، 1988.

العصر العباسي الأول: دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي. منشورات دار المعلمين العالية ، بغداد: مطبعة النفيض الأهلية 1945م

، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد: شركة الرابطة للطبع والنشر 1946 .

الرباط، ناصر، ثقافة البناء وبناء الثقافة، بحوث ومقالات في نقد وتاريخ العمارة 1985، 2000 ، رياض الريس للكتب والنشر، ط1 ، 2002

رجب محمد غازي، التحصينات الدفاعية في مدينة بغداد المدورة، في الجيش والسلاح، دار الحرية للطباعة والنشر بغداد 1408هـ/ 1988م

الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس(ت 1396هـ) ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م .

الزهراني ، ، ضيف الله يحيى الزهراني ، النفقات وإدارتها في الدولة العباسية من سنة 132 / 334 هـ ، 749 / 945 م ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ط 1 ، 1986

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الإسلامي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت د.ت، مج 1، ج 1 .

الأطرقجي ، رمزية ، بناء بغداد في عهد أبي جعفر المنصور ، مطبعة النعمان ، النجف ، 1967م

السامرائي ، يونس ابراهيم ، البحتري في سامراء حتى عهد المتوكل ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، 1399هـ ، 1970م

تاريخ مدينة سامراء ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ط1 ، بغداد 1388هـ ، 1968م.

السامرائي ، رفاه جاسم ، مدرسة سامراء في التصوير العربي الإسلامي ، جامعة بغداد ، كلية الآداب بغداد ، 1405هـ ، 1985م

سرور ، محمد جمال الدين ، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، القاهرة ،، 1968م .

سوسة ،احمد سوسة ، ري سامراء ، ج 1 و ج 2، بغداد ، د.ت .

السيد، فؤاد، معجم ألقاب السياسيين في التاريخ العربي والإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1979.

شلبي ، أحمد ، موسوعة التاريخ الإسلامي الخلافة العباسية مع اهتمام خاص بالعصر العباسي الأول مكتبة النهضة المصرية ، ط ، 6 ،ج 3، القاهرة ، 1978م

الشهابي، قتيبة، زخارف العمارة الإسلامية في دمشق (مطبوعات وزارة الثقافة، 1996م

الأعظمي والكبيسي، دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الإسلامي دار الحرية للطباعة ، 1985

عبده ، عبد الله كامل موسى، العباسيون وآثارهم المعمارية في الشرق ومصر والمغرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ط1، القاهرة، 2008م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العلاف ، عبد الكريم بن مصطفى البغدادي ، بغداد القديمة ، بغداد - مطبعة المعارف ، بغداد1960م.

علي ، ظريف عبد المجيد الأعظمي ، موجز تأريخ بغداد القديم والحديث ، بغداد ، 1926م.

العميد ، العمارة العباسية في سامراء في عهدي المعتصم والمتوكل ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1364هـ ، 1976م

عواد، ميخائيل، صورة مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، دار الرشيد للنشر بغداد، 1401هـ/ 1981م.

، صورة مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1401هـ/ 1980م

فوزي ، فاروق عمر ، الجيش والسياسة في العصر الأموي ومطلع العصر العباسي 41 هـ 661 م، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، العراق ، 2005م

ك. كريزول، الاثار الاسلامية الاولى، ترجمة عبد الهادي عيلة، ط1، دار قتيبة، دمشق، 2000م

كاتبي ، غيداء خزنة ،الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري: الممارسات والنظرية. ، مركز دراسات الوحدة العربية، 1997م .

الكرباسي ، محمّد صادق محمّد ، تاريخ المراقد ، ج4 ، المركز الحسيني للدراسات ، لندن ، 2009

أكبر، جميل عبد القادر، عمارة الأرض في الإسلام مقارنة الشريعة بأنظمة العمران الوضعية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2 ، 1995

مصطفى، فريـال، البيت العربي في العراق في العصر الاسلامي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983م .

مهدي ، علي محمد ، مدينة سامراء ، مطبعة أمانة العاصمة ، بغداد 1404هـ ، 1986م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموسوي ، مصطفى عباس ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية ، دار الرشيد ، بغداد ، 1982م

الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، مكتبة الهلال ، 2006م

هملتون جب ، دراسات في حضارة الاسلام ، تحرير ستانفورد شووليم بولك ، ترجمة احسان عباس ، محمد يوسف نجم ومحمود زايد ،ط2 (بيروت 1974

الهيتي ، صبري فارس ، جغرافية الاستيطان الريفي ، مطبعة بيت الحكمة ، بغداد ، د.ت

ول ديورانت ، قصة الحضارة عصر الإيمان ، ترجمة محمد بدران ، لجنة التأليف والنشر في جامعة الدول العربية ، د.م.، د.ت ، مج 4 ، ج 2 ، مصر .

أمين ، أحمد ، ظهر الإسلام ، دار الكتب العربي، ج 1، ط 5 ، بيروت ، 1388هـ ، 1969م

هنتس ، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية.، ترجمة كامل العسلي. ، منشورات الجامعة الاردنية. ، ١٩٧٠ م.

المجلات العلمية :

أوراق النقود ونصاب الورق النقدي، مجلة البحوث الأسلامية ، الباب الأول معرفة المقادير ، العدد التاسع والثلاثون - ربيع الأول إلى جمادى الثانية لسنة 1414هـ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المراجع الأجنبية :

K. A. C, A short account of Early Muslim architecture Harmondsworth , 1958

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com